

منشورات جامعة حلب
معهد التراث العلمي العربي

الطب الجديد الكيميائي

للطبيب صالح نصر الله بن سلوم الحلبي

التيارات الطبية الاوربية في عصر النهضة
وصراعها مع الطب التقليدي

قام بالتحقيق ودراسة النصوص وتحليلها

كمال شحادة

دكتور في تاريخ العلوم الطبية

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م



منشورات جامعة حلب

معهد التراث العلمي العربي

الطب الجديد الكيميائي

للطبيب صالح نصر الله بن سلوم الحلبي

التيارات الطبية الأوروبية في عصر النهضة
وصراعها مع الطب التقليدي

قام بالتحقيق ودراسة النصوص وتحليلها

كمال شحادة

دكتور في تاريخ العلوم الطبية

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

تصديــر

تمهيــد :

بدأ انتاج العرب العلمي الواعي بالصعود منذ القرن السابع للميلاد، واستمر عطاؤهم العلمي المبدع، وعلى نطاق عالمي رائد، حتى القرن الثالث عشر. وابتداءً من ذلك القرن أخذ ذلك الإنتاج العلمي بالتباطؤ بسبب الكوارث المتلاحقة التي أصابت الأمة العربية من جراء الحروب المدمرة التي أثارها المغول والتتر والمماليك والصليبيون. وبدءاً من القرن السادس عشر للميلاد بدأت مرحلة، يمكن تسميتها بمرحلة الهمود الحضاري والعلمي للعرب، واستمرت حتى منتصف القرن الماضي.

وقد رأيت أن الأكثرية الساحقة من الباحثين العرب والأجانب، انصرفت دراساتهم ومؤلفاتهم بشكل خاص إلى مرحلة الابداع العربي، وإلى المرحلة التالية التي وصفتها بمرحلة التباطؤفي الانتاج العلمي العربي. أما المرحلة التي أسميتها بمرحلة الهمود العلمي فلم تحظ من الباحثين إلا بالقليل جداًمن الإهتمام، بالرغم من أنها لم تعدم ظهور عدد من النوابغ فيها، لمعوا في مختلف المجالات العلمية دون أن يعطوا حقهم من الدراسة، وظلت مؤلفاتهم تنتظر التحقيق والشرح والتحليل، الأمر الذي يشكل ثغرة لايجوز الاستمرار في إهمالها.

فاخترت عالماً عربياً لمع في مجالات العلوم الطبية في القرن السابع عشر للميلاد، هو الطبيب صالح بن نصر الله الملقب بابن سلوم الحلبي في تحقيق مخطوطين له يتضمنان أول

اطلالة طبية وكيميائية عربية على التيارات الطبية الأوربية التي ظهرت في القرن السادس عشر هما: مخطوط(الطب الجديد الكيميائي)، ومخطوط(الكيمياء الملكية).

عاش صالح بن سلوم الحلبي في القرن الحادي عشر للهجرة(السابع عشر للميلاد). وفي ذلك القرن كانت المفاهيم والنظريات المتعلقة بالطب التقليدي، تتصارع مع التيارات الطبية الثورية الجديدة في أوربا اللاتينية.

وكان صالح بن سلوم الحلبي أول من نقل إلى اللغة العربية، في مؤلفاته، صورة حية وواضحة لتلك النظريات الطبية الثورية التي تزعمها، في القرن السادس عشر للميلاد، العالم السويسري باراكلسوس[1]. وقد كان براكلسوس هذا صاحب مدرسة من أبرز روادها العالم الألماني اسفالد كرولليوس[2].

كان ابن سلوم الحلبي، كما يتضح من مؤلفاته، واسع الإطلاع على تلك ا لتيارات الطبية الجديدة،إضافة إلى معرفته العميقة بنظريات الطب التقليدي.

ومع أن لابن سلوم الحلبي الأسبقية في نقل التيارات والنظريات الطبية التي برزت منذ القرن السادس عشر للميلاد عن طريق مخطوطيه: « الطب الجديد الكيميائي » و « الكيمياء الملكية »، فإن كثيراً من المؤرخين ينسبون هذا السبق إلى الطبيب الفرنسي كلوت بك في أوائل القرن التاسع عشر أيام حكم محمد علي الكبير لمصر، جهلاً منهم بدور ابن سلوم الذي سبق كلوت بك بفترة تقرب من مائتي عام[3].

---

(١) هو براسلس PARACELSE وسيرد ذكر لترجمة حياته.

(٢) O.CROLLIUS وسترد تر جمة حياته في مكان آخر من هذه المقدمة.

(٣) توفي الطبيب كلوت بك عام ١٨٦٧ م، وتوفي ابن سلوم عام ١٦٧٠.

وإنه لمن المؤسف حقاً أن لايلقى ابن سلوم الحلبي الاهتمام الذي يليق بدوره التاريخي من قبل الباحثين والمؤرخين، حتى أن الموسوعة الإسلامية في طبعاتها الإنكليزية والألمانية لاتذكر شيئاً عن شخصية ابن سلوم ولاعن مؤلفاته[٤].

وأرى لزاماً علي أن أقدم بالغ الشكر إلى الأساتذة رئيس وأعضاء مجلس جامعة حلب على تفضلهم بإتخاذ قرار بطباعة إنتاجي هذا في مطبعة الجامعة، ولايفوتني أن أوجه أيضاً شكري الجزيل إلى الزملاء رئيس وأعضاء مجلس معهد التراث العلمي العربي، الذين كانوا أصحاب الاقتراح على مجلس الجامعة بالطباعة.

ولابد لي من ذكر صديق عزيز عليّ هو الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا العالم المتميز في شؤون التراث العربي، والأستاذ في جامعة دمشق، فهو أول من لفت نظري إلى أهمية صالح بن سلوم الحلبي ومخطوطيه موضوع التحقيق والتحليل في هذه الدراسة.

كلمة أخيرة في هذا التصدير أخص بها معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب الذي سهل لي تأمين نسخ عديدة من مخطوطي ابن سلوم الحلبي من مكتبات العالم، كما كان لي من مكتبته معين هام فيما تحويه من مراجع.

ولعلّ هذا المعهد، يكون في المستقبل القريب قادراًعلى احتضان أعدادٍ وافرة من الباحثين في رحابه مع توفير كل الإمكانيات لهم ليعملوا على إحياءتراثنا العربي في خدمة الحضارة العربية والحضارة الإنسانية.

---

(٤) انظر مقالة الدكتور كمال صبري/منشورات كلية الطب بجامعة اسطمبول عن ابن سلوم، في ندوة عن«العلاقات الطبية التركية الألمانية»، في ١٨، ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٦ في اسطمبول.

المقــدمــــــة

ابن سلوم الحلبي:

سـيرتـه الذاتيـة

مؤلفاتـه

دوره التاريخـــي

بـــراكلســوس:

التعريف به وبدوره التاريخي

كــروليـــوس:

التعريف بـــه

ابن سلوم الحلبي

هو صالح بن نصر الله المعروف بابن سلوم الحلبي، ولد في مدينة حلب، ولم أجد في كل المصادر التاريخية التي استطعت الإطلاع عليها والتي تناولت حياة ابن سلوم الحلبي، أي تاريخ لمولده، إلاأن كل تلك المصادر مجمعة تقريباً على أنه توفي عام١٠٨١هـ / ١٦٧٠م فيما عدا المؤرخ التركي الدكتور كمال صبري كولتا الذي يحدد وفاته بعام ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م أي بفارق سنة واحدة[١].

أما مكان وفاته فينفرد الدكتور أحمد عيسى بك بتحديده في القسطنطينية[٢].

وأما غيره من المؤرخين فيجمعون على أن وفاته كانت في بلدة يني شهر بالأناضول.

والواقع أن المصادرالتاريخية التي تناولت ترجمة حياة ابن سلوم محدودة جداً وأهمها:

١- كتاب «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» لمحمد المحبي المتوفي عام ١١١١هـ / ١٦٩٩م[٣].

---

(١) المصدر نفسه، وهذا التاريخ لوفاة ابن سلوم نقله الدكتور كمال صبري عن المؤرخ لطف الله دادا أحد تلاميذ ابن سلوم.

(٢) د. أحمد عيسى بك -معجم الأطباء - الطبعة الثانية - دار الرائد العربي بيروت - لبنان ١٩٨٢ ص/ ٢٢٣.

(٣) محمد المحبي - خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر -دار صادر - بيروت - الجزء الثاني بدون تاريخ ص ٢٤٠-٢٤١.

التي فيها الدوا الذي يراد تعفينه فوق الحشيش ثم
يوضع فوق الجميع غطا يمنع صعود البخار الى خارج ثم يوقد
تحت القدر ليرتفع البخار الى القنينة وقد يكون
التعفين والتخمير بدفن القنينة في زبل الخيل
وهو يصنع على انحا شتى واولى طرقه ان يحفر
بير ثم يوضع في اسفله من زبل الخيل بقدر سمك اربع
اصابع ثم يوضع عليه قدر اصبعين من الجير الحي ثم
اربع اصابع من الزبل واصبعين من
الجير الحي حتى تملى نصف البير المحفور ثم يوضع
القنينة ويوضع فوقها الزبل تارة والجير تارة حتى
تملى البير بتمامه ثم يرش عليه الما الحار قليلا في
كل يوم وقد يغير الجير والزبل في كل اسبوع وقد يوضع
عوض الزبل بجير التراب ويجب ان يحكم سد فم
الانا الذي فيه الدوا بطين الحكمة وافضل
الاطيان لذلك الطين المسمى خاتم هرمس ثم
بعد تطيين فم الانا يجفف بالنار والاولى ان يرمى
الطين قبل جفافه ... ويورق مسحوق ثم
يطلى فوقه بشمع مذاب فانه احكم واجود واما مدة
التعفين فمختلفة بحسب استعداد المتعفن فان
كان رطبا كفى ذلك مدة ثلاثة ايام او اربعة او خمسة
وان كان يابسا فاوية يحتاج الى مدة اسبوعين او
ثلاثة ... في العفن الغسل هو تنقيتها من الوساخ
والادران والمراد بالوساخ ههنا ما يحتاج اليه او كان

في

مخطوط الطب الجديد الكيميائي

من نسخة مكتبة د.فوءاد سامي حداد/ بيروت

(ح)
٢

في وجوده ضرر وتكون بالماء القراح او بمياه المدبرة حارة
وسنعرف كل ذلك فيما يأتي مثلا اذا اردنا غسل الزيبق
اخذنا من الزيبق ما شئنا وغسلناه بماء الرماد والجير
وبعد غسله مرارا بذلك الماء يغسل بالملح والخل ثم يوضع
في القنينة ويوضع عليه صاعدا التراب بحيث يعلوه
قدر عرض اربعة اصابع فاذا تغير لون العرقي واسود
صب عنه ووضع ولا يزال يصب عليه العرقي حتى لا يتغير
لونه بعد العمل يتم غسل الزيبق فصل في النقع
والطبخ اعلم ان الغاية من النقع والطبخ هو
استخلاص اللطيف من الكثيف قالوا يجب ان يكون
لكل اوقية من الدواء رطل من الماء الكثيف كالو وقد
يحتاج في الادوية الصلبة كالعناقو والكوكبي
الى النقع اولا ثم يطبخ وكذلك الادوية اليابسة
كالافتاوية بخلاف الرطبة كالفواكه وما اشبه ذلك
فصل في التصفية التصفية تخليص الجسم عن
الاجسام الغريبة المخالطة له ويكون ذلك بما يطبخ ويترك
بياض البيض المحلول بالماء حين الطبخ فيرتفع الاجسام
الغريبة الخفيفة لاسطح المطبوخ الماني فيرفع بالمصفا
ويرسب الاجسام الثقيلة الى اسفل فيصفى بالجوخ او بخرق ٥
الماقة وقد يكون التصفية بالعصر كما يستخرج الادهان
اللوز والجوز وكما يستخرج اللعاب كلعاب بزرقطونا
وحب السفرجل وغير ذلك وقد تكون التصفية بالمنخل
كما يستخرج عسل الخيار شنبر بالمنخل فصل في

مخطوط الطب الجديد الكيميائي

من نسخة مكتبة د.فؤاد سامي حداد/ بيروت (ج ٢)

٢- كتاب «فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار أهل القرن الحادي عشر» للشيخ مصطفى المكي، المتوفي عام ١١٢٣ هـ/ ١٧١١م[٤].

٣- كتاب «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» للشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي.[٥]

٤- كتاب «معجم الأطباء - ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء» للدكتور أحمد عيسى.[٦]

بالإضافة إلى بحث باللغة التركية قدمه الدكتور كمال صبري في ندوة « العلاقات الطبية الألمانية التركية » التي انعقدت يومي ١٨ ،١٩ تشرين الثاني ١٩٧٦ في اسطمبول وهذا البحث منشور باشراف الدكتور أرسلان ترزي أوغلو أستاذ تاريخ العلوم الطبية بجامعة اسطمبول عام ١٩٨١ .[٧]

يقول محمد المحبي في الصفحتين ٢٤٠ ، ٢٤١ من الجزء الثاني من كتابه «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» عن ابن سلوم الحلبي :

« هو صالح بن نصر الله ويعرف بابن سلوم بفتح السين المهملة وتشديد اللام، الحلبي، رئيس أطباء الدولة العثمانية ونديم السلطان محمد بن ابراهيم.

وهو سيد الأطباء والحكماء، أظهر في فنون الطب كل معنى غريب، وركبها بمقدمات حسنة كل تركيب عجيب، فاستخرج الأمراض من أوكارها، وكان كل طبيب يعجز عن إظهارها .... »

ثم يتابع المحبي قوله في أن ابن سلوم « ولد بحلب ونشأ بها وأخذ عن أكابر

---

(٤) إن ماجاء في هذا الكتاب عن ابن سلوم الحلبي اطلعت عليه من كتاب الدكتور أحمد عيسى«معجم الأطباء »الطبعة الثانية - دارالرائد العربي - بيروت ١٩٨٢ - ص/ ٤٠ .

(٥) محمد راغب الطباخ الحلبي - اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء- المطبعة العلمية بحلب، ١٩٢٦م الجزء السادس ص٣٤٤-٣٤٦.

(٦) ص/ ٢٢٢, ٢٢٣ ،وقد سبق التعريف بهذا الكتاب في إحدى الحواشي.

(٧) لقد تفضل الدكتور أكمل الدين احسان أوغلي مدير مركزالأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطمبول بتزويدي بنسخة عن هذا البحث، فله شكري الجزيل.

شيوخها، اشتغل بالعلوم العقلية، وجدّ في تحصيلها حتى برع، وغلب عليه علم الطب».

ثم يورد المحبي في مقطع آخر: «ثم تولى مشيخة الأطباء بحلب ولم يزل على تلك الحالة حتى رحل إلى الروم واختلط بكبرائها واشتهر أمره بينهم، ونما حظه حتى وصل خبره إلى السلطان فاستدعاه وأعجبه لطف طبعه، فصيّره رئيس الأطباء، وأعطاه رتبة قضاء القسطنطينية ......».

ومن الواضح أن السلطان المقصود، هو محمد بن إبراهيم خان الرابع[8] كما أن رتبة «قضاء قسطنطينية» تعني رتبة «قاضي عسكر» وهي رتبة شرفية كبيرة في ذلك الوقت، لاتمنح إلا لشخصية مرموقة لها وزنها في السلطنة.[9]

ويذكر محمد المحبي أيضاً في كتابه «خلاصة الأثر»، أن ابن سلوم الحلبي كان حسن الصوت، عارفاً بالموسيقى، صارفاً أوقاته في الملذات، وأن له رواية في الشعر والأخبار، وانه كان صاحب نكتة.

- أما المرجع الثاني الذي ذكرته أعلاه، وهو كتاب «فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار أهل القرن الحادي عشر» فيضيف إلى معلوماتنا عن ابن سلوم الحلبي انه كان حنفي المذهب، واسع الثقافة تلميذاً لشيخ الإسلام يحيى المنقري، وانه حين يحتدم النقاش في المواضيع الشرعية، كانت آراؤه هي التي يؤخذ بها،

- وفي المرجع الثالث، أي كتاب «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» فإن مؤلفه الشيخ محمد راغب الطباخ يكرر المعلومات التي أوردها محمد المحبي في كتابه، «خلاصة الأثر» ويضيف إلي ذلك ان ابن سلوم الحلبي بسبب صلته الوثيقة بالسلطان محمد الرابع،

---

(٨) امتدت فترة حكم هذا السلطان من ١٦٤٨ حتى ١٦٨٧ م.

(٩) هذا التوضيح حصلت عليه من السيد الدكتور أكمل الدين احسان أوغلي المدير العام لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطمبول (تركيا) وذلك في كتاب خطي أرسله لي بتاريخ ٢/٦/١٩٨٤.

ونفوذه القوي لديه، نفع بجاهه كثيراً من أصدقائه ومعارفه، والعديد ممن يقصدونه طالبين مساعدته، حتى أن شعراء عصره تباروا في مدحه. ويقول محمد راغب الطباخ إن أفضل ماقيل في مدحه من شعر، قصيدة نظمها المرحوم عبد الباقي بن أحمد السمان الدمشقي مطلعها:

بذكرك بعد الله يستفتح الذكر   فما لسواك نهي ولا أمر

وهذه القصيدة يذكرها أيضاً محمد المحبي، ومنها:

أمولاي إقبالاً لعبد توجهت   إليك به الآمال وصلته الشكر
إذا ماجرى ذكراك في مجلس غدا   يميل كما النشوان مالت به الخمر
ويبخل بالتصريح باسمك غيرة   وحباً وإجلالاً وإن علم الأمر
وهل تختفي الشمس المنيرة في الضحى   ويكتم نور البدر أو يستر الفجر
جنا بك مسعود وبابك كعبة   تطوف بها الآمال تسبيحها الشكر

ويورد الشيخ محمد راغب الطباخ أيضاً ماأورده المحبي أن ابن سلوم الحلبي، كان يميل إلى الطرب والمجون، وانه كان يروي الشعر وينظمه وان أكثر شعره في الخمريات، ولكنه يعود فيقول، شأنه شأن المحبي، إنه لم يُسْمعْ له إلاَّ بيتان من الشعر هما:

سقاني من أهوى كلون خدوده   مداماً يرى سر القلوب مذاعا
ومذ شبب الابريق في كأس حاننا   أقامت درايش الحباب سماعا

- والمرجع الرابع عن ترجمة حياة ابن سلوم، وهو«معجم الأطباء» للدكتور أحمد

عيسى، فإنه يذكر عن صالح بن سلوم الحلبي:

« انه رئيس الأطباء بقسطنطينية، الحبر الكبير، الكامل النحرير والجوهرالفرد النفيس، سيد الأطباء والحكماء......».

وكرر ماورد في كتاب محمد المحبي من معلومات حول سيرة ابن سلوم وحياته، ولكنه ركز بعبارات قوية مسجوعة عن ميل ابن سلوم الحلبي للمجون بقوله:

« صرف أكثر أوقاته في اجتناء الأفراح، واجتلاء شموس الأقداح، مغرماً بكل طرف ساحر، ومقتنصاً لكل ريم نافر، ممن زاد جماله، واقمر هلاله......»[١٠]

وبعد الإشادة بمعلوماته الطبية وبراعته في العلوم العقلية، يذكر االدكتور أحمد عيسى أيضاً أن ابن سلوم الحلبي كان يحضر دروس شيخ الإسلام يحيى المنقري ويجيب على المسائل الشرعية التي يعجز عن شرحها كل الحاضرين.

- وأما المرجع الذي سبق أن ألمحت إليه، أي النشرة الصادرة باللغة التركية عن كلية الطب بجامعة اسطمبول عام ١٩٨١ والمتضمنة مقالاً للدكتور كمال صبري قدم في ندوة العلاقات الطبية التركية الألمانية، أقيمت عام ١٩٧٦ باسطمبول، فإننا نواجه تفاصيل عن ابن سلوم الحلبي من مصادر تركية ومفادها ان ابن سلوم الحلبي بدأ بدراسة االعلوم الشرعية في مدينة حلب مسقط رأسه، ثم درس الطب في دار الشفاء بحلب[١١] وبفضل نباهته

---

(١٠) د. أحمد بن عيسى - معجم الأطباء - الطبعة الثانية - دار الرائد العربي، بيروت، لبنان - ١٩٨٢ ص/ ٢٢٢، ٢٢٣.

(١١) يبدو أن المقصود بدار الشفاء بحلب هو البيمارستان الأرغوني الكاملي الذي أنشأه الأمير سيف الدين أرغون الكاملي عام ٧٥٥ هـ/ ١٣٥٤م أيام الملك الصالح محمدبن قلاوون. وكانت البيمارستانات تقوم بدور معاهد لتدريس الطب إضافة إلي كونها مشافي عامة، وذلك على غرار البيمارستان النوري بدمشق، فقد كان مشفى ومعهداً، درّس فيه أبو المجد ابن أبي الحكم ومهذب الدين عبد الرحمن الدخوار وكثير غيرهم، (أنظر كتاب « عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة - الطبعة الثالثة ١٩٨١، منشورات دار الثقافة - بيروت، الجزء الثالث ص/ ٢٥٦، ٣٩٠).

ونجاحه في مهنته، وصل إلى وظيفة رئيس أطباء ولاية حلب.

ثم انتقل إلى اسطمبول برفقة أبشير باشاوالي حلب، وقد شغل ابن سلوم في بداية إقامته باسطمبول وظيفة طبيب خاص للسلطان، ومن ثم أصبح رئيساًلأطباء «دار شفاء الفاتح» وفي عام ١٦٥٦م تولى رئاسة أطباء المملكة العثمانية.

ولدى تدقيق ماجاء في المراجع، التي أوردتها والتي تضمنت أخباراًعن حياة ابن سلوم الحلبي وسيرته الشخصية، نجد أن المرجع الرئيسي لها هو كتاب «خلاصة الأثر» لمحمد المحبي، وأن المراجع العربية الأخرى رددت ماجاء في ذلك الكتاب مع بعض الإضافات المحدودة التي أوردها مصطفى المكي في كتابه«فوائد الارتحال» وهو أمر يمكن تفسيره بأن المحبي كان معاصراً لابن سلوم تقريباًلأنه توفي بعد وفاة ابن سلوم بثلاثين سنة فقط، كما أن مصطفى المكي توفي بعد اثنتين وأربعين سنة من وفاة ابن سلوم أي لم يكن بعيد العهد أيضاًعن ابن سلوم .

إن هذه المعلومات التي وصلتنا عن سيرة ابن سلوم، على قلتها ، لم تكن تخلو من المبالغة فيما يتعلق بما نعتته تلك المراجع بمجون ابن سلوم. فقد يكون ابن سلوم محباً للموسيقى، وقد يكون حسن الصوت محباً للطرب، إلاان امرءاً يبدأ تحصيله بالعلوم الشرعية ويتعمق بها وبالعلوم الطبية، ويصل إلى ما وصل إليه من مراكز، يصعب أن نصدق ما ذكرته المراجع (وخاصة أحمد عيسى) من أن ابن سلوم الحلبي يسعى وراء كل ريم نافر، ويجتلي شموس الأقداح، ويغرم بكل طرف ساحر ، وما إلى ذلك من أوصاف . ولربماكان ذلك وارداً في مطلع صباه في بلدته (حلب) ، أي في مرحلة مبكرة جداً من شبابه قبل أن يبدأ بدراسة العلوم الشرعية وقبل دراسته للطب.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب الطب الجديد الكيميائي الذي اخترعه براكلسوس
يشتمل على مقدمة ومقالات :
المقدمة في تعريف الكيميا وبيان الحاجة اليها والغرض
منها فنقول الكيميا لفظ يوناني اصله خيميا ومعناه -
التحليل والتفريق وبعض الناس يطلق عليها الصناعة
الهرمسيه وقال قوم يطلق عليها امر الحكمه واول من
اخترعها هو هرمس المثلث المصري وعلمها للحكمه و
بعد ذلك شاعت حتى وصلت الى اليونان وصنفوا في
ذلك كتبا ورسايل ثم الى الاسلاميين والفوا فيها كتبا
كثيرة ورسايل عديدة والمقصود من ذلك اصلاح المعادن
وتغييرها من الفساد الى الاصلاح كقلب النحاس فضه و
الفضه ذهبا الى ان جاء اكلسوس الجراحي فغير الغرض
من صناعة الكيميا وجعلها من اقسام صناعة الطب
استاعريا بالاطينية ومعناه جمع المختلفات وتفريقها
وهذا الاسم مخصوص بصناعة الطب الكيميائي وان

قد

مخطوط الطب الجديد الكيميائي
من : نسخة مكتبة معهد التراث بجامعة حلب (م)

مؤلفاتـه

========

ألف صالح بن سلوم ثلاثة كتب هي :

١ـ كتاب «برء الساعة » باللغة العربية. إلا أن هذا الكتاب مفقود تماماً، ولم يتم العثور على أي نسخة منه حتى الآن، وقد ورد ذكره في أكثر المراجع التي أرّخت لابن سلوم، وقد نعت المحبي هذا الكتاب بأنه «كتاب لطيف». كما ورد ذكر هذا الكتاب في فهرس اسماعيل البغدادي المسمى« هداية العارفين »[١٢]،وفي «معجم المؤلفين » لعمر رضاكحالة [١٣]. و «معجم الأطباء» للدكتور أحمد عيسى[١٤] .

٢ـ كتاب «غاية البيان » وهو مؤلف باللغة التركية، وتوجد منه في المكتبة الظاهرية بدمشق نسختان مخطوطتان، الأولى برقم ٣١٥٠ وتحمل تاريخاً للنسخ هو الثامن من شعبان عام ١٠٩٥ هـ والناسخ هو أحمد الحافظ، والنسخة الثانية بخط سيد محمد الرهاوي وهي برقم ٣١٥١ وتاريخ النسخ هو عام ١٢١٤هـ.

وقد عالج ابن سلوم في هذا الكتاب تعديل الأسباب الستة الضرورية للصحة (الهواء، مايؤكل ويشرب، حركة و سكون النفس، النوم واليقظة، الإستفراغ والإحتباس) كما يتضمن الكتاب بعض الأدوية كالمعاجين والأقراص وبعض الأمراض التي تختص بعضو دون آخر[١٥] .

---

(١٢) اسماعيل البغدادي ـ هدية العارفين ـ مطبعة وكالة المعارف باسطمبول ١٩٥١ـ المجلد الأول ص/٤٢٣ .

(١٣) عمر رضا كحالة ـ معجم المؤلفين ـ مكتبة المثنى ، بيروت (لبنان) ١٩٧٥ .

(١٤)أحمد عيسى ـ معجم الأطباء ـ دار الرائد العربي ، بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨٢ ص/٢٢٣ .

(١٥) د . سامي خلف حمارنة ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (طب وصيدلة) مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩ ص٤١٢.

وقدُ ترجم هذا الكتاب إلى العربية في القرن الثالث عشر الهجري من قبل محمد بن شريف الحلبي الذي أعطاه عنوان :

« غاية البيان في تدبير بدن الإنسان »

وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق نسختان من هذه الترجمة :

الأولى - برقم عام في الظاهرية : ٧١٠٨ ورقم خاص في فهرس الدكتور سامي حمارنة : ١٢٠ ط[١٦].

تاريخ النسخ : شعبان ١٢٥٩هـ، والناسخ هو محمد شريف الحلبي وهو المترجم نفسه.

الثانية - برقم عام في الظاهرية : ٧١٤٣ وفي هذه النسخة إشارة واضحة إلى أن الكتاب وضع في الأصل بالتركية ، ثم ترجم إلى العربية .إذ ورد في أول المخطوط :

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم ....»

وأما بعد، فيقول العبد الفقير إلى مولاه الغني، محمد (بن شريف الحلبي)لما جمعتني يد القدرة بالكتاب المسمى(بغاية البيان)المنسوب إلى أستاذ المتأخرين، أبقراط زمانه، وجالينوس عصره وأوانه صالح أفندي بن المرحوم نصر الله أفندي رحمه الله.........»

وجاء في خاتمة المخطوط :

« تم بعون الملك المنان، في اليوم الحادي والعشرين من صفر الخير لسنة اثنين وستين ومائتين وألف، على يد ناسخه ومعربه، العبد الفقير المحتاج إلى عفو ربه الغني، محمد بن شريف الحلبي المنسوب لجده الحسيب، النسيب قضيب البان، اللهم نحمدك ونشكرك، بحرمة

(١٦) صلاح محمد الخيمي - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (طب وصيدلة) - الجزء الثاني - مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨١ص ٣٨٩.

سيد الأنام كما يسرت الإبتداء ويسرت الختام»[17].

ومن هاتين النسختين نستنتج أن ترجمة محمد بن شريف الحلبي تمت عام ١٢٥٩هـ وأنه قام بنسخه مرة أخرى عام ١٢٦٢هـ / ١٨٤٥م مؤكداً في هذه النسخة الثانية أنه هو الذي ترجم الكتاب من التركية إلى العربية وانه هو الناسخ.

وأما اسماعيل البغدادي فيقول إن كتاب «غاية البيان» هو الترجمة التركية لكتاب « غاية الإتقان في تدبير بدن الإنسان»[18]. وأرى أن البغدادي التبس عليه الأمر فوقع في الخطأ، لأن كل كتاب منهما مختلف عن الآخر في المضمون والمواضيع. فكتاب« غاية البيان» يعالج المبادىء الأولية في حفظ الصحة الجسمية والنفسية وفي شؤون التغذية، بينما يبحث كتاب «غاية الإتقان» في الأمراض وشؤون المعالجة وعلم الأدوية والأقراباذينات[19].

٣ـ كتاب « غاية الإتقان في تدبير بدن الإنسان»:

وهو أهم مؤلفات ابن سلوم الحلبي. ألفه باللغة العربية، وتتوفر منه نسخ مخطوطة عديدة في المكتبات العربية والعالمية. وتجمع هذه النسخ على أن مؤلفها هو ابن سلوم الحلبي.

---

(١٧) نفس المصدر ص ١٧١، ١٧٢.

(١٨) اسماعيل البغدادي ـ هدية العارفين ـ مطبعة المعارف اسطمبول ١٩٥١ ـ المجلد الأول ص ٤٢٤.

(١٩) جاء في« فهرس مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة» لمكتبة المتحف العراقي، وضع أسامة النقشبندي، طبع دار الرشيد ببغداد ١٩٨١ ص/ ٢٢٦أن كتاب «غاية الإتقان» ترجم إلى اللغة التركية بعنوان « نزهة الأبدان في ترجمة غاية الإتقان». وقد ورد مايؤيد ذلك في كتاب «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون» تأليف اسماعيل باشا البغدادي، منشورات مكتبة المثنى في بغداد وبيروت، المجلد الثاني ص/ ٦٣٣ مع بيان أن المترجم هو رئيس الأطباء أبو الفيض مصطفى بن محمد المعروف بحياتي زاده. كما جاء في بروكلمان المجلد الثاني ص/ ٥٩٥ ان مكتبة اسطمبول تحتوي على نسخة مخطوطة من «نزهة الأبدان» برقم٢٢٥ يلدز / طب.

يتألف هذا الكتاب من أربعة أقسام:

آ- القسم الأول: في قوانين الأمراض ويشتمل على أربع مقالات.

ب - القسم الثاني: في قوانين تركيب الأدوية وبيان الحاجة إلى التركيب والمواد التي هي أصول التركيب ويشتمل على ثلاثة أبواب.

د - القسم الثالث: في الأقراباذين الجامع في المركبات، ويشتمل على بابين وكل منهما مقسم إلى فصول.

ء - القسم الرابع :ويحتوي على كتابين :

الأول: كتاب الطب الجديد الكيميائي عن آراء ونظريات العالم السويسري باراكلسوس.

الثاني: ترجمة من اللاتينية لكتاب« الكيمياء الملكية» للطبيب الألماني اسفالد كرولليوس.

وهذان الكتابان الأخيران هما موضوع التحقيق والمناقشة والتحليل في هذا الكتاب. ونحن إذا تصفحنا مخطوط« غاية الإتقان» بأقسامه الأربعة نلاحظ مايلي:

١- انه من أفضل الكتب الطبية الصيدلانية التي ألفت باللغة العربية في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر للميلاد بسبب وضوحها وحسن تبويبها وسلاسة تعبيرها.

٢- الأقسام الثلاثة من هذا الكتاب تعبر عن آراء ومعلومات ابن سلوم الطبية، وهي ليست مجالاً للتحقيق والدراسة في كتابنا هذا، إلا أنها تستحق الإهتمام والدراسة المعمقة لأنها تعبر عن آراء ونظريات طبيب مخضرم يتأرجح بين مفاهيم الطب التقليدي، وبين التيارات الأوربية الثائرة على ذلك الطب التقليدي والتي حمل لواءها منذ القرن السادس عشر للميلاد العالم السويسري براكلسوس. ويعتبر المؤرخون ذلك القرن بداية للنهضة الطبية الأوربية. وهذه الأقسام الثلاثة من الكتاب مازالت مخطوطة، ولعل

الفرصة تتاح لي في المستقبل للقيام بتحقيقها.

٣ـ أما القسم الرابع من مخطوط كتاب« غاية الإتقان» فقد خصصه ابن سلوم الحلبي لنقل التيارات الطبية التي ظهرت في القرن السادس عشر للميلاد، والتي هاجمت الطب البقراطي والجالينوسي والعربي، فرفضت نظرية الاخلاط التي ارتكز عليها الطب التقليدي منذ عهد ابقراط (القرن الرابع قبل الميلاد) كما رفضت أساليب المعالجة والمداواة التي كانت سائدة حتى ذلك العصر ،وكان السويسري براكلسوس مؤسساً وزعيماً لتلك المدرسة الثائرة، وقد استبدل نظريات التشخيص والمعالجات التقليدية بما أطلق عليه تسمية « الطب الجديد الكيميائي».

وقد حرص ابن سلوم على أن يقدم لمن عاصره من الأطباء والصيادلة في العالم العربي عرضاً لهذا « الطب الجديد الكيميائي » في كتابين أحدهما يتعلق ببراكلسوس ونظرياته، والثاني بتلميذه اسفالد كروලليوس، وقد سبق أن ألمحت إلي هذين الكتابين حينما وصفت تبويب كتاب« غاية الإتقان في تدبير بدن الإنسان» لطبيبنا الحلبي ابن سلوم.

ونظراً لأن ابن سلوم الحلبي هو أول من نقل إلى اللغة العربية المفاهيم والنظريات الطبية لبراكلسوس ومدرسته ، فمن المؤكد أنه نقلها من مصادر أجنبية. فمن أية لغة أجنبية نقل تلك المعلومات؟

بالنسبة لكتاب «الكيمياء الملكية » فقد صرح ابن سلوم أنه نقله عن اللغة اللاتينية، فقد أورد في مطلع ذلك الكتاب بعد البسملة:

«وبعد، فقد ألف في صناعة الطب الكيميائي قرولليوس كتاباً مختصراً مفيداً لملك زمانه، وهو يشتمل على مقالتين، فأردنا أن ننقله من اللاتينية إلى العربية ليكون عام

النفع، وسمى هذا الكتاب (كيميا با سيليقا) أي (الكيمياء الملكية).

أما الكتاب المتعلق بنظريات براكلسوس نفسه في الطب الكيميائي، فلم يذكر ابن سلوم من أية لغة أجنبية نقله، ويعتقد بروكلمان والدكتور سامي خلف حمارنة أن ابن سلوم ترجم ونقل تلك الآراء الواردة عن براكلسوس من اللغة الألمانية[٢٠]. وقد استند في ذلك إلى أن براكلسوس كان يؤلف ويحاضر في طلابه بالألمانية، لغة قومه، غير عابئ بانتقادات الأساتذة المعاصرين له الذين كانوا يؤلفون ويحاضرون باللغة اللاتينية[٢١] ونحن نرى أن ابن سلوم يجيب هو نفسه عن ذلك، فقد جاء في نهاية ذلك المخطوط مايلي:

«هذا آخر مااخترناه ونقلناه من كتاب سنارتوس الجرماني الذي ألّف في صناعة الطب، ومن أقرباذين واقريوس في تقطير الأرواح والأدهان، وبذا تم الكتاب آمين».

وهذا يشير بوضوح أن كل ماكتبه ابن سلوم في مخطوط «الطب الجديد الكيميائي» كان مختارات من مؤلفات للجرماني سنارتوس، وللطبيب الألماني واقريوس، ونظراً لأن ما ألفه سنارتوس وواقريوس كان باللغة اللاتينية، يتبين لنا أن ابن سلوم اعتمد على معرفته باللاتينية فيما أورده في مخطوطه المذكور عن مفاهيم ونظريات براكلسوس الطبية. ولمزيد من التوضيح نقول:

كان سنارتوس Danniel Sennert طبيباً ألمانياً ولد عام ١٥٧٢م وتوفي عام ١٦٣٧م وألّف ونشر مؤلفات طبية كثيرة كان منها كتاب كبير ألّفه باللاتينية باسم

---

(٢٠) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ الطب والصيدلة، وضع د. سامي خلف حمارنة. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩ ص/ ٤١٥.

(٢١) برناد جافي ـ كتاب بواتق وأنابيق ترجمة د. أحمد زكي، مطبعة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٦٠ ص/ ٢٣.

Instituticum Medicinae (القوانين الطبية) وقد استند ابن سلوم على هذا الكتاب فيما نقله من نظريات ومفاهيم براكلسوس الطبية.

أما واقريوس Johann Jacob wecker فهو طبيب وكيميائي ألماني ولد عام ١٥٢٨م وتوفي عام ١٥٨٦م وله مؤلفات طبية وكيميائية عديدة وقد ألف اثنين من الأقرباذينات الأول هو الأقرباذين العام Antidotarium Generale نشر في مدينة بال عام ١٥٧٦م ، أتبعه في العام التالي بأقرباذين آخر هو« الأقرباذين الخاص -Antidotarium Speciale - ثم جُمع الإثنان في مجلد واحد لاقى رواجاً كبيراً، ومن هذا الأقرباذين المؤلف باللاتينية أخذ ابن سلوم معلوماته عن تقطير الأرواح والأدهان في مخطوطه.

وعلى هذا يكون ابن سلوم الحلبي قد نقل أسس مدرسة براكلسوس الطبية في مخطوطيه« الطب الجديد الكيميائي» و «الكيمياء الملكية» من مصادر أجنبية محررة باللغة اللاتينية، ومن المرجح أنه لم يكن يعرف لغة أجنبية غيرها.

تكرر حتى الآن مراراً ذكر العالم السويسري براكلسوس، والعالم الألماني كرولليوس، ويبدو بوضوح أن مخطوط ابن سلوم موضوع هذا الكتاب وثيق الصلة بهما، ولذا فلابد من التعريف بكل منهما، فلعل مثل هذا التعريف، يفيد في تفسير سلوكهما الإجتماعي والعلمي، وخاصة فيما يتعلق ببراكلسوس.

براكلسوس : PARACELSUS

اسمه الحقيقي تيوفراست بومباست فون هوهنهايم Theophraste Bombast Von Hohenheim وأما باراكلسوس(أو براسلس Paracelse)فهو لقب أطلقه هو على نفسه على

سبيل التفاخر ليبين أنه نظير للطبيب الروماني الشهير Celse (أو Celsus) من أطباء القرن الأول للميلاد.

ولد براكلسوس في السابع عشر من كانون الأول(ديسمبر) عام ١٤٩٣ للميلاد في بلدة ماريا آينسيدلن Maria - Einsiedeln بالقرب من مدينة زوريخ في سويسرا، وكانت آنذاك أرضاً ألمانية، وهذا مادعا ابن سلوم لنعته بالجرماني. وكان والده ولهلم فون هوهنهايم طبيباً، وأما والدته فقدتوفيت بعد ولادته بزمن قصير جداً.ويبدو أن براكلسوس كان الإبن الوحيد لوالديه وانه كان ضعيف البنية[٢٢] .

لانعرف الكثير عن مرحلة الشباب الأولى لبراكلسوس، إلا ماصرح به هو عن نفسه من أنه إهتم بالطب والخيمياء (الكيمياء القديمة Alchimie)[٢٣]. متأثراً بوالده الطبيب. ومن المؤكد أن براكلسوس ذهب عام ١٥١٤م إلى التيرول حيث عمل مدة عام واحد في مناجم فوكر Sigismond Fugger اكتسب خلالها خبرة فنية واسعة بالمعادن الثمينة. وبدأبعد ذلك بالتنقل فسافر إلى ألمانيا وفرنسا وانكلترا والبلاد السكاندينافية وايطاليا، وفي ايطاليا حصل على لقب الدكتوراه في الطب من جامعة فيراري.[٢٤]

وكان براكلسوس، في أسفاره المتتابعة يعقد صلات مع أناس من كل الفئات، ومن

---

(٢٢) كتاب L'alchimie تأليف - هولميارد، منشورات Arthaud فرنسا ١٩٧٩ ص/ ١٧٥.

(٢٣) لم يجمع المهتمون بالكيمياء وتاريخها على مصطلح يفيد معنى ال Alchimie فالبعض يستعمل كلمة «السيمياء» إلا أن معنى هذه الكلمة اللغوي بعيد جداً عن المقصود، والبعض يستعمل تعبير «الكيمياء القديمة» وهو تعبير صحيح جداً يفيد المعنى ويبعد الإلتباس بينها وبين الكيمياء بمفهومها الحديث ولكن المحذور في هذا التعبير أنه مؤلف من كلمتين، والأفضل استعمال مصطلح من كلمة واحدة يؤمن المعنى المطلوب، ولذا فضلت استعمال مصطلح «الخيمياء» نقلاً عن قاموس المورد لمنير البعلبكي.

(٢٤) جاء في قاموس المؤلفين Dictionnaire Biographique des Auteurs من منشورات Bompiani باريس ١٩٦٥ الجزء الثاني ص/ ٣١٦ أن براكلسوس حصل على شهادة في الطب من مدرسة سالرنو حوالي عام ١٥٢٢.

كل المهن والجنسيات: صيادلة، معدّنين، خيميائيين، أطباء، سحرة،وفنانين وغيرهم.

وفي عام ١٥٢٦م حصل على لقب مواطن في بلدة ستراسبورغ (عاصمة الإلزاس)، فاستقر فيها طبيباً. وقد حالفه الحظ في هذه البلدة فذاع صيته عندما استطاع شفاء شخص ذي مكانة إجتماعية كبيرة يعمل في النشر والطباعة هو جان فروبن Johann Froben (أو Frobenius) كان مرضه قد استعصى على أطباء تلك البلدة[٢٥].

كما استطاع أن يشفي ضيفاً لجان فروبن هو ايراسم Erasme الذي كانت له شهرة علمية كبيرة وبذلك أضحى براكلسوس طبيباً مشهوراً حتى ان أستاذ اللاهوت في جامعة «بال» وهو أوكولامباديوس Oecolampadius كان يزكيه ويجتمع به ويرى فيه شخصية طبية عظيمة. وقد رشحت هذه الشخصيات اللامعة براكلسوس لدى السلطات في بلدة بال Bâle السويسرية لاستلام منصب مزدوج كان شاغراً آنذاك وهو جراح البلدة وأستاذ في كلية الطب وهو ترشيح قبلته السلطات فوراً.

إلا أن براكلسوس لم يستطع أن يستمر في مهماته الجديدة إلا سنتين فقط، لأنه كسب عداوة كل المشتغلين في العلوم الطبية من أطباء وصيادلة، لأنه هاجم نظرية الاخلاط التي سيطرت على المفاهيم الطبية حوالي ألفي عام، كما هاجم بعنف نظرية المداواة بالعقاقير النباتية ونادى باستعمال العقاقير ذات المنشأ المعدني. والواقع أنه لم يلغ استعمال العقاقير النباتية ولكنه رأى استعمالها أدوية مساعدة للعقاقير المعدنية التي اعتبرها ذات الفعالية الأساسية في المعالجة.

وقد تعرض للهجوم من قبل المثقفين والأساتذة والعلماء لأنه كان يقوم بتدريس الطب

(٢٥) هو لمارد كتاب الخيمياء L' Alchimie وقد سبق التعريف به.

في جامعة بال باللغة الألمانية بدلاً من تدريسها باللغة اللاتينية وهي لغة العلم آنذاك[٢٦].

هاجم براكلسوس جالينوس وابقراط ومن تأثر بمدرستهما، ونعتهم بأنهم ضعيفو الإدراك، جاهلون، أغرار في الطب والتشخيص والمعالجة حتى وصل به الأمر إلى درجة إحراق مؤلفات ابن سينا وجالينوس في ساحة عامة وفي حوض من النحاس وضع فيه كمية من الكبريت وملح البارود (Salpêtre). وبعد إحراق هذه الكتب التفت إلى الموجودين حوله وقال: لتذهب تلك السخافات إلى الأبد[٢٧].

وبنتيجة هذه التصرفات التي تخلو من كل هدوء ولباقة، وبسبب تهجمه المستمر والمقذع على كل ما يتعلق بالطب التقليدي، وبالعاملين في الحقول الطبية من أطباء وصيادلة وعشابين، فقد أعلن هؤلاء عليه الحرب العنيفة للتخلص منه، إلا أن بعض الشخصيات ذات النفوذ الرسمي والشعبي كانت تسنده وتبقيه في منصبه، إلى أن تعرض لوضع حرج اضطره إلى الهرب من مدينة بال .ذلك أن مواطناً من رجال الإكليروس في تلك البلدة ويسمى ليشتنفلس Lichtenfels أصيب بمرض ووعد بدفع مائة جيلدن للطبيب الذي يشفيه. قبل براكلسوس العرض واستطاع شفاء هذا المريض الذي رفض أن يدفع المبلغ الذي تعهد بدفعه لبراكلسوس. ولما كان براكلسوس حاد الطباع لم يسكت عن هذا التصرف ولجأ إلى القضاء.

ولسبب ما، وربما كان بسبب نقص في شكليات الدعوى، خسر براكلسوس هذه الدعوى، الأمر الذي استثار غضبه فهاجم القضاة هجوما عنيفاً لم يسبق للقضاء أن واجهه. ولما شعر أن مهاجمته للقضاة قد يوقع به عقوبات شديدة، سارع إلى الهرب سراًمن مدينة بال وبدأ التجوال في ألمانيا والنمسا. وفي هذه المرحلة بدأت مدخراته من

---

(٢٦) هولمارد كتاب الخيمياء L' Alchimie ص/ ١٧٧ وسبقت الإشارة إليه في الحواشي.

(٢٧) هولمارد كتاب الخيمياء L' Alchimie ص/ ١٧٧ وسبقت الإشارة إليه.

المال تتناقص إلى الحد الذي أجبره على إهمال لباسه، حتى أصبح مظهره شبيهاً بمظهر المشردين، مما دفع بالمسؤولين في بلدة اينسبروك النمساوية إلى عدم السماح له بدخول المدينة. وقال براكلسوس في ذلك:

« لاشك أن رئيس بلدية اينسبروك اعتاد أن يرى الأطباء يرتدون الثياب الحريرية ولكنه لم ير أبداً أطباءً بلباس ممزق، يسيل عرقهم تحت وهج أشعة الشمس»[٢٨].

وأخيراً فإن الدوق ارنست رئيس أساقفة بافاريا، والذي كانت له اهتمامات بالعلوم الخفية، دعاه للإقامة في مدينة سالزبورغ[٢٩]. إلا أن هذا الشريد لم يستمتع طويلاً بجو السلام والعطف هناك، فهو قد وصل مدينة سالزبورغ في نيسان من عام ١٥٤١ وتوفي في ٢٤ إيلول (سبتمبر) من العام نفسه، وهو ابن ثمانية وأربعين عاماً، أي في عمر الشباب، إلا أن الحياة المحمومة القلقة التي عاشها استنفذت طاقاته الجسمية وصحته، وربما كان للأبخرة المنطلقة من تجاربه الكيميائية المستمرة التي تدخل فيها المركبات الزئبقية والرصاصية تأثيرات ضارة على صحته[٣٠].

دفن براكلسوس في مقبرة سان سيبا ستيان بمدينة سالزبورغ وكتب على قبره:

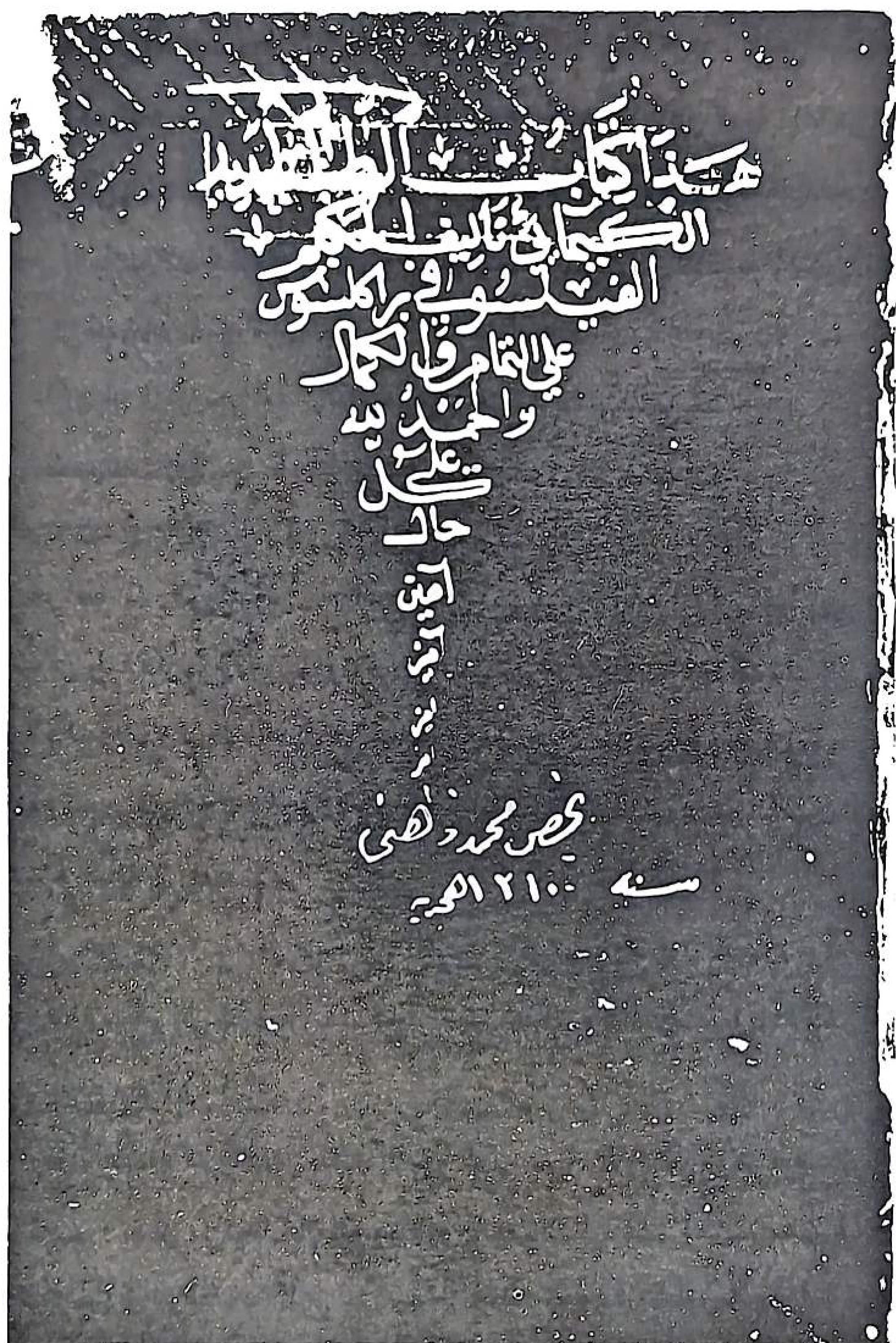
«هنا يرقد فيليبوس تيوفراستوس الطبيب اللامع الذي كان يعالج بكفاءة تدعو إلى الإعجاب، الجروح والطاعون والنقرس والإستسقاء وغير ذلك من الأمراض وكان يمنح الفقراء من المال الذي يكسبه وفي ٢٤ إيلول (سبتمبر) من عام ١٥٤١ توفي».

وقد راجت شائعات تفيد أن وفاته كانت بنتيجة حفلة مجون وعربدة، شرب فيها كميات كبيرة من المشروبات الكحولية فشمل حتى الموت. ووجدت هذه الشائعات من

(٢٨) أنظر كتاب « بوائق ونابيق » لبرنارد جافي، ترجمة د. أحمد زكي مطبعة النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٦٠ ص/ ٣٢,٢٤ وكتاب الخيمياء L' Alchimie لهوليمارد ص١٧٩.

(٢٩) هي الآن بلدة في النمسا وكانت فيما مضى أرضاً ألمانية تابعة لإقليم بافاريا.

(٣٠) قاموس تراجم المؤلفين Dict. Biographique des Auteurs منشورات Bompiani باريس الجزء الثاني ص/ ٣١٦.


هذا كتاب الطب الجديد
الكيميائي تأليف الحكيم
الفيلسوف فراكلسوس
على التمام والكمال
والحمد لله
على كل
حال
آمين
بخط محمد ذهني
سنة ١٢١٠ الهجرية

مخطوط الطب الجديد الكيميائي

من نسخة مكتبة الكونغرس (الولايات المتحدة) (غ)

يؤكدها في مطلع القرن التاسع عشر حين الكشف عن جثته، إذ وجد كسر في جمجمته، فظن أنه حدث من سقوطه وهو ثمل، على جسم صلب، أو بسبب ضربة على الجمجمة. إلا أن فحصاً أكثر دقة جرى للجمجمة في عام ١٨٨٠ أثبت أن ماظُن كسراً إنما هو نوع من التشوه الخلقي بسبب مرض الخرع Rachitisme كما استُبعد أن تكون وفاته حدثت في ظروف غير عادية لأنه كتب وصيته (وهي ماتزال موجودة) وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام مما يدل على أنه كان مدركاً قرب نهايته(٣١).

كرولليـــــــــوس

هو اسفالد كرولليوس Oswald crollius ، ولد عام ١٥٦٠ م في بلدة ويتر Wetter بالقرب من بلدة ماربورغ بألمانيا، وتوفي في مدينة براغ عام ١٦٠٩م. انتسب إلى جامعة ماربورغ عام ١٥٧٦ ثم أتم دراساته في جامعة هايدلبرغ وستراسبورغ وجنيف، وحصل على شهادة دكتور في الطب عام ١٥٨٢م. وكان محباً للأسفار ويتقن اللغتين الإيطالية والفرنسية إضافة إلى لغته الأم.

وفي عام ١٥٩٠ م عمل في خدمة الكونت ماكسيميليان فون بابنهايم مرشداً، وبعد عام ١٥٩٣م سافر إلى شرق أوربا ليمارس الطب هناك، وكانت مدينة براغ مقر إقامته الدائم بدءاً من عام ١٦٠٢.

ولما استطاع كرولليوس شفاء الأمير كريستيان الأول من مرض عضال ألمّ به، منحه لقب « نبيل »، كما كان الإمبراطور رودلف الثاني كثيراً مايستشيره . ونظراً لصلة كرولليوس الوثيقة بالأمير كريستيان، فقد كان هذا الأمير يعهد إليه بمهمات سياسية في براغ ويناقشه في القضايا السياسية للدولة.

(٣١) هولمارد ـ الخيمياء L' Alchimie ص/ ١٨٠ وقد سبق التعريف بهذا الكتاب .

وبسبب اهتمامات هذا الأمير بالخيمياء (الكيمياء القديمة) والكيمياء الطبية فقد كان يمنح كرولليوس مساعدات مادية لتمكينه من القيام بتجاربه الكيميائية.

من المعروف أن كرولليوس كان من أبرز مريدي مدرسة براكلسوس، وخاصة في مجال الكيمياءالطبية (أو الطب الكيميائي) Iatrochimie وفي نظرية التناغم والتشابه مابين العالم الأكبر Macrocosme (الكون) والعالم الأصغر Microcosme (الإنسان)، وهي النظرية التي ألمح إليها أفلاطون وقال بها العرب إلا أن براكلسوس وتلميذه كرولليوس طبقاها في المجالات الطبية. وتبنى كرولليوس أيضاً نظرية السمات Theorie des Signatures التي آمن بها براكلسوس إلا أن كرولليوس كان أكثر حماسة لها، وسيأتي الكلام عليها، في مكان آخر من هذا الكتاب.

وفي علم المداواة والعقاقير فقد كان كرولليوس أكثر وضوحاً من استاذه براكلسوس، فبينما كانت آراء براكلسوس يعتريها غالباً الغموض والتشابك في معانيها، نجد كروللیوس يصف بالتفصيل وبوضوح كل دواء على حدة ويذكر تركيبه وطريقة تحضيره وتطبيقاته، ويبدو ذلك واضحاً من الكتاب الذي ألفه وأسماه « الكيمياء الملكية» Chymica Basilica الذي طبع مع كتابه في نظرية السمات Traité des Signatures ، ولاندري ما إذا كان كروللیوس قد رأى الطبعة الأولى من كتابيه، وهي الطبعة التي تمت عام وفاته أي عام ١٦٠٩م.

امتاز كتاب كرولليوس« الكيمياء الملكية » بوضوح التعبير الأمر الذي جعله كثير الإنتشار، وتكررت طبعاته مراراً، وكان المرجع العلمي للطب الكيميائي، أي استعمال المواد المعدنية ومركباتها في المداواة بعد اخضاعها إلى عمليات صيدلانية مختلفة، حتى أن

جوهانس هارتمان [٣٢] أول أستاذ أوربي للكيمياء الطبية والصيدلية، اتخذ ذلك الكتاب مرجعاً للتدريس بدءاً من عام ١٦٠٩ في جامعة ماربورغ بألمانيا[٣٣].

ولئن كان هذا الكتاب يعتبر خطوة في طريق النهضة الطبية الحديثة، فإن نقل ابن سلوم الحلبي لهذا الكتاب إلى اللغة العربية، وهو العربي الوحيد الذي قام بذلك، يعتبر عملاً ذا قيمة تاريخية هامة.

(٣٢) ولد الأستاذ يوهانس هارتمان في بلدة أمبرغ بألمانيا عام ١٥٨٦ وتوفي ببلدة كاسل عام ١٦٣١م. بدأ عمله أستاذاً للرياضيات في جامعة ماربورغ، ثم درس الطب وحصل على لقب دكتور ١٦٠٦. مزج هارتمان اهتماماته بالطب مع اهتماماته بالرياضيات والفلك والخيمياء. وفي عام ١٦٠٩ م أصبح أستاذاً للكيمياءالطبية والصيدلانية، وبذلك يكون أول أستاذ في أوربا لهذا المقرر الدراسي.

(٣٣) جميع المعلومات عن كرولليوس وعن هارتمان مستمدة من:

Dictionary Of Scientific Biography (D. S. B) - by ch. Caulstan

من مطبوعات جامعة برنستون Princeton الولايات المتحدة، الجزء الثالث ص/ ٤٧١ بالنسبة لبراكلسوس، والجزء السادس ص/ ١٤٥ بالنسبة لهارتمان ١٩٧٤، ١٩٧٥.

منهاج التحقيق

تمهيد :

سبق أن ذكرت أن القسم الرابع من مخطوط « غاية الإتقان » لابن سلوم الحلبي يحتوي كتابين أحدهما عن الطب الجديد الكيميائي لبراكلسوس، والثاني هو كتاب « الكيمياء الملكية » لكرولليوس، وان محتويات الكتابين تنضوي تحت لواء نظريات براكلسوس في الطب الكيميائي.

وقد عمل أطباء القرن الثاني عشر للهجرة ومن أتى بعدهم على استنساخ هذا القسم الرابع من المخطوط بشكل منفصل من كامل المخطوط، وأطلق على كل نسخة منها العنوان التالي :

« كتاب الطب الجديد الكيميائي » لابن سلوم الحلبي

وعلى هذا فإن كلاً من هذه النسخ يتضمن الكتابين المشار إليهما أعلاه وهما موضوع التحقيق في هذا الكتاب.

النسخ المخطوطة المعتمدة في التحقيق :

تيسر لي بمساعدة معهد التراث بجامعة حلب، الحصول على صور لثماني نسخ مخطوطة من كتاب « الطب الجديد الكيميائي » وهي :

١- مخطوطة مكتبة معهد التراث بجامعة حلب، برقم ٩ / ٦١٥

من ٨٨ ورقة (١٧٦ صفحة)　　مقاس ١٥×٢٠ سم

مسطرتها : ١٨ سطراً　　بالخط النسخي

لاوجود لاسم الناسخ ولالتاريخ النسخ. رمزها في التحقيق م

٢ـ مخطوطة مكتبة الكونغرس / واشنطن / الولايات المتحدة الأمريكية برقم Or. 63

من ١٠٤ ورقات (٢٠٧ صفحة) مقاس ١٦×٢١ سم

مسطرتها : ١٩ سطراً بالخط النسخي

وهي ناقصة ورقة واحدة أي الصفحتين ٧، ٨

لاوجود لاسم الناسخ ولا لتاريخ النسخ، ولكنها تشير إلى تملك محمد ذهني لها عام ١٢١٠ هـ، ومن الواضح أن عملية نسخها تمت قبل هذا التاريخ. رمزها في التحقيق غ.

٣ـ مخطوطة مكتبة جامعة كمبريدج / انكلترا برقم P / 732

عدد الأوراق ٤١ (٨٢ صفحة) مقاس ١٦×١٢ سم

مسطرتها: ٢١ سطراً الخط : ديواني (فارسي)

تاريخ النسخ : ٢٥ ربيع الثاني عام ١٢٥٥هـ

اسم الناسخ : جهان بخش سهراب

رمزها في التحقيق : ك

٤ـ مخطوطة مكتبة معهد ويلكم ـ لندن / انكلترا برقم WMS Or. 6A

عدد الأوراق ٧٥ (١٥٠ صفحة) مقاس ٢١× ٢٨ سم

مسطرتها : ١٧ سطراً الخط : فارسي (تعليق)

اسم الناسخ : سعيد سهير شاه ـ بدون تاريخ

رمزها في التحقيق : ل

٥ـ مخطوطة مكتبة الأوقاف الإسلامية ـ حلب (سورية) برقم ١٢٨٢ أحمدية

عدد الأوراق ٥١ (١٠٢ صفحة) مقاس ١٦× ٢٥ سم

مسطرتها :٢٩ سطراً الخط نسخي قريب من الريحاني

وهي ناقصة حوالي ستة سطور فقط من آخرها .

لاوجود فيها لاسم الناسخ ولاالتاريخ النسخ

رمزها في التحقيق : أ

٦ ـ مخطوطة مكتبة الدكتور فؤاد سامي حداد / بيروت برقم ٩٤

عدد الأوراق ٦٧ (١٣٤صفحة) مقاس ١٧ × ١١سم

مسطرتها : ٢١ سطراً الخط : نسخي

لاوجود لاسم الناسخ ولاالتاريخ النسخ .

رمزها في التحقيق : ح١

٧ـ مخطوطة مكتبة الدكتور فؤاد سامي حداد / بيروت برقم ٩٥

عدد الأوراق ٥٧ (١١٤ صفحة) مقاس ١٧,٥ × ٢٥ سم

مسطرتها : ٢٣ سطراً الخط : نسخي

الناسخ مصطفى السقى الشافعي . تاريخ النسخ : ١٨ شوال عام ١٢٤٦ هـ

رمزها في التحقيق : ح ٢

٨ ـ مخطوطة مكتبة الدكتور فؤاد سامي حداد / لبنان برقم ٩٦

عدد الأوراق ٧٩ (١٥٨ صفحة) مقاس : ١١,٥ × ١٦,٥سم

مسطرتها : ١٤ سطراً الخط :نسخي

ناقصة خمس صفحات من آخرها . الخط مشوش جداً تصعب قراءته

لاوجود لاسم الناسخ ولا لتاريخ النسخ .

رمزها في التحقيق : ح٣

....

وهذا يعني أن ثلاثاً من هذه المخطوطات الثماني المتوفرة لدي، تحمل مؤشرات لتاريخ نسخها. وأقدمها هي مخطوطة مكتبة الكونغرس التي تم نسخها قبل تاريخ ١٢١٠هـ (وهو تاريخ تملكها) . ولابد لي من الإشارة إلى أني لم أعلم حتى الآن بوجود نسخة مخطوطة، للطب الكيميائي الجديد، تحمل تاريخا للنسخ أقدم من هذا التاريخ، سوى تلك الموجودة في مكتبة المتحف العراقي، التي يعود تاريخ نسخها إلى عام ١١١٨هـ[٣٤] . ويؤسفني أني لم أتمكن من الإطلاع على هذه المخطوطة التي تم نسخها بعد وفاة المؤلف بسبعة وثلاثين عاما فقط .

(٣٤) انظره فهرس مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة ، بمكتبة المتحف العراقي .الفهرس من وضع أسامة ناصر النقشبندي. دار الرشيد للنشر / بغداد ١٩٨١ .رقم المخطوطة في المكتبة ١١٤٧٤ورقمها في الفهرس ٤٠٩ .

اسلوب التحقيق

تصفحت النسخ الثماني، فوجدت أن تسلسل الفصول والأبواب فيها متماثل، كما أن نصوصها متماثلة أيضاً، والإختلافات الواردة فيما بين نصوصها هي مانجده عندما يتعدد الناسخون ممن لايفهمون معنى ماينسخون من ممتهني أعمال النسخ فتحدث التصحيفات وتقع الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية، هذا بالإضافة إلى مايقع من سهو عن نسخ كلمة أو مقطع، وما إلى ذلك مما يكثر حدوثه عادة وخاصة عندما يكون النسخ سريعاً لمزيد من الكسب المادي للناسخين.

رأيت أن أكثر المحققين للمخطوطات يعتمدون على نسخة أمّ تكون أصلاً في التحقيق، وتتم مقابلتها مع النسخ المخطوطة الأخرى المتوفرة، فيثبّت المحقّق، في حال الإختلاف، مايراه أكثر صحة وانسجاماً مع معنى النص، ويشير إلى ماورد في النسخ الأخرى في الحواشي، وذلك مهما كانت تلك الإختلافات بسيطة، وقد تكون غير ذات بال.

وبالنسبة لي، فقد رأيت أن أسلك طريقاً أكثر اختصاراً لئلا أثقل النص بالكثير من الحواشي، ولئلا أدخل الملل إلى نفس القارئ العربي غير المختص، الذي يود الإطلاع على تراثه.

ذلك أني اتخذت مخطوطة مكتبة معهد التراث بجامعة حلب (وهي المرموز لها بـ م) أصلاً في التحقيق، وقمت بمعارضتها مع مخطوطة مكتبة الكونغرس (غ) ومخطوطة مكتبة كمبريدج(ك) ومخطوطة معهد ويلكم(ل). وأما النسخ المخطوطة الأربع الأخرى

فاعتمدت عليها للترجيح أو التوضيح عند الضرورة. وإني مطمئن إلى أن هذا الأسلوب في التحقيق يوصل إلى الهدف المطلوب لأن نصوص المخطوطات التي هي تحت تصرفي متماثلة كما أسلفت قبل قليل.

وقد راعيت في التحقيق ما يلي :

١ ـ قمت بتصويب الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية بدون أن أشير إلى ذلك في الحواشي

٢ ـ أضفت النقط والفواصل وإشارات الإستفهام، كما أعطيت ترقيماً متسلسلاً للمقالات والفصول، ورجعت بالنص إلى أول السطر في بعض الأحيان، وكل ذلك لمزيد من التوضيح، وبدون أن أشير إلى ذلك في الحواشي.

٣ ـ ولما كانت كل المخطوطات المعتمدة في التحقيق تهمل ذكر الهمزة من آخر الكلمات مثل :أشيا، بدلا من أشياء، وكيميا بدلاً من كيمياء، وتستبدل الهمزة بياء عندما تكون في وسط الكلمة مثل : رايحة بدلاً من رائحة ورسايل بدلاً من رسائل، فقد راعيت، في كل ماشابه ذلك، الرسم الإملائي الحالي في الكتابة. وبدون الإشارة إلى ذلك في الحواشي.

٤ ـ وقد حرصت على أن أنتقي للمتن المحقّق، النص الذي أجده أقرب إلى صحة المعنى، أو (وهذا يأتي بالدرجة الثانية) النص الذي يكون أكثر تواتراً في النسخ مع الإشارة إلى النصوص المخالفة في الحواشي.

٥ ـ وضعت بين حاصرتين الكلمات والجمل التي وجدت ضرورة إضافتها لاستقامة المعنى.

ولابد لي من أن أشير إلى أن المخطوط الثاني، وهو كتاب « الكيمياء الملكية »، نقله ابن سلوم الحلبي إلى العربية ترجمة من أصله اللاتيني. وقد حصلت على نسخة مصورة من ترجمة فرنسية لهذا الكتاب مودعة في المكتبة الوطنية بمدينة باريس،ويعود عهدها إلى

القرن السابع عشر للميلاد، فاستندت عليها، في بعض الأحيان، لتوضيح ما التبس عليّ من مصطلحات وتعابير تناولها النساخ بالتصحيف وقد اتخذت(ف) رمزاً لها في التحقيق.[٣٥].

(٣٥) الكتاب هو بعنوان La Royale Chymie لمؤلفه O. Crollius ترجمه إلى الفرنسية: مارسيل دو بولان J. Marcel de Boulenc. الناشر: ب درويه P. Drouet في مدينة ليون بفرنسا عام ١٦٢٤ والكتاب مودع في المكتبة الوطنية بمدينة باريس برقم 47. 131 .Te.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

وبعد فقد الف في صناعة الطب الكيميائي قروليوس كتابا
مختصرا مفيدا لملوك زمانه وهو يشتمل على مقالتين فاردنا
ان ننقله من اللاتينية الى العربية ليكون به تمام النفع وسما
هذا الكتاب كيميا باسيليقا يعني الكيميا الملكية

المقالة الاولى

اعلم ان معالجات الامراض هاهنا ما هو كلي عام غير مخصوص
بمرض والعلاج الكلي هو قطع سبب الامراض واصلها وتمييز
الردي عن الجيد وانت قد علمت ان الامراض منها ما هو موروث
ومنها ما هو عارض عن الاسباب الظاهرة وهو تغيير الاسباب
الظاهرة وهو تغيير الاسباب الستة الضرورية والمعالجات
الكلية انواع فمنها ما يكون المطلوب منه حفظ البلسان
الطبيعي وتقويته . ومنها ما يكون المطلوب به تمييز الردي
عن الجيد وهو متنوع الى امور متعددة فمنه ما يكون
بالقي وبالاسهال او بالادرار او بالعرق . وبهذه المعالجات

تعالج

مخطوط الكيمياء الملكية
من نسخة معهد التراث بجامعة حلب (م)

القسم الأول

من

مخطوط صالح نصر الله بن سلوم الحلبي

« الطب الجديد الكيميائي»

متن المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم وبعد[1]

فهذا كتاب الطب الجديد الكيميائي الذي اخترعه براكلسوس، يشتمل على مقدمة ومقالات.

المقدمة في تعريف الكيمياء وبيان الحاجة إليها، والغرض منها، فنقول: الكيمياء لفظ يوناني، أصله خيميا، ومعناه التحليل والتفريق.

وبعض الناس يطلق عليها الصناعة الهرمسية. وقال قوم:

يطلق عليها سر الكهنة[2]. وأول من اخترعها هو هرمس المثلث المصري، وعلّمها للكهنة. وبعد ذلك شاعت حتى وصلت إلى اليونان، وصنفوا في ذلك كتباً ورسائل. ثم انتقلت[3] إلى الإسلاميين وألفوا فيها كتباً كثيرة ورسائل عديدة. والمقصود من ذلك اصلاح المعادن وتغييرها من الفساد إلى الصلاح[4]. كقلب النحاس فضة، والفضة ذهباً. إلى أن جاء براكلسوس الجرماني[5]. فغير الغرض من صناعة الكيمياء، وجعله من أقسام صناعة الطب، وسماه[6] اسباغريا[7] باللاتينية، ومعناه جمع المختلفات وتفريقها.

---

(١) «وبعد» لم ترد إلا في (غ)، (ك) و (أ).

(٢) «أمر الكهنة» (م).

(٣) «انتقلت» ساقطة من (م).

(٤) «الإصلاح» (م)، (ل).

(٥) «الجراني» (م).

(٦) «وسماه» ساقطة من (م).

(٧) استاغريا (م)، (غ). والمقصود بذلك كلمة Spagyrie

وهو السر الاكبر ومولاه [illegible] بالجنس طبيعي [illegible] وله قوة
بصورة واشكال شكلا الكيف بكيفية من الكيفيات وهو السر الاكبر وهو اصل
العناصر وامها ومنه تكون جميع الكائنات وصورها واشكالها والوانها
وطعومها وهو كالمركز لجميع الاشياء وهو موجود في ذات جميع الاشياء ومنه تخص [illegible]
وهو مبدأ الحياة ومدار فعل الطبيعة ومبدأ التكوين في جماد ونبات وحيوان
هذا الاسم [illegible] في النبات في العالم وهو سر الهي [illegible] مخلوق اول [illegible]
فهو امر قديم ذكره ارسطاليس وقدماء اليونانيين وهو الذي كان [illegible]
هو قائم وقيام مراده بهيولى الذي [illegible] العالم وهو مذهب افلاطون وفيه
ان النفس [illegible] ونفوسها [illegible] صورها واشكالها وقال
افلاطون في كتابه [illegible] العالم ان الله خلق نفس العالم وجعلها مسيطرة على
[illegible] التدبير والنشر [illegible] وقال في طيماوس جعل الله تعالى في مركز
العالم روحا مدبرا يفيض الحياة والنمو والاشكال وقال في المقالة العاشرة
من النواميس ان نفس العالم بها تدبير العالم وحفظ الصور والاشكال [illegible]
وقال ارسطو في المقالة الثالثة من كتاب الحيوان ان في الارض رطوبة
وفي الرطوبة ماء وفي الماء روح وفي الروح نفس فاذا كان كذلك كانت
جميع الاشياء مملوءة النفس وهذا الكلام [illegible] نفس
العالم مع [illegible] في مذهبه [illegible] وقال [illegible] العقل
ان في العالم روحا ساريا في جميع [illegible] العالم حفظ العالم [illegible]
وهو كلي ويقال له سماء السموات وقال ارسطو في كتاب العالم الروح تطلق
على الجوهر الحافظ للنوع من نبات او حيوان وقال [illegible] في كتابه المسمى
باللوح الزمردي السفلي كالعلوي والعلوي كالسفلي يعني ان الروح
الكلي سار في العالي والسافل ومن جملة هذه الاقوال نعلم ان مراد [illegible]
بالسر الاكبر هو نفس العالم كما لا يخفى والحاصل فيه [illegible]

مخطوط الطب الجديد الكيميائي

من نسخة مكتبة معهد ويلكم (انكلترا) (ل)

مخطوط الطب الجديد الكيميائي

من نسخة مكتبة معهد ويلكم (انكلترا)   (ل)

وهذا الاسم مخصوص بصناعة الطب الكيميائي، وإن شئت[٨]قل كيمياء الطب أو الكيمياء الطبية[٩]

وقد تطلق الكيمياء، على الحكمة وأسرارالطبيعة، لكن هاهنا المراد من لفظ الكيمياء : اسباغريا ، أي الصناعة الطبية الكيميائية، وموضوعها الأجسام المعدنية، وهذه صناعة يعرف بها كيفية تحليل المعدنيات واصلاحها. وغايتها قسمان :

منها ماهو داخل، وهو تحليل المعدنيات وتنقيتها عن الأشياء الفاسدة، وتركيبها وتفريقها. ومنها ماهو خارج وهو قسمان أيضاً أحدهما تكميل المعدنيات الناقصة، وتغيير صورتها إلى صور أشرف من الصورة الأولى .وثانيهما حفظ صحة بدن الإنسان وإزالة مرضه. وغرضنا[١٠]. من هذا العلم هاهنا صحة بدن الإنسان، وإزالة مرضه. فإنه الغاية القصوى في تدبير معاشه ومعاده. وبعض الناس ينسب إلى من يتعاطى صناعة الكيمياء كل قبيحة ويزدريه، معتقداً [١١] أنه يزاول تلك المشقات لقلب المعادن الناقصة كاملة. وإن الغاية لهذا العلم ليس إلا تلك ـ وليس الأمر كما زعمه هذا البعض. فإنه يحتاج إليه ليعرف التحليل، والتركيب، والتنقية والإصلاح، وتقطيرات الأرواح والأدهان، والمياه الشريفة النافعة فيما هو الغاية، وهي حفظ صحة بدن الإنسان وإزالة مرضه[١٢]. على انه إذا كان الغرض منه [١٣]حفظ الصحة، وإزالة المرض، كان موضوعه أعم من المعدنيات والنباتيات والحيوانيات . ومن لم يعلم هذا العلم[١٤]لم يعرف كيفية التحليل والتفريق

(٨) «وان سميت» (غ) .

(٩) الطب الكيميائي (غ) .

(١٠) وغرضنا (غ) .

(١١) ويعتقد (غ) .

(١٢) وهو حفظ تدبير الإنسان وإزالة مرضه (م) .

(١٣) من (غ) .

(١٤) العمل (م) .

والتقطير، وتلطيف الكثيف بحيث ينفذ في الجسم الكثيف نفوذ[١٥] الروح في الجسد وتقليل كمية الجسم[١٦] مع بقاء قوته المؤثرة أو زيادتها. فهذا العلم يحتاج إليه الشراباتي[١٧] ولاتكمل صناعته إلا بمعرفته. وبعض الناس ينكر جواز العلاج بالمعدنيات قائلاًأنها لاتنفعل[١٨] عن الطبيعة، وما انفعل عنها ربما[١٩] أهلك لسميته. ولم يعلم أنه بهذه الصناعة يعرف تلطيف أجسامها وتنقية سميتها، فتصير منفعلة عن الطبيعة مؤثرة فيها تأثيراً خالياًمن السمية، لكن فعلها في بدن الإنسان[٢٠] قوي. وقد قال الإمام أبقراط في كتاب الأمراض الداخلة « إن المرض القوي يحتاج إلى الدواء القوي» .

واعلم أن علاقة صناعة الطب بصناعة الكيمياء أمر معلوم قديم، لكن براكلسوس اخترع أصولاً في صناعة الطب على منوال آخر، واصطلاحات جديدة، وألفاظاً عجيبة. زاعماً ان هذا العلم هو اخترعه، وليس الأمر كما زعم. وإنما اخترع اصطلاحات وعبارات غريبة وماذكره من الأصول، لصناعة الطب، فهو مأخوذ من الحكمة ،ولاعلاقة لصناعة الكيمياء به. والحاصل إن مضمون ماألفه براكلسوس مأخوذ من الحكمة، ومن صناعة الكيمياء. وكل من العلمين قديم.

---

(١٥) يعود (م) .

(١٦) يقصد بكلمة جسم : المادة التي تستخدم في المعالجة .

(١٧) البرالي (م) . والمقصود بالشراباتي هو الصيدلاني .

(١٨) تنفعل (غ) .

(١٩) وربما (م) .

(٢٠) لكن فعلها في بدن الإنسان خالياً قوي (م) .

المقالــة الأولـــى

في الجزء النظري من اسبافريا وهو الطب الكيميائي في[21] الأمور الطبيعية ويشتمل على فصول

....

الفصل الأول: في الهيولى الأولى والسر الأكبر

قال براكلسوس في كتابه المسمى براغناني[22]:

اعلم ان مبدأ مايقبل الفساد من الأشياء كلها التي في داخل السماء[23] واحد ترجع إليه وتنتهي إليه بعد الفساد. وهذا المبدأ هو الهيولى، ومحل الكل، وهو السر الأكبر. وهو لايدرك بالحس، وهو أمر وجداني غير مقيد، ولامصور بصورة، ولامشكل بشكل، ولامكيّف بكيفية من الكيفيات. وهذا[24] السرالأكبر هو أصل العناصر وأمها ومنه تكون جميع الكائنات وصورها وأشكالها وألوانها وطعومها. وهو كالمركز لجميع الأشياء وموضوع[25] ذاتي لجميع الصور، ومنه تحصل بالفعل. وهو مبدأ الحياة، ومبدأ فعل الطبيعة،

---

(٢١) «ولي» (م).

(٢٢) هو كتاب باراغرانوم PARAGRANUM من تأليف براكلسوس.

(٢٣) المقصود من تعبير « داخل السماء » هو ماكان يسميه القدماء « فيما دون فلك القمر ». وكانوا يعتقدون ان الكائنات الموجودة فيما دون فلك القمر هي وحدها التي تقبل الفساد والتغيّر.

(٢٤) وهو (غ).

(٢٥) وموضوعه (غ).

ومبدأ الكون والفساد، والمزاج. ومن هذا الأصل تأتي الحياة إلى العالم وهو سر إلهي قديم مخلوق.

أقــــول :(٢٦)

القول بالهيولى الأولى أمر قديم، ذكره أرسطاطاليس وقدماء اليونانيين. وهو لايكون فاعلاً وإنما هو قابل(٢٧). وقيل مراده بالهيولى الأولى نفس العالم وهو مذهب أفلاطون. وفيه ان النفس ليست محلاً ولا موضوعاً لشيء، خصوصاً الصور والأشكال. وقال أفلاطون في كتاب «نفس العالم» (٢٨) «إن الله خلق نفس العالم وجعلها وسط العالم وبها يحصل التدبير(٢٩) والتصرف» .

وقال في طيماوس :(٣٠)

«جعل الله في وسط العالم رباً مدبراً، يفيض الحياة والصور(٣١) والأشكال». وقال في المقالة العاشرة من النواميس (٣٢) :

«نفس العالم مابه تدبير العالم وحفظ الصور والأنواع ومنه الحياة» .

وقال أرسطو في المقالة الثالثة من كتاب «الحيوان» :

«إن في الأرض رطوبة وفي الماء روحاً ، وفي الروح نفساً» . فإذا كان كذلك كانت جميع الأشياء مملوءة أنفساً. وهذا الكلام يشعر بالقول بنفس العالم مع تصلبه في مذهبه ورده على أفلاطون.

وقال هرمس في كتاب «العقل» :

---

(٢٦) كلمة «أقول» تعني أن القول الآن لابن سلوم شرحاً لما ورد في كتاب براغناني لبراكلسوس .

(٢٧) «إنما هو قابل» لم ترد في (غ) .

(٢٨) كتاب العالم (غ) .

(٢٩) وبها يحصل التقدير (ك) ، (ح١) وبها القدرة (م) .

(٣٠) طيماوس (م ، غ) ومن المعروف ان لأفلاطون كتاباً باسم «إلى طيماوس».

(٣١) والصورة (م).

(٣٢) النواميس : عنوان كتاب لأفلاطون .

« إن في العالم روحاً سارياًفي جميع أجزاء العالم ، به حفظ العالم وحياته وهو كلي ويقال له سماء السماوات» .

وقال أرسطو في كتاب العالم : « الروح يقال على الجوهر الحافظ للنوع، من نبات أو حيوان» .

وقال هرمس في كتابه المسمى باللوح الزمردي :

« الشيء السفلي كالعلوي، والعلوي كالسفلي» ، ويعني ان الروح الكلي سارٍ في العالي والسافل. ومن جملة هذه الأقوال يعلم أن مراد براكلسوس بالسر الأكبر هو نفس العالم كما لايخفى ، وان كان فيه ما فيه .

الفصل الثاني : في العناصر

إعلم ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الهيولى الأولى والسر الأكبر فاض عنه العناصر الأربعة التي منها يتولد جميع المولدات السفلية. وهذه العناصر ظاهرة للحس، وسرها وباطنها خفي عن الحسّ. وهذا الباطن محفوظ لايتغير ولايقبل الفساد. وهو أصل للصور العنصرية الظاهرة، القابلة للكون والفساد والتغيّر[٣٣]. فإن العنصر، إنما يكون عنصراً بهذا الأصل الباطن كما ان الإنسان لايكون باللحم والدم بل بالنفس والروح كما لايخفى.

وإذا قلنا هذا النبات متولد من الأرض، فإننا نعني بذلك،انه متولد وناشئ من ذلك الأصل الذي لايقبل التغيير. ولكل عنصر ثمره، فإن ثمرة العنصر الترابي النبات والشجر. وثمرة العنصر المائي المعدن والأحجار، وثمرة العنصر الهوائي الطلول والمن. وثمرة العنصر الناري المطر والثلج. قال سوارينس[٣٤] وهومن أتباع براكلسوس :

---

(٣٣) التغيير (م).

(٣٤) ويكتب باللاتينية : P. SEVERINUS وهو عالم دنمركي (١٥٤٠-١٦٠٢ م) من أنصار مدرسة براكلسوس.

« العناصر هي الأصول الحافظة للأنواع الظاهرة » . وقال قروللبوس[٣٥] :

« العناصر قسمان، منها ظاهر، ومنها باطن. والإختلاف[٣٦] إنما ماهو بين ماهوظاهر منها. والظاهر منها إنما هو جسم الاستقس لانفسه واصله. وجسم الاستقس مركب من الزئبق والكبريت والملح، والعناصر الأربعة مركبة من هذه الأصول الثلاثة. واختلفت صور العناصر لاختلاف التركيب».

وقال كركتانس [٣٧] :

« العناصر الظاهرة اثنان : يابس ورطب، فاليابس كالأرض، والرطب كالماء » .

وليس النار أو الهواء عنده بعنصر. وهذا المذهب بعيد عن المذهب الأول.

وعند جمهور طائفة براكلسوس العناصر قسمان : ظاهر وباطن. فالظاهر كالجسم والباطن كالنفس. وهذا العنصر الباطن هو مبدأ الحياة وحفظ النوع وتكوّن الأشياء في العالم. والظاهرمن العناصر يقبل التغيير والكون والفساد دون الباطن منها .

الفصل الثالث : في الصور والأنواع وأصول الأشياء

قال براكلسوس في كتابه المسمى ايلياستر :

« جميع ما يقبل الكون والفساد، فيه مابه يحفظ نوعه، وذلك بتولد الأشخاص وتوليدها. وفيه مابه يحفظ صورته وشكله ولونه وطعمه ومقداره، والحاصل جميع ذلك من التركيب. ولابد في التكوين من ثلاثة أمور :

الأول : المدبر وهو المحرك والمنضج والجامع والمفرق. وبه الزيادة والنقصان والمقدار

---

(٣٥) هو اسفالد كروللبوس وقد سبق التعريف به في المقدمة.

(٣٦) « والإختلاط» (م . أ) .

(٣٧) هو الطبيب الفرنسي جوزيف دوشين Joseph Duchesne المعروف (بكركتانوس) .Quercetanus المتوفي عام ١٦٤٠ م .

وتكميل الفعل[٣٩] الطبيعي في مدة معينة محدودة إلى بلوغ ذلك النوع كماله[٤٠]. وهو ثر في المعادن والنبات والحيوان

والثاني : الأصل وهو المادة التي منها تكونه[٤١].

والثالث : الحافظ للنوع وهو أمر سماوي إلاهي، وهو قسمان : قسم لايقبل التغيير كالحافظ[٤٢] للأجسام الفلكية، وقسم يقبل التغيير وهو من الشمس[٤٣] والقمر والنجوم بحسب تأثيرها في هذا العالم.

والأجسام قسمان : منها أجسام عالية صافية متشابهة، كاملة الصورة والشكل. ومنها أجسام سفلية كثيفة غير متشابهة ولامتكاملة الصورة، كالعناصر والمولدات وأنواع المولدات وأصنافها. فإن المعدن لايشبه النبات، والنبات مختلف أيضاً فإن جسم البادر نجبويه لايشابه الفوة[٤٤]. وكذلك جسم الإنسان لايشابه جسم الأسد. وهذه الأجسام وإن كانت قابلة للكون والفساد ولكن نوعها باقٍ، فكلما فسد جسم[٤٥] لبس جسماً آخر غيره، كتوارد الصور المختلفة على الهيولى، والهيولى باقية على كل حال.

الفصل الرابع : في الحياة

الحياة كمال للنوع، به تظهر أفعاله وآثاره : وهذا الكمال موجود في المعدن والنبات والحيوان. فالحياة للحيوان أمر ظاهر، وهو ماتصدر عنه الأفعال المختلفة، من

---

(٣٩) الفصل (م).

(٤٠) وكماله (م).

(٤١) « وهو النوع المادة التي ماهنا تكون الحافظ » (م).

(٤٢) وردت هذه الكلمة في (غ) فقط وقد اعتمدتها في النص المحقق لأنها تزيد المعنى دقة.

(٤٣) هو في الشمس (ك ،أ) -وهو الشمس (م).

(٤٤) النار قحوية لايشابه القدة (م).

(٤٥) فكما أفسد جسم الشيء (م).

الحركة الإرادية والسكون.

والحياة للنبات مايصدر عنه النمو والزيادة والتغذية.

والحياة في المعدن مايحفظ لونه وشكله وطعمه، وتظهر به آثاره الخاصة به، كجذب المغناطيس للحديد، ولصوق الزئبق وانجذابه إلى الذهب. ومادام الجسم تظهر عنه آثاره المخصوصة فهو حيّ. وإذا كان للمعدن حياة فتجوز زيادته ونموه فإن الحافظ للنوع باق. وقد شوهدت زيادة بعض المعادن ونموها، فإن الزاج إذا خُرّج منه مقدار[٤٦] كثير، قد يزيد[٤٧] ويملأ المكان الذي هو فيه[٤٨].وقد شوهد مثل ذلك في بلاد الصقالبة في السمخة[٤٩]. فإن في تلك الأرض معدن الذهب، ويزيد في كل أربع سنين ويعود إلى مقداره الأول. وقد شاهدوا في تلك الناحية عروقاً رصاصية. رمادية اللون، ثم بعد زمان وجدوا تلك العروق، حين الكشف عنها، فضة بيضاء. وكذلك وجدوا في بلاد خرواط[٥٠] في الأرض عروقاً من الرصاص، فستروها بالتراب وبعد أربعين سنة[٥١] كشفوا عنها فإذا هي فضة بيضاء. وفي سيليسيا[٥٢] معدن الحديد وفي كل عشر سنين يزيد، ويرجع إلى مقداره الأول[٥٣] وفي تلك الأراضي وجدوا رملاً نحاسياً، فلما كشف عنه بعد برهة من الزمان، وجدوه قد بلغ المرتبة

(٤٦) كلمة مقدار وردت في (غ)، (أ) فقط.

(٤٧) قد يزيد مقدار (م).

(٤٨) يوجد النحاس في بعض الأمكنة على شكل كباريت تتأكسد بتأثير الهواء والرطوبة وتتحول إلى كبريتات النحاس الأزرق (أي الزاج) وكلما رفعت طبقة من الزاج المتكون تشكلت طبقة جديدة.

(٤٩) «في بلاد الصقاليا من السمخة» (ل).

(٥٠) هي بلاد الكربات Carpates وهي منطقة من أوربا الوسطى.

(٥١) وبعد أربع سنين (غ).

(٥٢) سلمسيا (غ).

(٥٣) قد ينطبق تعليل هذا المثال على تعليلنا حول النحاس، وهنا يتشكل كبريتات الحديدي (الزاج الأخضر).

الذهبية[٥٤] وكذلك معادن الملح وغيره من الأحجار.وقالوا العاقد للجميع أمر واحد.

وإنما الإختلاف في المواد القابلة . وقيل بل لكل معدن روح مخصوص هو عاقد لذلك المعدن .

الفصل الخامس : في الحرارة المنبتة والـروح[٥٥]

الحرارة المنبتـه، عند هذه الطائفـة، يطلقـون عليهـا الموميـا الحيـواني، والكبـريت الحيـواني[٥٦] والبلسـان الطبيـعي. وهذه الحرارة تتنوع، بحسب تنوع الأجسام والحيوانات، وبعدم[٥٧] هذه الحرارة يكون موت ذلك الجسم. وجميع أهل صناعة الكيمياء والمشاؤون اتفقوا على انها حرارة سماوية بسيطة ليست من العنصريات.

الفصل السادس : في الأصول التي تتركب منها الأجسام في مذهب هذه الطائفة[٥٨]

قالوا إن أصل الأجسام ثلاثة :

وهي الزئبق والكبريت والملح. واعلم أنه ليس المراد من هذه الثلاثة ماهو المتعارف بين الناس، فان كل واحد من الزئبق والكبريت والملح مركب من هذه الثلاثة، بل المراد بالزئبق الرطوبة السيالة[٥٩] وبالكبريت الدهنية وبالملح ماهو ثابت غليظ أرضي. ومن هذه الجواهر الثلاثة تتركب جميع الأجسام.

ولكون الأصل ثلاثاً صارت الفروع وهي المولدات، أيضاً ثلاثة :المعدن، والنبات،

---

(٥٤) إن الالتباس وقع مع هؤلاء بسبب إن التكال الصخور الحاوية على الذهب ينقل قطعاً صغيرة من الذهب، ليظن أن الرمل النحاسي انقلب إلى ذهب، هذا إذا لم يكونوا قد ظنوا النحاس الخالص ذهباً .

(٥٥) فالروح (م) .

(٥٦) الكبريت الحياتي (أ) ، (ل) .

(٥٧) وبعد (غ) ـ عدم بمعنى انعدام .

(٥٨) يقصد بالطائفة : براكلسوس وانصاره

(٥٩) السائلة (م) .

والحيوان. ولذلك يوجد ملح معدني وملح نباتي وملح حيواني، وزئبق معدني وزئبق نباتي وزئبق حيواني، وكذلك الكبريت. فإن الدهنية توجد في المعدن والنبات والحيوان، كما في الكبريت المتعارف والجوز، وشحوم الحيوانات. فمن الملح العقد والثبات[٦٠] ومن الكبريت الحركة والحياة والنضج. ومن الزئبق التسهيل وقبول الشكل. قالوا ومبدأ جميع الطعوم من الملح، ومبدأ الروائح من الكبريت ومبدأ الألوان من الزئبق. قال هرمس : الزئبق هو الروح والكبريت هو النفس والملح هو الجسد. وقال كركتانس[٦١] الزئبق رطوبة حامضة [٦٢] ملطفة، مؤثرة، باردة[٦٣] روحانية آلة الحياة، قابلة للصور والأفعال المعدنية والنباتية والحيوانية. والكبريت رطوبة حلوة، دخانية لزجة، جوهرية حارة، تفعل النضج والنمو والغذاء والتكون، والملح هو جسم يابس[٦٤] أرضي ثابت مثبت عاقد .

الفصل السابع : في المزاج والتكون[٦٥]

التكون هو تكثير[٦٦] النوع ووجوده. وقد علمت أن الحافظ للنوع يكثر أفراده ويؤثر في الأجسام، ويكون الأنواع. قال أبقراط :

«اعلم انه لاينعدم شيء من الأشياء، ولايوجد شيء من الأشياء مالم يسبق وجوده أولاً فيما مضى ». ولكن لما كان التركيب والتفريق متعاقبين على الأجسام فظن (أن) ماتفرق انعدم وما تركب وجد ابتداءً. وليس الأمر إلا تركيباً وتفريقاً وامتزاجاً وتحليلاً

---

(٦٠) والنبات (م) ؛

(٦١) كركباش (م) .

(٦٢) خاصة (ك ، ح١ ، ح٢) .

(٦٣) حارة (م ، ل ، ك) ـ الزئبق بنظر القدماء بارد رطب (انظر التذكرة لداوود الانطاكي، المطبعة العثمانية المصرية ١٣٥٦هـ الجزء الأول ص/ ١٦٩ .

(٦٤) «يابس» وردت في (غ) فقط .

(٦٥) التكوين (م) .

(٦٦) تكوين النوع (م) .

وذلك واقع بالضرورة بمقتضى الحكمة الإلهية. ولما اختلفت الأنواع والعناصر بالخفة والثقل والكثافة واللطافة والحركة والسكون، اختلف زمان تكونها في الطول والقصر. فبعضها يكون[٦٧] سريع التكون، وبعضها بطيء التكون. وفي الكرة السفلى ثلاثة أنواع من المكونات وهي : المعدن والنبات والحيوان. فمبدأ تكون الحيوان في البلسان الطبيعي، والكبريت الحياتي[٦٨] والموميا الأصلي وهو المسمى بمادة الحياة[٦٩] .

وفي بعض الحيوانات يظهر في زمان معين، وهو زمان السفاد لتلك الحيوانات وأما الإنسان فتلك المادة موجودة فيه في كل زمان. وطرق تولد الحيوانات كثيرة، والحيوانات الكاملة متولدة من المني من الأبوين.وبعض الحيوانات تكون بالتوليد على طريق التعفين وبالتوالد كالفأر .

ومبدأ تكون النبات جسم كثيف لزج بالنسبة إلى مني الحيوان[٧٠] . وهذا الجسم موجود في جميع أجزاء النبات، وبه حفظ نوع ذلك النبات[٧١]، وهو تارة يكون في البزر[٧٢] وتارة في الأصل، وتارة في العروق[٧٣] ، وتارة يكون في الجميع، ولهذه المادة زمان معين، تظهر فيه وتكمل، بحسب حركات[٧٤] الأفلاك، والطلوع والغروب، وقرب الشمس وبعدها. ومبدأ تكون المعدن ليس المني، ولاغيره مما هو مبدأ النبات، بل حافظ النوع. فإن به النضج وبه يحصل الشكل واللون. وأما مبدأ التكون في الكرة العليا، فالفلكيات

(٦٧) « يكون » غير واردة في ك ، غ ، ح٢ وواردة في النسخ الأخرى .

(٦٨) الحياة (م) ـ الحيواني (ك ، ل) .

(٦٩) مادة الحيوان (م ، ل ، غ) .

(٧٠) الحيوانات (غ) .

(٧١) حفظ ذلك النوع (أ) ـ « نوع ذلك » (ك ، ل ، م) .

(٧٢) البزور (غ) ، (ك) .

(٧٣) في العرق (م) .

(٧٤) وتكمل بحركات (م ، غ) ـ وتكمله حركات (ك) .

لاتحتاج إلى مبدأ التولد والتكون، فإنها كاملة لاتقبل التغير والفساد. ولكن الكواكب[٧٥] يحصل من طلوعها وغروبها ودورانها رياح، بعضها شرقي وبعضها غربي، وبعضها جنوبي، وبعضها شمالي، بحسب مااقتضاه ذلك الكوكب.

وهذه الرياح[٧٦] لها قوى أخرى غير الكيفيات الأربع. وكذلك يتولد، من البخار الروحاني[٧٧] ، بتأثير الكواكب فيه، ونضجه[٧٨]في كرة الهواء : الأمطار والثلوج والطلول وغير ذلك من كائنات الجو.

وتأثير الكواكب غير مقصور على ذلك، بل له في هذا العالم أثر ظاهر في المعدن والنبات والحيوان. وأما المزاج فهو حركة من العناصر، توجب اختلاطها وامتزاجها. والمحرك لهذا الإمتزاج هو مبدأ الحياة والصور والنوع. وهذا المزاج يحصل بقوة هذا المبدأ والعلم الصادق الذي لايخلف وقوعه.

الفصل الثامن : في الأنواع المتولدة من أنواع مختلفة

اعلم انه بعد المزاج يتشكل الجسم بشكل النوع، ويتم ماهو كمال الروح من القوى والأرواح، وبعد تمام كمال النوع قد يحصل من نوعين مختلفين متقاربين نوع آخر يشابه كل واحد[٧٩]من النوعين بوجه، كالبغل المتولد من الفرس والحمار، وكالشيب[٨٠] المتولد بين الكلب والذئب. وقد يتولد بين الدجاج والحجل حيوان يقارب كل واحد منهما.

وكذلك يكون هذا التولد بين أنواع النبات وأنواع المعدن. وقد يتولد من نوع واحد

---

(٧٥) الكواكب (م) .

(٧٦) الأرواح (م) .

(٧٧) الدخاني (م ، ك) .

(٧٨) ونصحه (م) .

(٧٩) يشابه كلا من (م) .

(٨٠) الشيب هو ولد الضبع من الذئب (القاموس المنجد) .

نوع آخر كما يتولد من السلجم الفجل، ومن الحنطة الزوان[٨١] ، ومن الريحان النمام أو السيسنبر وهو المسمى بالتركية نعنع. وقد يتولد بين الأترج وبزر الكتان، الطرخون، إذا شق الأترج وذرّ فيه بزر الكتان ودفن في الأرض. وقد يتولد من مجموع البزرين نبات مشابه للأصلين، وقد يغلب أحد البزرين على الآخر فتقع المشابهة للغالب أكثر.

وكذلك في المعدن كما يتولد الماس من أصل الرصاص. وكما يتولد الزمرد من أصل النحاس، وكما يتولد الياقوت الأزرق من أصل الفضة. وكما يتولد اللّعل[٨٢] من أصل الحديد. فسبحان الخالق الذي أودع في كل نوع قوة تولد ما يشابهه ويماثله ويقاربه، ويخالفه بحسب الأدوار والأكواروالبقاع.

وقد يتولد من النبات حيوان، فإن في أرض اسكوسيا[٨٣] من جانب البحر من بلاد الفلمنك شجراً يتولد فيه حيوان كالدود، وينمو ويزيد حتى يصير كطيرالأوز. وهو كثير في تلك الناحية يصطاد ويؤكل لحمه[٨٤] .

وفي بلاد القلاموق[٨٥] من أرض المسقوه[٨٦] من ناحية بحر القلزم[٨٧] نبات يشبه البطيخ. فإذا وقع شيء من بزره في تلك الأرض ينبت كهيئة الخروف، ثم تسرى فيه الحياة

---

(٨١) الزيوان (م) - الزابون (غ).

(٨٢) اللعلّ: حجر كريم مشف صاف (كتاب الجماهر في معرفة الجواهر لأبي الريحان البيروني منشورات المتنبي، القاهرة ومكتبة سعد الدين دمشق ص/ ٨١ .

(٨٣) وردت هذه التسمية في كتاب « طباع الحيوان » لأرسطو، ترجمة يوحنا البطريق - تحقيق عبد الرحمن بدوي وكالة المطبوعات، الكويت / ١٩٧٧ ص/ ٤١٥، ولكني لم أجد تحديداً لهذه الأرض في المراجع التي توفرت لديّ.

(٨٤) ربما كان الذي أدى إلى هذه النظرية الخاطئة وجود حشرات تنمو على تلك الأشجار وتتغذى منها، ثم تأتي حيوانات أو طيور تستقر على تلك الأشجار لتتغذى من تلك الحشرات

(٨٥) القلاموس (غ).

(٨٦) المسكوة (غ، ك) - المسكوة.

(٨٧) بحر القلزم أطلقه العرب سابقاً على البحر الأحمر نسبة إلى مدينة قليزمة بالقرب من السويس (قاموس المنجد ص /٥٥٥/ .

وأصله من سرته، ويرى ماحوله من النبات. فإذا أخذ وذبح خرج منه دم مائل إلى البياض. ولحمه أبيض كلحم السرطانات، يطبخ ويؤكل. وإذا لم يبق شيء من النبات مات وجف وذهب. وأهل تلك الناحية يصنعون من جلده قلنسوة يلبسونها في رؤوسهم كما يصنع من جلود الضان ويسمى بلسان تلك الناحية بورانج[٨٨].

الفصل التاسع : في كيفية تغيّر صور الأجسام مع بقاء صورها[٨٩] النوعية الأصلية الباطنة

اعلم أن للأجسام[٩٠] صورتين : صورة ظاهرة تقبل التغيّر، وصورة باطنة لاتقبل التغيّر والفساد. وهذا مشاهد في الذهب المكلس، فإنه خرج عن صورتة الأصلية الظاهرة ولم يخرج عن صورته الباطنة. وفي الزئبق المصعد والزئبق المكلس في الماء الحار، فإنه أيضاً خرج عن صورته الظاهرة ولم تتغير صورته[٩١] الباطنة والدليل على ذلك عود مثل هذه إلى صورها الظاهرة ببعض التدابير.

وأما التحليل والتفريق : فاعلم أن مالايصبر على النار، بل يصعد طائراً، يسمى روحاً طائراً، ومايصبر على النار يسمى جسماً ثابتاً. قالوا من قدر على تثبيت الأرواح، وتصعيد الأجسام، وجعلها روحاً طائراً، فقد ملك الصناعة.

وأما العقد : فهو جعل الروح المخلخل[٩٢] جسداً كثيفاً.

وأما الحل : فهو جعل الأجسام أرواحاً لطيفة. وأنواع الأرواح عندهم هي : الزئبق

---

(٨٨) بوارنج (م).

(٨٩) صورتها (م).

(٩٠) الأجسام (م).

(٩١) ولم يخرج عن صورته (م).

(٩٢) المتخلخل في (غ)، (ك).

والكبريت والزرنيخ والإقليميا[٩٣] .

وبعض هذه الأرواح سهل التثبيت وبعضها عسره، والأجساد كذلك بعضها سهل القبول للحل والروحية، وبعضها عسير القبول. واعلم أن الطبيعة تستعمل روحين في تكوين الأشياء العنصرية وحفظها الأول روح حار سماوي ناري متخلخل[٩٤] لاتنفك عنه الحرارة، والثاني روح هوائي مكثف. وبهذين الروحين يتم تكوين العنصريات.

الفصل العاشر : في نسبة العالم الأكبر إلى العالم الأصغر الذي هو الإنسان

اعلم أن الإنسان مخلوق شريف، (وهو) نسخة[٩٥] جامعة لما في العالم الكبير[٩٦] .

واعلم أن الإنسان والعالم كل منهما مركب من صورة جسمانية ظاهرة، وروح نفسانية باطنة. وأصول جميع الموجودات موجودة في الإنسان. فهو فلك محيط، مشتمل على كل مافي العالم من أفلاك ونجوم وعناصر ومولدات.

والحكماء يقسمون العالم الكبير إلى ثلاثة أقسام : عالم العناصر وهو السفلي. وعالم الأفلاك وهو العلوي، وعالم خارج عن عالم الأفلاك وفوقه.

وكذلك الإنسان ثلاثة أقسام : الرأس والقلب والمعدة. ففي المعدة ينهضم الغذاء، ويصير كيلوساً[٩٧] ويسري إلى جميع البدن فتتغذى به الأعضاء كل واحد على حسب

---

(٩٣) القليميا (م) ، (ك) والإقليميا هي الكالاميا (كربونات الزنك) : انظر كتاب تاريخ الصيدلة والعقاقير للأب ج شحاتة قنواتي ص/ ١٠٩ دار المعارف بمصر ١٩٥٩ .

(٩٤) المتخلخل (غ) ، (ك) .

(٩٥) وله نسخة (م) .

(٩٦) الأكبر (م) . وقد انفردت نسخة ك وحدها بإضافة جملة بعد هذه الكلمة ويبدو أنها مضافة من قبل الناسخ وهي : « كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

أتزعم أنك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر » .

(٩٧) الأصح أن يقول « كيموسا » Chyme ، أما الكيلوس Chyle فهو السائل الأبيض بعد انهضام الأطعمة في الأمعاء الدقيقة .

استعداده. كما يعرض في العالم الكبير من الكون والفساد والزيادة والنقصان في عالم العناصر. والقلب مبدأ الحياة لجميع البدن كالشمس في العالم الكبير، فإن بالشمس[98] يحيا النبات والحيوان[99] والمعدن. والرأس مبدأ الإدراكات والحواس وتدبير[100] البدن، كالأرواح التي فوق عالم الأفلاك تدبر العالم.

وكما في العالم الكبير سبعة كواكب سيارة، كذلك في الإنسان سبعة أعضاء رئيسية : فالقمر، منسوب إلى الدماغ، والقلب منسوب إلى الشمس، والرئة منسوبة إلى عطارد، والكبد منسوب إلى المشتري، والمرارة إلى المريخ، والطحال إلى زحل، وآلات التناسل منسوبة إلى الزهرة.

وكما في الفلك حركة وضعية[101] دائمة كذلك في الإنسان حركة وضعية في شرايينه النابضةمدة[102] الحياة .

وكما في العالم رياح مختلفة، كذلك في الإنسان رياح وقراقروجشأوكما يكون في العالم زلازل، يكون في الإنسان نافض وقشعريرة ورعده.

وكما يعرض في العالم أمطار وثلوج، يعرض للإنسان اسهال وادرار.

وكما يعرض في العالم الزوابع، يعرض للإنسان القولنج.

وكما يعرض في العالم الخسوف والكسوف يعرض للإنسان الفالج والسكتة.

وكما يعرض في العالم قلة الأمطار واليبوسة، يعرض للإنسان الدق والذبول.

وكما يعرض في العالم زيادة الرطوبات لزيادة الأمطار، يعرض للإنسان الإستسقاء.

---

(٩٨) الشمس (م) .

(٩٩) كلمة « والحيوان » ساقطة من (م) فقط .

(١٠٠) ويدبر (م) .

(١٠١) وضيعة (م) .

(١٠٢) القابضة (م) .

وكما يعرض في العالم السحاب والظلمة، يعرض في عين الإنسان ظلمة ودوار.

وكما يكون في العالم صفاء الجو واعتدال الهواء، كذلك يكون في حال صحته واعتدال مزاجه.

وكما في الأرض معادن وأحجار[١٠٣] ، كذلك يكون في الإنسان عظام.

فالأرض لحمه[١٠٤]، والأنهار عروقه، والبحر مثانته[١٠٥].

وكما أن الابن مشابه للأب، كذلك الإنسان مشابه للعالم الكبير، فإن العالم الكبير[١٠٦] هو أبو الإنسان وعنه تولد.

والإنسان له مناسبة مع الأنواع من الحيوان [١٠٧] والنبات والمعدن.

فمن الإنسان من هو عزيز النفس، جريء ، شجاع، كالأسد والنسر.

ومنه من هو دنيء النفس، جبان، كالأرنب والضأن.

ومنه من هو محب ألوف كالدلفين حتى أنه ينقذ الغرقى.

وكذلك قيسوس[١٠٨] من النبات، فإنه إذا جف لم يفارق الرطب الحي الجاف الميت منه. ومنه من يظهر الصداقة ويخفي العداوة كالتمساح.

ومنه من[١٠٩] يظهر الميل والمحبة، وقت الحاجة فقط، كالطيور التي تأتي صيفاً وتذهب شتاء .

---

(١٠٣) المعادن والأحجار (غ) .

(١٠٤) لجسه (م) .

(١٠٥) متناته (م) .

(١٠٦) « فإن العالم الكبير» وردت فقط في (غ) ، (ل) وبها يستقيم النص.

(١٠٧) الحيوانات (م) .

(١٠٨) قيشوش (غ) -قيوس سنى (ل) .

(١٠٩) « ما » في جميع النسخ. ولما كان المقطع قد بدأ باعطاء الصفات للإنسان وناسبها مع صفات بعض الحيوانات (فمن الإنسان من هو .....) فقد أصلحت « ما » أينما وردت في هذا المقطع مما ورد في المخطوطات ب « من » لضرورة اللغة (لأنها للعاقل/ واما اسم الموصول « ما » فهو لغير العاقل) .

ومنه السارق كالفأر والصنصال[110].

ومنه من هو شديد العداوة كالجمل[111].

ومنه من هو كثير الأكل كالغراب.

ومنه من يميل إلى الزنا كالقرد[112].

ومنه من هو لطيف نظيف[113] كالحمام.

ومنه من هو سريع الغضب كاللبوة.

ومنه بارع[114] في صنعة الموسيقى.

ومنه من هو كثير الأولاد كالأرانب.

ومنه وسخ الهيئة كالخنزير.

ومنه بخيل كالكلب.

ومنه حريص كالنمل.

ومنه كثير الكلام كشقاقوشي[115].

ومنه من هو قوي الإدراك كالحية فإنها حين ترى من يريد قتلها تجتهد أن لايصيب الضرب رأسها.

ومنه غافل كالحمام.

ومنه من يعلم الأمور المستقبلة كالنمل والنحل.

ومنه كثير النوم كالقنفذ[116].

---

(١١٠) الصنصار (م) وربما كان المقصود الصرصار وجرى تصحيف لها.

(١١١) كما في الجمل (غ).

(١١٢) كالقرود (م).

(١١٣) هذه الكلمة واردة فقط في (أ)، (غ)، (ك)، (ل).

(١١٤) هذه الكلمة ساقطة في (م)، (ح١).

(١١٥) كسقاقوس (غ) - كالبرمو (ل) - كسقاقوشي (ك).

(١١٦) كالضعضع (م).

ومنه من هو غبي كالحمار.

ومنه من هو متعاظم كالفرس والطاووس.

ومنه من يظهر أنه لايعلم وهو يعلم كالثعلب.

ومنه من هو ماهر في صناعة البناء كالخطاطيف، وغير ذلك مما لايحصى.

والإنسان أخذ من الحيوان كثيراً من الصنائع[117]: فإنه أخذ من الاوز صناعة ملاحة السفينة. وأخذ من بعض الطيور، التي تأكل السمك صناعة الحقنة، وكذلك معرفة منافع بعض الأدوية. فإنهم عرفوا أن المشكطر امشير[118] ينفع الجراحة، من الماعز، فإنها إذا جرحت، عمدت إلى هذا النبات وأكلت منه فتلتحم جراحاتها.

وكذلك عرفوا منفعة[119] الرازيانج في العين من الأفاعي، فإنها تعمى في الشتاء لطول مكثها تحت الأرض في الظلمة، فإذا جاء الربيع خرجت وجاءت إلى نبات الرازيانج ومسحت أعينها به، فينفتح بصرها، ويعود نظرها، وكذلك بقلة الخطاطيف عرفت منها.

وكذلك عرفوا منفعة السساليوس في السم من الايائل، فإنها تأكل الأفاعي. فإذا هاج في جوفها السم عمدت إلى السساليوس[120] وأكلت منه فيذهب ما بها.

وكذلك الحمام والحجل، إذا أصابها شيء سُمّي عمدت إلى حب الغار،فأكلت منه، فيذهب مابها.

---

(١١٧) يقصد بذلك الصناعات.

(١١٨) المشكطر امشيع (غ ، أ ، ل) وهو تصحيف لما ثبت في النص، وهذا النبات هو الفودنج البستاني (الجامع لابن البيطار - ص /١٥٨)

(١١٩) معرفة (م) .

(١٢٠) ويسمى هذا النبات سالي أيضاً (الجامع لابن البيطار) .

ومن ذلك أن الماعز يعرض في جفن أعينها ورم فتأتي إلى بعض الأشجار الشائكة فتحتك بها فينفجر ورمها وتبرأ.

والخيل إذا زاد دمها وامتلأت عروقها أحسّت بثقل بدنها فتفصد عروقها بأسنانها فيسيل الدم ويذهب الثقل عنها.

المقالة الثانية[1]
في أساس الطب الكيميائي

اعلم ان أساس هذا الطب ثلاثة أشياء :

الأول : معرفة العلم الطبيعي، على مذهبهم على ماتقدم ذلك .

الثاني : معرفة أسباب الأمراض، كما نذكره الآن.

الثالث : معرفة خواص المعدنيات وتحليلها وتفريقها.

الفصل الأول : في معرفة تركيب بدن الإنسان وقواه

اعلم أن في الإنسان ثلاث قوى :

الأولى : القوة الطبيعية، ومحلها الكبد. ومنها تغذية البدن وتنميته. وهذه القوة من الملح الأصلي، وهو الحافظ للحيوان، والمنمي له.

والثانية : القوة الحيوانية، ومحلها القلب. وبها حياة البدن وهي من الكبريت الأصلي.

والثالثة : القوة النفسانية، ومحلها الدماغ، ومنها الحس والإدراك الظاهر والباطن. وهو من الزنبق الأصلي الروحاني .

واعلم أن للإنسان جسمين : جسم ظاهر، مركب من العناصر الأربعة وهو اللحم والدم وباقي أجزاء البدن. وجسم خفي غير ظاهر للحس، باطن. وفي هذا الجسم تأثيرالنور الطبيعي، الذي هو مبدأ النبوة والإلهامات. وهو مناسب للأجسام العالية الفلكية. وهذا الجسم الباطن مناسب للجسم الظاهر ومنه يكون الإنسان. وإن شئت سميت[2] الظاهر

(١) « المقالة الثالثة » في (غ) ، (ل) .

(٢) هذه الكلمة « سميت » ساقطة من (م) فقط.

جسماً، والباطن نفساً. وبينهما واسطة مؤلّفة بينهما وهي الروح. وهي كالآلة للنفس، في ظهور أفعالها وايصال الحياة إلى البدن.

واعلم ان أخلاط البدن، عند هؤلاء، أمر واحد. وإنما[٣] الإختلاف في أن بعضها فج وبعضها نضيج، وبعضها غلب عليه الزئبق، وبعضها غلب عليه الكبريت، وبعضها غلب عليه الملح. ومن تركب هذه الثلاثة، وقلة الطبخ[٤] وتجاوزه، تعرض أنواع الأمراض، وهذا الحاصل من تركيب هذه الأشياء يقال له عندهم الطرطير وعنه تكون الأمراض المختلفة.

الفصل الثاني: في أسباب الأمراض

بهذا الفصل يظهر مرادهم وأساس مذهبهم. اعلم انه لما كان أصل جميع الأشياء عندهم ثلاثة: هي الزئبق والكبريت والملح، ناسب أن تكون أصول الأمراض عندهم ثلاثة أيضاً طبق الأصل. وإنما تنوعت الأمراض، لعوارض التركيب والتغيير، والتفريق والتحليل، والإنعقاد، وزيادة بعضها على بعض وغلبتها، وزيادة[٥] الكل في الكمية، لكثرة استعمال الأغذية الموافقة وغير الموافقة، ولأسباب أخرى سماوية، مؤثرة في تحريك الأمراض وأدوار الحميات، في زمان معين، كالشمس والقمر والنجوم الأخرى.

وكما يتركب عن هذه الأصول الثلاثة أنواع النباتات[٦] والمعادن والحيوانات كذلك يحصل من تركيبها على مختلف[٧] أنواع الأمراض. وإذا تقرر هذا علم ان الأمراض ثلاثة: كبريتية وزئبقية وملحية. فإن الكبريت إذا عرضت له حرارة غريبة انتشر بخاره في البدن

---

(٣) وامّا (م).

(٤) النضج في (م)، (أ). وكلمة الطبخ «كانت قديماً كثيرة الإستعمال وقد تكررت مراراً في كتاب «الطبيعة» لأرسطو ترجمة حنين بن اسحق (تحقيق عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٤ / ١٩٦٥.

(٥) أوردنا (م).

(٦) النبات (م).

(٧) «مختلفة» (م).

على ضروب مختلفة، فأوجب الحميات، والأورام الفلغمونية، وبعض الأمراض الجدرية. والزئبق إذا عرضت له حرارة طابخة، صعد بالطبخ ونزل، فتولد من ذلك أنواع النوازل، والسكتة والفالج، وماأشبه ذلك. فإن عرضت له حرارة قوية صعد إلى الهامة[٨] وتولدت منه الأمراض الدماغية الحادة، كفرانيطس، ومانيا[٩]، والصرع وغير ذلك. وان عرض له تكليس، فإن خالطه الطرطير، تولد من ذلك أوجاع المفاصل والنقرس.

وأما الأمراض العارضة من الملح فكثيرة لاتكاد تحصى. وأكثر الأمراض المزمنة من الملح، ويكون ذلك على أنحاء[١٠] أربعة:

إما بانحلاله ماءً فيعرض الإسهال والإستسقاء وغير ذلك من الأمراض السيلانية.

وإما باحتراقه، فيعرض من ذلك الحكة والجرب والقوباء والقروح الرديئة والسرطان واسكوربوط والحب الإفرنجي وداء الثعلب.

وإما بانعقاده[١١] فيعرض من ذلك الثآليل والصلابات والعقد والغدد والخنازير ونقروس[١٢].

وإما بتبخيره، فيعرض من ذلك العرق المنتن، وصنان[١٣] الإبطين، وماأشبه ذلك. فإن كان مع البخار كبريتية عرض من ذلك الحمى الدقية[١٤]

---

(٨) «صعد إلى الأعالي» في جميع النسخ ماعدا (ك) وقد اعتمدت كلمة «الهامة» من (ك) ومعناها الرأس لأنها أقرب إلى المعنى.

(٩) الفرانيطس Phrenitis هو التهاب الدماغ - والمانيا هو الهوس.

(١٠) «إنها أربعة» (غ).

(١١) يقصد بالإنعقاد التبلّر أو بشكل عام التحول من الحالة السائلة إلى الحالة الصلبة.

(١٢) سعردس (م) - اسقرديس(غ) - سيقروس (ل) - سقيروس (أ، ح١) وماهنا من (ك) وإما في (ح٢)، (ح٣) فالكلمة غير مقروءة ويغلب على الظن أن المراد هو النخر Necrose (النيكروز).

(١٣) الصنان تعبير عامي دارج عن رائحة كريهة، والصحيح في اللغة هو الصَنَق والفعل صَنِق.

(١٤) العراقية في (م)، (ل)، (أ).

الفصل الثالث : في كيفية عروض الأمراض ومعنى الخلط المسمى عندهم بالطرطير

واعلم ان ما يؤكل ويشرب يهضم في المعدة. وبعد هضمه يأخذ مبدأ الحياة منه ماهو صالح للتغذيةوحفظ بدن الإنسان. وفضلة الغذاء تنقسم إلى ثلاثة : زئبق وكبريت وملح. فالملح تدفعه الطبيعة عن طريق البول، والزئبق من المسامات والكبريت من الأمعاء.

واعلم أن في كل ما يؤكل ويشرب (يوجد) دردية، ورملية، وطينية، ورطوبة لزجة. وهذه الأشياء مضادة للصحة، لأنها غير قابلة للتغذية.

واعلم ان المعدة آلة لتفريق أجزاء الغذاء وتحليله، كآلة الكيمياء. فإذا كانت المعدة قوية، والقوة المميزة قوية، اندفع الغذاء إلى الأعضاء خالصاً من الفضول. وإذا كانت المعدة ضعيفة، والقوة المميزة غير كاملة التمييز، اندفع مع الغذاء إلى الأعضاء فضول غير صالحة للتغذية. ويندفع المنهضم إلى المساريقا، ومنها إلى الكبد، وينهضم هناك هضماً ثانياً، ويتميز تمييزاً آخر. فما كان لونه ياقوتياً كان صالحاً لتغذية جميع الأعضاء. وما كان بلورياً اندفع إلى الكلية ومنها إلى المثانة بولاً. وإن كانت القوة في الكبد ضعيفة اندفع[15] ما يندفع إلى البول في العادة مصاحباً لبعض الأخلاط اللزجة. وإن كان أحد هذه الأعضاء ضعيفاً، صحب الطرطير الغذاء، ولم يندفع عنه. فإذا انضم إليه ما غلب عليه من زئبقية أو كبريتية أو ملحية حصل من ذلك أمراض مختلفة كما ذكرنا.

وذكر براكلسوس في كتابه المسمى براغناني أن الطرطير يتولد في البدن من الأغذية والأشربة كما ذكرنا. وقد يكون من أصل الفطرة من أبيه وأمه، وقد يكون سبب تولده نقصان فعل أعضاء الهضم والدفع، ومما ذكرنا تتولد أنواع الأمراض. وجميع المتقدمين لم يدركوا هذا المعنى فلهذا عجزوا عن معالجة هذه الأمراض. وأمّا من يعلم

---

(١٥) « اندفع » ساقطة في (م) .

تدبير الجوهر الخامس[16] المسمى بذهب الحياة فيتأتى له علاج هذه الأمراض الكائنة عن الطرطير المذكور.

واعلم أن الطرطير أربعة أنواع كالعناصر الأربعة لأن الغذاء الذي يستعمله الإنسان [17] هو مما تركب من العناصر الأربعة:

الأول: الطرطير الكائن عن النباتات الأرضية.

الثاني: الطرطير الكائن عن الماء المشروب وما يتولد منه من الأسماك والسرطانات والأصداف.

الثالث: الطرطير الكائن عن لحوم الحيوانات والطيور.

الرابع: الطرطير الكائن عن الهواء المستنشق، إذا صاحبته أبخرة رديئة وأبخرة كبريتية.

ومنه[18] تتولد أمراض الوباء والطاعون، والحميات الرديئة السمية.

فمن لم يعلم العلاج الكلي لم يقدر على علاج هذه الأمراض.

وأنواع الطرطير ظاهرة في القارورة، لاتخفى على من حاول صناعة التحليل والتفريق. فانه يعلم من أي نوع من الطرطير ظاهر[19] وأي أصل غالب عليه[20] من الأصول الثلاثة التي هي الزئبق والكبريت والملح. واتباع جالينوس لما لم يعرفوا هذا المعنى قالوا إن الأمراض متولدة عن الصفراء والسوداءوالبلغم والدم. وهذه الأسماء عندهم تطلق على هذه الأخلاط الأربعة ، وفي هذه المذكورات طرطير يكون عنه المرض لا عن السوداء والبلغم والصفراء والدم. ومن لم يعرف حقيقة ما يكون عنه المرض كيف يعالج المرضى مع أن

---

(١٦) هو جوهر خفي له فعل سري غير معروف. فالعناصر الأربعة التي كانوا يقولون إنها تؤلف الأجسام في عالمنا الأرضي (مادون فلك القمر) هي عناصر مادية ولذا سمي بالجوهر الخامس لأنه غير مادي معروف بآثاره .

(١٧) لأن غذاك يتركب من ... (غ) ـ لأن غذاءنا الذي نستعمله هو ... (ح١) .

(١٨) « من هذه الأجزاء يتولد » (غ) ـ « من أمراض هذا الأخير » (م ، آ ، ل) .

(١٩) « ظاهر » ساقطة من (م) فقط.

(٢٠) « عليه » ساقطة من (م) فقط .

العلاج قطع السبب ؟

واعلم أن في الطرطير المذكور يوجد ما يشابه الأعضاء من الغذاء. وحرارة الإنسان كحرارة الشمس والقمر في العالم، تنضج الغذاء وتميز الصالح للتغذية[٢١] من غيره، وترسله إلى الأعضاء. وهذه الحرارة التي في الإنسان جوهر مجرد مشابه لروح العالم الكبير. فإذا كانت الآلات صحيحة، والأعضاء سليمة، تولد الغذاء الجيد، واندفع إلى الأعضاء، وما هو غير صالح، تدفعه إلى مجاريه ومصارفه، فتدوم حينئذ الصحة. فإذا وقع خلل أو مانع عن تمام الفعل تولد الطرطير الكثير. والطرطير يعقد كل سائل بالطبع في أي موضوع كان. ومن عرف نسبة العالم الصغير في العالم الكبير عرف معالجة الأمراض الكائنة عن الطرطير، فإنه يعلم مناسبة الأدوية لكل عضو. فإن الفضة والياقوت الأزرق والزمرد والزاج مناسبة للدماغ، والذهب واللؤلؤ للقلب، والكبريت للرئة. وستعرف ذلك مفصلاً في علامات الأمراض والدلائل.

الفصل الرابع : في النبض

اعلم أن النبض ميزان[٢٢] المزاج وتعلم منه الأحوال في ستة[٢٣] مواضع من البدن: اثنان في الرجلين أحدهما لزحل والثاني للمشتري. واثنان في العنق يميناً وشمالاً أحدهما للزهرة والثاني للمريخ، واثنان في الصدغين أحدهما للقمر والثاني لعطارد. ونبض آخر في الطرف الأيسر قريب من القلب منسوب إلى الشمس.

ومن هذه العروق تعرف أنواع الأمراض خصوصاً أمراض الأعضاء السبعة الرئيسية. واعلم ان المرض إن كان حاراً ينبغي قبل جس العرق أن توضع يد العليل أو رجله

---

(٢١) الغذالية (غ) .

(٢٢) مهران (م) .

(٢٣) نسبة (م) ، وما هنا من جميع باقي النسخ وأعتقد أن كل هذه الروايات مصحفة وصحيحها « سبعة » بدلاً من ستة .

في الماء البارد، أو يبرد العرق بخرق مبلولة بماء بارد ثم يجس العرق ويحكم. وإن كان المرض بارداً توضع الرجل أو اليد في الماء الحار أو يكمد بشيء حار ثم يجس العرق[٢٤].

واعلم أن الأمراض الكبريتية يكون النبض فيها سريعاً. وإذا علمت أن المرض حار، والنبض ضعيف الحركة، علمت أن الروح الحيواني فيه آفة لسدة تمنع نفوذ الحياة هناك. وفي الأمراض الباردة يكون النبض بطيء الحركة لكن قوته ليست ضعيفة. وان كانت قوته ضعيفة، علمت أن هناك سدة تمنع نفوذ الروح أو غير ذلك. ويجب في الأمراض العظيمة[٢٥] خصوصاً العامة لجميع البدن، تفقد[٢٦] أحوال النبض في مواضع متعددة ليتضح لك جلية الأمر.

وفي الأمراض المختصة بعضو، يجب تفقد النبض القريب من ذلك العضو، فإن بذلك تعرف أحوال ذلك العضو. ويجب أن توضع اليد على العرق، عند سكون العليل عن الحركات البدنيةوالنفسانية. وقد ذكر ذلك براكلسوس في كتابه اوبورين مفصلا.

الفصل الخامس : في البــــول

اعلم أن البــول ملح فـارق الغـذاء. وهوامـا من خـارج، وهو مـا يكون من المأكـول والمشـروب، وامـا من داخل، وهو مـا يكون من نفس العضـو لسـوء مزاجـه، وامـا مـركب منهمـا. والأول يدل على صحة الكبد والمعدة والكلى إذا خرج . وخروج الثاني يدل على الأمراض وسـوء المزاج، والمركب منهمـا[٢٧] يدل على صحـة وعلى مـرض. والقـارورة تنقسم

---

(٢٤) الجملة بدءاً من « وإن كان المرض بارداً ... » ساقطة من (غ) فقط .

(٢٥) الضعيفة (م) .

(٢٦) تعقد (م) .

(٢٧) « منهما » : ساقطة في (غ) .

إلى ثلاثة أقسام[٢٨] أيضاً فتكون كبريتية، أو زئبقية، أو ملحية، فالرسوب الراسب[٢٩] في أسفل الإناء من الزئبق، والطافي من الملح، واللون من الكبريت.

فإذا[٣٠] أخذت القارورة من الداخل[٣١] ينبغي أن لايتقدم على أخذها شرب ماء[٣٢] وطعام، اللهم إلا قليل من خبز جاف[٣٣] أو لحم من غير ماء.

وإذا كان المرض حاراً، ولايصبر العليل على شرب الماء ليلاً، فيجب أن تعلم مقدار ماشرب[٣٤]، ثم تلاحظه[٣٥] عند رؤية القارورة.

وأيضاً البول منه ياقوتي، يدل على الأمراض والنضج، ومنه بلوري هو فضلة لايدل على شيء. والياقوتي له مراتب، بحسب زيادة الكبريتية ونقصانها، واختلاطها بالزئبق والملح. فالرسوب الطافي يدل على أمراض الدماغ في الاكثر، والرسوب المعلق يدل على امراض تنور البدن، كحجاب القلب والرئة والمعدة والكبد[٣٦] والطحال في الأكثر. والرسوب الراسب، يدل على أمراض أسافل البدن، كالكلى والمثانة والظهر والورك والرجلين.

وينبغي، إذا أردت أخذ القارورة، أن تصنع من الزجاج صورة إنسان مجوف، وتضع البول فيها، ثم تضع الصورة في رمل حار، حتى يبدأ صعود البول وحركته. وتعلم من صعوده وحركته من أي عضو هو، وعلى أي عضو يدل، ثم تبرده وتنظر فيه.

(٢٨) كذا في (غ) - تنقسم على ثلاثة أيضاً (م) - تنقسم إلى أقسام ثلاثة (ك، ل، أ).

(٢٩) غير واردة في (غ).

(٣٠) وان (م).

(٣١) داخل (م)، من الداخل ساقطة من (ك).

(٣٢) شراب ما (م).

(٣٣) حاف (م) - صرف (أ).

(٣٤) ماشربت (م).

(٣٥) يلاحظه (م).

(٣٦) هذه الكلمة لم ترد في (م).

وفي الحميات الوبائية، والأمراض السمية[٣٧] يكون البول كلون الزرنيخ أو كلون الزنجار. وإن كان السمّي[٣٨] زئبقياً صار فوق البول دائرة زنجارية. وإن كان السمّي[٣٩] زرنيخياً يصير الرسوب في آخر القارورة كالنوره[٤٠]. وإذا علمت هذه العلامات والدلائل وعلمت الأسباب، قدرت على العلاج.

الفصل السادس : في نوبات الحميات وأدوار الأمراض ويكون بعضها متصلاً لانوبة له

اعلم ان الأطباء لم يعلموا السر في ذلك، فنسبه بعض إلى الأعداد، ونسبه بعض إلى حركات القمر، ونسبه بعض إلى القوة الدافعة. وإنما لم يعلموا بذر الأمراض، وأصلها المتولد منه. فكما ان للنبات، وقتاً معيناً لخروجه وزهره وثمره، وكذلك للحيوان زمان معين لولادته، فكذلك للأمراض، بحسب صورها النوعية، بذور وأصول تتولد منها، كبذور النبات وأصوله. فإن الأمراض المتوارثة[٤١] كالصرع والنقرس والبرص والجذام فإنها قد تظهر بعد سبع سنين من الولادة أو أربعة وعشرين[٤٢] أو ثلاثين سنة.

وأمّا بذور الأمراض، الحادثة عما يؤكل ويشرب، فإنها سريعة النبات والنمو وأسهل علاجاً من المتوارث[٤٣]. وقد تكون سرعة[٤٤] النبات[٤٥] وبطؤه، بحسب العضو

---

(٣٧) يقصد بذلك الأمراض الناتجة عن الإنسمامات.

(٣٨) المسمى (م، ع).

(٣٩) المسمى (م، ع).

(٤٠) النورة : معناها بالأصل حجر الكلس ثم أطلقت هذه التسمية على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرنيخ وغيره (القاموس المنجد).

(٤١) المتوازنة (م).

(٤٢) أربعة عشر : في (ل) و (أ).

(٤٣) المثورات (م).

(٤٤) سريعة (م).

(٤٥) المقصود بكلمة « النبات » هنا المصدر لفعل نبت بمعنى النمو والتكامل.

الموضوع فيه البذر. فإنه إذا كان في المعدة كان أسرع ظهوراً مما يكون في الكلى مثلاً، وما في الكبد أيضاً أسرع مما في الكلى. وإذا تشابهت [46]أصول المرض وبذوره تتابع ظهوره ودام حصوله أولاً بأول فيدوم بذلك[47]ولا ينقطع. وإن لم تتشابه[48]الأصول انقطع ولم يدم.

الفصل السابع : في العلاج[49] الكلي وإشارة إلى بعض المعالجات

اعلم ان الله سبحانه وتعالى خلق الحجر المكرم، وجعل فيه شفاء جميع الأمراض. لأنه أشرف طبيعة من كل دواء، وتعالج به الأمراض الحارة والباردة. وهو يصفي الدم، ويقوي الأرواح، ويدفع السموم، ويبرىء القروح الرديئة.

والأمراض التي لاتقبل العلاج إلأ في شهر فإنها بهذا الحجر تبرأ في يوم واحد. والأمراض التي تحتاج إلى اثنتي عشرة سنة تبرأ في شهر بهذا الدواء. وقالوا أيضاً، إنه يحفظ البلسان الطبيعي، ويرد المزاج المنحرف إلى الإعتدال. ويقال له الجوهر الخامس، والطبيعة الخامسة، والكبريت الذي لايحترق، والنوع الكامل، والشمس، والسماء، والروح الطبيعي، وهو يمد الحياة لكل واحد من المولَّدات[50]. فهو في كل نوع يكون أثره بحسب ذلك النوع. فهو كالقلب لبدن الإنسان، فإن منه حياة جميع البدن بواسطة الشرايين، وحركة وحس جميع الأعضاء بواسطة الأعصاب، وتغذية الأعضاء بواسطة الكبد والعروق، فيتنوع فعله بحسب اختلاف الموضوع، فينفع كل مزاج وكل طبيعة وكل مرض.

---

(٤٦) تتابعت (غ) . وقد انفردت نسخة غ بذلك ولكن لايستبعد أن تكون هي الصحيحة.

(٤٧) كذلك (م) .

(٤٨) تتابع (غ) ولايشتبه أن تكون هي الصحيحة.

(٤٩) « علاج » في (م) .

(٥٠) يقصد بالمولَّدات : الحيوان والنبات والجماد .

وهذا الجوهر الخامس، الشريف العالي، لايمكن التوصل إليه إلاّ بصناعة الكيمياء. فلهذا كانت هذه الصناعة لازمة لمن يتعاطى صناعة الطب.

واعلم أن الجوهر الخامس يوجد في كل مركب، لكنه في هذا الحجر أتم وأكمل وأظهر وأشرف. فهو [٥١] يوجد في اللؤلؤ والمرجان والزمرد والياقوت بأنواعه، والفضة والذهب، وجميع النبات والحيوان، وفي العسل والشراب والحنطة. ولايوجد ولايؤخذ إلاّ من طريق الكيمياء. والمالك لصناعة الكيمياء - يقدر على جعل الشجرة غير المثمرة مثمرة. - ويقدر على أن يجعل الشجرة، التي تؤتي ثمرها في السنة مرة، بحيث تؤتي به مرات متعددة[٥٢] . - ويقدر على أن يجعل الصيف شتاءً، والشتاء صيفاً. - ويقدر على أن يخرج من الفاسد صالحاً. - ويقدر على تبديل النوع وقلبه، ويخرج من المر حلواً، ويكمل المعادن الناقصة ويوصلها إلى الرتبة الذهبية. - ويصنع الياقوت والزمرد - ويقدر على تكثير القليل - وعلى علاج جميع الأمراض[٥٣] . - ويقدر على أن يصيّر الجاهلَ عالماً. وهو مفتاح الأرض والسماء، فيصل إلى محيط العالم ومركز الأرض، وعمق البحار. ويقدر على أن يرى جميع ما في العالم من مرآة هذا الحجر. والحكيم القديم الأزلي، له المنة، على ماألهم هذا النوع الإنساني، إلى معرفة هذا الحجر وتدبيره. فإن بمعرفة هذا الحجر يكون الإنسان إنساناً كاملاً، ويسمى باليونانية البانصوفية، يعني الحكمة[٥٤] الكلية.

---

(٥١) فهل (م).

(٥٢) كثيرة (م).

(٥٣) كلمة «جميع» لم ترد في (غ).

(٥٤) الكلمة (م).

مخطوط الكيمياء الملكية

من نسخة مكتبة جامعة كمبردج (انكلترا)   (ك)

المقالة الثالثة[1]

في معرفة خواص الأشياء من أشكالها وألوانها وطعومها وقوامها وغلظتها ورقتها ورائحتها ومحلها المتولدة فيه

اعلم أن من عرف الحجر المكرم وتدبيره لايحتاج إلى شيء غيره. وأما من لم يصل إلى هذه المرتبة، فيحتاج إلى معرفة ذلك، ليتأتى له[2] علاج الأمراض كما ينبغي. واعلم ان الله سبحانه وتعالى خلق الأشياء، وأودع فيها خواص ومنافع، يُطْلع عليها من أشكالها وأحوالها المذكورة.

الفصل الأول : في الأدوية المنسوبة إلى الكواكب

اعلم أن الأدوية المنسوبة إلى زحل[3] تكون: شوكية، رمادية[4] اللون أو سوداء. وطعمها عفص، ورائحتها كريهة. وتكون في الأماكن المظلمة اليابسة والجنوبية. والمتكونة في وقت صلاح زحل، واستقامته وشرفه، تكون نافعة للطحال. والمتكونة في سوء حاله[5]، ورجعته وهبوطه، تكون سمية ضارة بالأبدان. ويعرف ذلك بمرتبة كيفيتها، ومنها الخربق الأسود والبنج والشوكران وخانق النمر وجوز ماثل وعنب الثعلب والسرخس والطرفاء

(١) من الآن فصاعداً سلكنا في ترقيم المقالات والفصول، ما جاء في نسخة (م) وهي وحدها التسلسلة في مقالاتها وفصولها بشكل منتظم وأمّا في باقي النسخ فيبدأ كل فصل بالعنوان بدون تسلسل ترقيمي.

(٢) لك (م).

(٣) لزحل (م).

(٤) رمانية (م).

(٥) سوء حال (م).

والسقولوفندريون والسرو والابهل والسنا والكبر والبسفايج وعصا الراعي والخلاف والبنجكشت والعفص والسلق والكرفس والاسرب[٦] .

والأدوية المنسوبة إلى **المشتري** : هي الأدوية الدهنية . وطعمها ورائحتها طيبان ، وزهرها أحمر أو اسمانجوني ، ورقها مسطح ، وتنبت في مواضع دهنية .وهي تنفع الكبد ، وتصفي الدم وتلحم الجراح ، ومنها البلسان والقرنفل البستاني ودهنه ، والريباس والأمير باريس والبتونكا[٧] والقنطريون والورد والشاهترج والبوصير والصعتر والسنفيطس والكمادريوس واللوز وفوة الصباغين والراوند والمرجان .

والأدوية المنسوبة إلى **المريخ** : يكون لونها مائلاً إلى الحمرة ، وتكون خشنة شوكية ، والأشياء أي (النباتات) المحرقة[٨] والنابتة[٩] في الأماكن اليابسة ومن ذلك : الأنجرة والشوك والعليق والعوسج والشبرم واليتّوعات .

والأدوية المنسوبة إلى **الشمس** : هي كل ما يكون طعمه[١٠] لذيذاً ، ورائحته طيبة ، وزهره وورقه أصفر ، وما يكون في المواضع المكشوفة تحت شعاع الشمس ، والأدوية المقوية للروح والقلب والبصر . ومن ذلك : الزعفران والأترج والنارنج والبادرنجبويه واكليل الجبل والهيوفاريقون والغار والشراب[١١] .

---

(٦) بالرغم من وجود هذه الكلمة في كل النسخ إلا أني أعتقدأنها تصحيف لنبات « الاسرن » أو « الاسرون » وهي حشيشة السلطان ، مادام المؤلف يتكلم على علاقة النباتات بالكواكب .

(٧) تبويكا (م) وأعتقد أن المقصود هو نبات البتونيكا Betonica .

(٨) المحترقة (م) .

(٩) اليابسة (م) .

(١٠) غير واردة في (م) .

(١١) أعتقد أن كلمة « الشراب » فيها تصحيف برغم ورودها في كل النسخ ما دام التعداد يتناول النباتات ، وأرجح أن يكون المقصود هو نبات السذاب (Rue) .

والأدوية المنسوبة إلى **الزهرة** : يكون طعمها حلواً، وزهرها أبيض، وورقها ليناً. ومن ذلك خصية الثعلب والسوسن الأبيض والنرجس والورد الأبيض والنيلوفر والتين وبصل الزيز.

والأدوية المنسوبة إلى **عطارد** : تكون ألوانها مختلفة، وتنبت في مواضع رملية. وما يكون ثمرها معلقاً كالخرنوب، والأدوية النافعة للرئة جميعها، والأدوية النافعة للاسنان [12]. ومن ذلك : حشيشة الزجاج والبابونج والحندقوق والأقطي والعرعر والدبق والجوز، والأدوية المحللة للريح، المفتحة للسدد.

والأدوية المنسوبة إلى **القمر**: يكون ورقها ليناً غليظاً كثير المائية. وتنبت في الأماكن كثيرة الرطوبة. ومن ذلك : القرع والخيار والبطيخ والكرنب والخس واللفاح والخشخاش والفاوانيا[13] والفطر والكماة وعدس الماء والأخلامور والثوم والبصل والكراث وكل ماينبت في المياه وقربها.

والأدوية المنسوبة إلى **الدم** : منها القرنفل البستاني والورد والفاوانيا ولسان الثور والبنفسج والشاهترج وعرق السوس وأناغاليس وفوة الصباغين والسنخار والساطريون. فهذه الأدوية تصفي الدم وتنوره[14]، وتعين على تولده[15]. مثال ذلك : القرنفل البستاني والورد والبنفسج وعرق السوس والأناغاليس والساطريون تزيد في الدم وتقويه. ولسان الثور والشاهترج تصفي الدم وتنقيه. وفوة الصبغ تدر الدم الزائد وتعين على وضع الحمل. والسنخار والطورمنتيلا والبسطوريطيا[16] والصندل الأحمر والطين الأرمني ودم

---

(١٢) للإنسان (غ)-للسان (ل، أ)-الملساء (م).

(١٣) الفادانيا (م)-الفانيا (ك).

(١٤) وتفوره (م).

(١٥) توليده (غ).

(١٦) هو نبات البسطورطيا (الانجبار).

الأخوين يحبس الدم ويمسك سيلانه.

والأدوية المنسوبة إلى **الصفراء** : فمنها الراوند والإهليلج الأصفر وزهر الخيري والزعفران والكمافيطوس والخلدونيا والحماض والأترج وهي تنفع الأمراض الصفراوية كالغب والجرب والحكة واليرقان.

والأدوية المنسوبة إلى **السوداء** : منها الأدوية التي لونها أسود، وطعمها عفص، كالبسفايج والخربق الأسود والسنا والأسرون والسرخس والكبر والفاشرا(١٧) والطرفاء والآس البري. فالخربق الأسود يخرج جميع أنواع السوداء، وينفع جميع أمراضها. والسنامكي يخرج ما احترق عن الصفراء ويحلل الرياح. والبسفايج يعدل السوداء وينضجها. والاسارون ينفع حمى الربع. والسرخس يزيل آثار السوداء عن الجلد، وكذلك الفاشرا.

والأدوية المنسوبة إلى **البلغم** : وهي التي تحتاج شعاع القمر، كشحم الحنظل والفاريقون وقثاء الحمار والحلبوب(١٨) والعفص. ومنها مايخرج البلغم ومنها ما يعدل الصفراء.

والأدوية المختصة **بالدماغ**: هو كل ماهو منسوب إلى القمر وينفع الدماغ. ومنها : الكهرباء واللؤلؤ والعنبر والمرجان والزمرد والياقوت الأزرق والفضة. ومنها ما ينفع الصرع، ومنها مايجفف الرطوبات ويقوي العضو.

وقالوا : كل ماله رأس ينفع الرأس كالفاونيا، فإنها تنفع جميع أمراض الرأس. وكذلك الخشخاش والنيلوفر لأمراض الدماغ الحارة.

---

(١٧) الفاسر (م).

(١٨) ويقال له أيضاً الحلبلوب.

والأدوية التي تشابه الشعر[١٩] تنفع الشعر. ومن ذلك : البرشاوشان والقيصوم[٢٠] والأشنة والبوصير.

والأدوية المختصة **بالعين**: هي الأدوية المنسوبة إلى الشمس، والأدوية المشرفة وهي : الراسن والهيوفاريقون والزعفران والخلدونيا والأقارحة[٢١] وزهر الأخلامور والذهب والياقوت الأزرق والبابونج.

والأدوية المختصة **بالأذن** : منها إذن الفار، وبخور مريم وورقه.

والأدوية المختصة **بالأسنان**: أصل السرخس[٢٢] والبنج وحب الصنوبر.

والأدوية المختصة **بالرئة** : منها حب السعال وحشيشة الرئة واسقابيوزا[٢٣] والبوصير[٢٤] والأرنيكا[٢٥] والخطمي والفراسيون[٢٦] فإنها تنفع جميع علل الرئة[٢٧] .

والأدوية المختصة **بالقلب**: هي ماينسب إلى الشمس، ومن ذلك: الجوزبوا والأترج والبلاذر والأنتره[٢٨] والزعفران والهيوفاريقون والراسن والغار والرمان والذهب والبادرنجبويه والنارنج والسفرجل والبسباسة فهذه تنفع أمراض القلب منفعة ظاهرة.

---

(١٩) للشعر (م) .

(٢٠) القيسون (م)-القيسوم (ل) .

(٢١) الأفراحيا (ل، م)-الأقراعيا (غ) .

(٢٢) النرجس (م) .

(٢٣) اسقارينوس (غ) .

(٢٤) بوستر (م)-بوسير (ل، ك) .

(٢٥) الإرنقاد (م) ، الارينقا (غ) ، الاروفقا (ل) .

(٢٦) البراسيون (م) .

(٢٧) الردية (م) .

(٢٨) الأنثرة (غ) وأعتقد أن المؤلف قصد الأنتلة Aconit anthora (ترياق البيش) .

والأدوية المنسوبة إلى **الكبد** : فهي ماينسب إلى المشتري والمريخ معاً، كالقرنفل البستاني ولسان الثور والصبر والأباتقا[٢٩] وعرق السوس والهليون وفوة الصبغ والزبيب.

والأدوية المختصة **بالمرارة**: الأغريمونيا[٣٠] والكمافيطوس والراوند والقنطريون الصغير والكبير.

والأدوية **الطحالية** : هي كل ماهو منسوب إلى زحل، كالخربق الأسود والبسفايج والسنا والطرفاء والسقولوفندريون والبرشاوسان واللازورد والحجر الأرمني والطرطير.

والأدوية المنسوبة إلى **المعدة** : الزنجبيل والجوزبوا والأنجليقا والكراويا والكمون والسساليوس والجوز والأسقيل ولوف الحية[٣١] .

والأدوية المنسوبة إلى **الكلى**[٣٢] : هي ماتتولد من اشتراك القمر والزهرة ومنها: الساطريون[٣٣] وخصية الثعلب، والشقاقل[٣٤] والمسك والبهمن الأبيض والأحمر، والزباد، واللوبيا، والجوزبوا.

والأدوية المنسوبة إلى **الأنثيين**: النرجس والهليون وخصى الثعلب والنيلوفر والحسك.

والأدوية المنسوبة إلى **المثانة** : هي مايتولد بمشاركة القمر لزحل ومنها: الكاكنج

---

(٢٩) موجودة في كل النسخ ماعدا (غ) ولم يتضح لي مدلولها.

(٣٠) أغريونا (غ) -أغريمونا (ل) .

(٣١) لزق الحية (م) .

(٣٢) الكلية (غ) .

(٣٣) الشياطريون (غ)-الشاطريون (ك) .

(٣٤) السقاقل (غ) .

وورق السنا المبزر[٣٥] ولحية التيس، وحب القلت[٣٦] وحجر اليهود، وحجر الإسفنج، والطرخون.

والأدوية المناسبة **للرحم**: الزراوند بأنواعه والمر والحلتيت، والسوسن الأبيض والأسارون، وحجر اكتمكت[٣٧] والبادرنجبوية، والفاشرا.

والأدوية المناسبة **للأمعاء**: هي اللبلاب، والقيسون[٣٨] والكرمة البرية[٣٩] والفاشرا، والأنثله[٤٠] والزرنباد والكشوث، والعليق.

والأدوية المناسبة **للسان**: لسان الثور، ولسان الكلب ولسان العصفور.

والأدوية المناسبة **للمفاصل**: السورنجان، والبوزيدان، والخروع والعرطنيثا وهذه تنفع النقرس والرعشة.

والأدوية المناسبة **للناخس**: كالبارود[٤١] وكاردنماري[٤٢] والقرصعنة والعرعر. وهذه الأدوية تسكن الناخس وتنفع ذات الجنب.

والأدوية المناسبة **للأورام** والبثور والسلع هي الأدوية المستديرة الأصول كبخور مريم

---

(٣٥) المبرد (م).

(٣٦) اللقت (ك) ـ القلب (م).

(٣٧) اكتملت (م،غ).

(٣٨) التيوس، (غ) الكمون (ل).

(٣٩) الكرنب البري (م).

(٤٠) أنيلة (م).

(٤١) كذا في كل النسخ والغالب انها تصحيف لكلمة البارزد.

(٤٢) كارونياري (م) كاردونياديتي (ك) كاردينياديتي (ح٢) كاردينياريهي (غ).

والخلدونيا الصغير، ولوف الحية[٤٣] والأشراس[٤٤] والكبيكج[٤٥] والفاريقون والثوم والبصل.

والأدوية المناسبة **للجراحات**: هي الأدوية التي في أوراقها ثقوب، كأنواع هيوفاريقون، والسنفيطن[٤٦] والبتونيكا[٤٧] والبلسميتا، وجراسيا[٤٨] واسقراطيقوس[٤٩] ورعي الحمام والغافث. وجميع الأدوية اللعابية اللزجةوالصمغية تنفع الجراح والقروح.

والسنفيطن الكبير والخطمي واكليل الشمس والدبق والبنج والصبر والمر والكندر ودم الأخوين وصمغ البطم والمصطكي والأنزروت.

والأدوية التي في أوراقها نقط أو خشونة تنفع **الجرب والحكة** والقوباء كالأسقابيوزا[٥٠] والحماض والبسفايج والسقولو فندريون والأبهل.

والأدوية التي فيها مشابهة لحيوان تنفع من **نهش ذلك الحيوان**. ومن ذلك لوف الحية فإنه ينفع من نهش الأفاعي. وكذلك شوك الجمال ينفع من نهش الحية وكذلك حشيشة العقرب تنفع من لدغته، وبزر قطونا يقتل البراغيث ومن هذا القبيل الدرونج ولوف الحية الكبير والزراوند الطويل والبوطربيون[٥١].

وجملة ماذكرنا، عرفنا خاصيته ببعض أحواله الظاهرة، وقد يستدل بأحواله

(٤٣) لزق الحية (م).

(٤٤) الأسراس (غ)، الأسرش (ل)، الشراس (م).

(٤٥) الكبينج (غ) السكبينج (ك) الكيكج (م).

(٤٦) السفيطس (م).

(٤٧) التوبكا (م) البتونكا (ل،ك).

(٤٨) الجرانيا (غ)، الجرابيا (ك، ل، م).

(٤٩) اسطراطيوس (م، ل، ك).

(٥٠) كالأسقابيون (غ) - كاسفابيور (ل).

(٥١) قد تكون بوطريون Poterium (كزبرة الثعلب).

الباطنة على خاصته، خصوصاً بما فيه من الملح والزئبق والكبريت.

فجميع الطعوم من الملح، والروائح من الكبريت، واللون من الزئبق. ومن تدرب على هذه الصناعة، يستدل بالأمور الظاهرة على الأمور الباطنة. ويعلم النسب بينهما، ويحكم بما يناسب، خصوصاً إذا انضم إلى ذلك تجربة.

الفصل الثاني : في كيفية تدبير الأدوية وتحليلها وتنقيتها على طريقتهم

اعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق جميع الأشياء للإنسان، لقوام بدنه وحفظ صحته، وإزالة مرضه. لكن لما كان بعض الأدوية لاينفذ في البدن لكثرة أرضيته، أو غلظه، وتلزز أجزائه، وبعضها لايخلو من سمية، مع ما فيه من المنفعة للإنسان، لأن عالم الكون والفساد سفلي لايمكن خلوه من مثل هذه الأشياء كما تقرر في الحكمة « أن ترك الخير الكثير للشر القليل شر كثير » فلهذا[٥٢] احتيج إلى تفريق الضار عن النافع، وتلطيف الغليظ وترقيقه، وهذا إنما[٥٣] يكون بالصناعة.

الفصل الثالث : في معرفة درجات الحرارة

اعلم أن درجات النار أربع :

الأولى نار الحضانة[٥٤]، وهي حرارة يمكن لمسها باليد،

الثانية حرارة أشد منها بقليل، بحيث ينفر عنها اللامس،

والثالثة حرارة محرقة،

والرابعة حرارة النار نفسها .

(٥٢) كذا في النسخة (أ)، وفي بقية النسخ ساقطة.

(٥٣) كذا في النسخة (أ) وفي بقية النسخ ساقطة.

(٥٤) الحضان (م)، (ل)، (أ).

ولكل واحدة من هذه الدرجات غرض[٥٥] مثال ذلك أن الحرارة الرابعة تسخن أولاً وتحل الجسم ثانياً، وتفرق ثالثاً.

وبعضهم يمثل لذلك مثالاً[٥٦] فالدرجة الأولى من الحرارة بالحمام، والدرجة الثانية بالرماد، والدرجة الثالثة بالرمل أو برادة الحديدوالرابعة بالنار نفسها. ويمكن نقل الأولى إلى الثانية، والثانية إلى الأولى، واستعمال هذه الدرجات بحسب المادة. فإن النبات تكفيه الدرجة الأولى والثانية مثلاً. والمعدن يحتاج إلى الدرجة الثالثة والرابعة.وفي كل عمل توجد هذه المراتب: فإن في التقطير يسخن أولاً، ثم يغلي ثم يدخن ويحترق، ثم تلبسه[٥٧] النار حتى يصير لونه لون النار.

ثم نقول:[٥٨] من الأدوية مايوضع نفسه[٥٩] على النار من غير واسطة الإناء. ومنه مايحاط بالنار، من غير مباشرة النار لجرمه. ومنه مايكون تدبيره بأن تعلوه النار، كنار الزجاجين، ويقال لها النار المعكوسة. ومنها نار الحمام اليابس، ومنها حمام ماريه، ومنها الحمام البخاري، وهذا هو المشهور. ولهم أيضاً أشياء أخرى لايحتاج إلى ذكرها ههنا ولاتخفى على من له دربة[٦٠] بهذه الصناعة.

ولهذه الأعمال آلات مخصوصة: كأنواع الأنابيق، والقرعات، والأفلاطوني ونصف القرعة للتقطير والبوادق[٦١] والمغرفات[٦٢] والفياشات للإذابة والحرق والتكليس.

---

(٥٥) عرضي (غ) عرض (م، ل، أ).

(٥٦) هذه الكلمة (مثالاً) انفردت بها نسخة (أ) وقد ثبتُّها لسلامة السياق.

(٥٧) تذيبه (غ).

(٥٨) تنقل (م).

(٥٩) هذه الكلمة وردت في كل النسخ، وكان الأفضل حذفها ليكون المعنى أوضح.

(٦٠) دراية (غ) - معرفة (أ).

(٦١) هي مانسميها اليوم: البواتق (البوتقة والبودقة: الوعاء الذي يذيب الصائغ فيه المعدن (القاموس المنجد).

(٦٢) المفرغات (غ) - المفرعات (ل) - المقرحات (أ).

المقالــة الرابعــة

جـمـيع الأعـمـال تكون بوجـهين:اما بالتـفـريق والتـحليل، أو بـالجـمع والتـجـمـيـد.

والتـفـريق: إما بالحل، أو الـسـحق، أو الحرق، أو بالتـكليس، أو بالتـقـطير، أو بالتـعـفين، أو بالتـخـمير، أو بـالنـقع، أو بالطبخ، أو بالتـصـفيـة، أو بالطبخ الطبـيعي، كـما لو وضع ببطن الفرس للتعفين، أو بالتقطير أو بالتصعيد.

والجمع والتـجـمـيـد: إما بالعقـد، وإما بالتـغـيـيـر والتكميل والحفظ ويدخل في ذلك التربية والطبخ الطبيعي.

وهذه الأشـيـاء جـمـيـعـهـا لازمـة، لمن يتـعـاطى هذه الصناعـة، وسنـذكـر كل واحـدة منهـا على حدة.

الفصل الأول: في السحــــق

المراد من السـحق: تصـغيـر الأجـزاء إلى الغـاية، لتـظهـر قـوى المسـحـوق الكـائنة فيـه، وليـسـهل امـتـزاجـه بغـيـره. واعلم ان المعـدنيـات تحتـاج إلى أفـضل سـحق، وكلـما بـولغ في سـحـقـهـا وتـهـبـيـتـهـا ظهـرت قـوتهـا[1]. ومن الأدوية مـالايحـتـمل[2] الـسـحق البـالغ، كالسقمونيا، والراوند، فإنهما إذا سحقا بالغاً لم يبق من قواهما إلا القليل.

ويجب أن يبـالغ في سـحق أدويـة المراهم، والضـمـادات الخارجيـة ولايبـالغ في سـحق أدوية الحبوب ليطول بقاؤها في المعدة.

(١) قوابها (م).

(٢) يتحمل (م).

والهاون المتخذ من النحاس تسحق فيه الافاوية، وكل ماليس له طعم حامض، وماليس فيه دهنية. والهاون المتخذ من الحجر تسحق فيه الأدوية الدهنية والحامضة.

ومن السحق نوع آخر وهو سحق الصلاية بالفِهْر[٣]. وبهذا السحق تسحق الأحجار والجواهر والأكحال وأنواع الأصباغ. ومنه البرد، بالمبرد ويحتاج إليه الشراباتي والكيميائي، لبرد المعادن المتطرقة، وبرد الأخشاب[٤] عسرة السحق.

الفصل الثاني : في الحلّ

الحل: هو تسييل المعقد الجامد، كالمعدن، والنبات، وأجزاء الحيوان. فمنه مايكون بالنار والحرارة، كالمعدنيات والشحوم والعلوك. ومنه مايكون حله ببعض المائعات، كالصموغ بالماء والخل، والمعدنيات بالمياه الحارة، وماء الرزين، والخل الحادق والمقطر منه.

والغاية المطلوبة من الحل: تنقية المحلول وتصفيته عما لايُحتاج إليه، وتسهيل مزجه بغيره.

ونوع من الحل يكون برطوبة الهواء، وإنما يكون ذلك في الأملاح، أو في مافيه ملحية. ويدخل في هذا الحل الشب، والبارود، والطرطير، والزاجات. وبهذا الحل تنحل بعض المعدنيات. وأفضل[٥] طرق هذا الحل أن يسحق مايراد حله من ملح أو غيره. (ثم) يوضع على صفيحة زجاج، أو صلاية من رخام واسعة. ويبسط عليها المسحوق، ويحاط حولها بشمع أو بمواد، تمنع سيلان ماينحل، ويجعل له طرف واحد مخرج[٦]. وتميّل

(٣) الفِهر والفِهرة حجر رقيق صلب تسحق به الأدوية.

(٤) الأحجار (م، ح١).

(٥) وأسهل (م)، (ح٢).

(٦) يخرج (م).

الصفيحة قليلاً إلى جهة المخرج، وتوضع فيه صوفة مفتولة قليلاً، ويوضع تحت المخرج إناء مزجج، في مغارة باردة أو بئر عميق، خصوصاً في أيام الصيف فإنه بهذا الطريق يسهل حله ويسرع، ولكنّ منهماينحل في يوم، ومنه في يومين ومنه بعد أسبوع، ومنه بعد شهر، ومنه بعد سنة. وإذا أردت إسراع حله قطّرت عليه قطرة من الخل والماء، فإنه يسرع إليه الحل وبهذا الطريق يُحل المرجان وزعفران الحديد والطرطير.

الفصل الثالث : في الحرق والقلي

اعلم أن المطلوب من القلي (هو) تحليل رطوبة المقلي. مثلاً كقلي الراو.ند لتتحلل منه الرطوبة المسهلة، وتبقى الأرضية القابضة. ويحتاج إليه[٧] الشراباتي في أعمال الطب، ويكون ذلك بالقلي على طابق من حديد.

وأما **الحرق** : فهو تكليس الأشياء، أو جعلها رماداً بالنار. كما يُفعل بقرن الأيل، والطرطير وغير ذلك. وهذا لازم أيضاًللشراباتي، وقد يكون بوجهين : إما أن يحرق ذلك الشيء وحده، أو مع شيء آخر معين على حرقه. واما[٨] **التكليس** : فيكون في المعدنيات،ليسهل حلها أو امتزاجها بغيرها، أو لتكتسب[٩] بالنار حدة. والمراد بالنار هنا : النار التي هي بالقوة أو بالفعل. أما النار التي بالفعل فهي ظاهرة، كما يعمل الجير بالنار[١٠]. واما التي بالقوة فهي التكليس بالمياه الحادة، والأرواح اللطيفة.

وبعض الأشياء تحترق بنفسها، وبعضها يحتاج إلى ضم شيء آخر، يعين على الحرق، وسيأتي ذلك مفصلاً.

(٧) كلمة إليه وردت في (ك، غ، أ) ولم ترد في باقي النسخ.

(٨) كلمة أما ساقطة من النسختين (غ، م).

(٩) تستكسب (أ) - لتسكن (م، ح٢) - ليكن (غ).

(١٠) هذه الجملة وردت في كل النسخ والأحرى أن تكون : (كما تعمل النار بالجير).

وأما تكليس **الذهب** : فهو أن يؤخذ جزء من الذهب، وجزء من الأنتموان، وستة أجزاء من الزئبق، وجزءان من الكبريت، ويخلط الجميع على النار، حتى يحترق الكبريت، ويطير الزئبق فيصير الذهب مكلساً[11]. وقد يكلس من غير أنتموان.

وأما تكليس **الفضة** : فهو بأن تصفح الفضة صفائح رقيقة، ويؤخذ منها جزء، ومن الزئبق المصعد جزء، ويسحق الزئبق، ويذر على الصفائح ويوضع على النار حتى يطير الزئبق، فتبقى الفضة كالراسخت[12].

وأما تكليس **الحديد** فبأن تسحق برادة الحديد بمثلها كبريتاً. وتحرق في مغرفة أو بوط حتى ينقطع الدخان. وبعض الناس يغمر البرادة والكبريت متساويين بخل محلول فيه الزاج، ويترك أياماً حتى يطير عنه الخل فيخرج مكلساً.

والأسرب يحرق بالكبريت كالحديد. والقلعي[13] أيضاً يحرق على هذا المنوال واما الأنتموان : فبعض الناس يسحقونه بمثله من البارود ويطيرون عنه البارود. وبعضهم يحرقه مع البارود في البوط، وبعد الحرق يوضع في الماء وهو حار، حتى ينحل الباقي من البارود في الماء ويغسل. وعند هذه الطائفة يسمى هذا الأنتموان المحرق **بالزعفران المعدني**. وبعض الناس يسحق الأنتموان بمثله من السالبروتيلا[14] ويحرقه فيكون أجود.

وأما **الطرطير** : فيوضع في إناء من خزف، ويوضع في الفرن، الذي تحرق فيه الأجزاء

---

(١١) فيصير الذهب تربة مكلسة (غ، ل، ك).

(١٢) الراسخت هو الزنجفره (كبريت الزئبق الأحمر) أو النحاس المكلس مع الكبريت وقليل من الملح البحري (قاموس دوزي).

(١٣) القلعي أو الرصاص القلعي هو القصدير Etain .

(١٤) سالبورنيلا (غ) - السال برونيلا (ك) البالبرونيلا (ح٢) والمقصود بذلك السالبتر Salpetre وهو نترات البوتاسيوم

حتى يبيض، ثم يُحلّ بالماء الحار ويصفى ويعقد على النار ثم يحل بالماء ويعقد أيضاً. يفعل ذلك مراراً، وكلما كرر كان أجود.

وأما حرق **الأحجار المعدنية** : فتسحق مع نصفها من الكبريت، وتحرق في بوط أو مغرفة من حديد.

الفصل الرابع : في الحرق الذي يكون بالنار التي هي بالقوة

اعلم أن هذا الحرق أفضل من الحرق الأول وأكثر استعمالاً وهو يكون بالمياه الحادة والأرواح اللطيفة[١٥]. ويسمى الزئبق المكلس بالمياه الحادة[١٦] برنج في تابوت[١٧]. وهذه المياه والأرواح أنواع كثيرة : كالفاروق والرزين وروح الملح وروح الزاج وصاعد الخل وماء الكبريت المقطر.

واعلم أن المياه التي تحل الفضة لاتحل الذهب. ـ وأما الخل المقطر فيقطر بالقرعة والأنبيق بالحرارة، الحادة، في الحمام اليابس أو على الرماد. فأول مايخرج منه الرطوبة فيرمى بها، ثم يصعّد ويقطر مافيه الفائدة. وكلما كرر التقطير كان القاطر أقوى.

وبعض الناس يضم إلى الخل الزاج أوالطرطير، لكل رطل من الخل أوقية من أحدهما ويقطره، ويسمى حينئذ خل الأصل.

ـ ونوع[١٨] آخر من (صاعد الخل) : يقطر مع صمغ البطم، لكل ثلاثة أرطال من الخل

(١٥) الجملة « وأكثر استعمالاً وهو يكون بالمياه الحادة والأرواح اللطيفة» موجودة في كل النسخ ماعدا نسختي (م)، (ح٢).

(١٦) الماء الحار (ل)، (ك).

(١٧) برسح تي تاتو (ل)، (ك) ـ بزنج في تابوت (غ) ـ بربج في تابوت (ح٢) والبرنج يعني الشقوب أو لب الخبز الإسفنجي (قاموس دوزي) وعلى كل فهذا التعبير غير مفهوم.

(١٨) وروح (م، ح٢).

رطلان من الصمغ . وهذا النوع يحل الأحجار والأجسام الصلبة .

ـ وأما (لاستحصال) روح الملح وروح البارود : فبان يسحق كل من الملح والبارود مع ثلاثة أمثاله من الطين المجفف ، ويقطر في الأفلاطوني . وهذان الروحان يحلان جميع المعدنيات .

وأما ماء الفاروق فيركب على أنحاء شتى . وأما المستعمل الآن بين الناس فمقطر من الشب والبارود ، أجزاء سواء . وهو يحل الفضة ويكلس الزئبق .

ونوع آخر ، مقطر من جزئين من الزاج وجزء من البارود . وهو يحل القمر[١٩] والأنتمون . والمستعمل في كتب جابر مقطر من رطل من الزاج ونصف رطل من البارود وربع رطل من الشب . وكيفية تقطيرهذه المياه أن تؤخذ الأدوية المذكورة وتوضع في القرعة بعد تطيين القرعة بطين الحكمة . ويوضع مع الأدوية مقدار نصفها أوربعها من الرمل أوالطين المجفف .ويوضع على النار بعد قطع الوصل[٢٠] ويترك فيه مخرج صغير لخروج بعض البخار ، لئلا تنكسر القرعة . ويجب أن تكون القابلة كبيرة .

وأما أكواريس وهو ماء الرزين ، فهو : اذا زيد ماء الفاروق نشادراً وقطر كان الخارج ماء الرزين .

وأما كيفية التكليس والحل بهذه المياه فهو أن يؤخذ من برادة ذلك المعدن ، المطلوب حله أو تكليسه[٢١] ماشئت . ويوضع في قنينة ، ويغمر بالماء الحار ، بقدر مايعلوه أربع أصابع

---

(١٩) تعبير قديم معناه الفضة ، كما أن كلمة الشمس كانت ترمز إلى « الذهب » .

(٢٠) الأصل (م) .

(٢١) مكلسه (م) .

عرضاً. ويوضع على رماد حار، أو في حمام يابس فإنه يكون أسرع عملاً، وينحل[٢٢] ذلك المعدن فإذا أردت تمييز المحلول عن الماء الحار قطرت عليه قطرات من دهن الطرطير، فإنه يتميز ويرسب المحلول في أسفل القنينة. أو يوضع عليه شيء من الماء المالح الحار فإنه أيضاً يتميز. وأما ملح الحديد وزعفرانه فهو أن تغمس صفائح الحديد في ماء الكبريت، وتوضع في مكان رطب أياماً، ثم يكشط مايعلو الصفائح وترفع. ويكرر كذلك إلى أن يرفع من ذلك مايشاء فهو زعفران الحديد وملحه.

وقد يصنع بطريق آخر وهو أن يدخل لكل جزء من الحديد ثمانية أجزاء من الزئبق ويملغم به، ويحرق على النار حتى يطير الزئبق. ويجب أن لايكون[٢٣] الزئبق أقل من أربعة ولاأكثر من ثمانية أجزاء.

وقد يعمل زعفران الحديد، وسكر الأسرب بأن تعلق صفائح الحديد أو صفائح الأسرب على المياه الحارة، قريبة منها غير متصلة بها، في مكان حار بحيث يصعد من الماء بخار لطيف إلى الصفائح المذكورة، فيعلو الحديد زعفران، والأسرب سكر، فيكشط عن الصفائح برفق خصوصاً برجل الأرنب.

الفصل الخامس : في التعفين والتخمير

التعفين عند هذه الطائفة نضج طبيعي، ويقال له عند قوم التخمير. ويفهم من اطلاق هذا اللفظ كون الشيء (متحللا)[٢٤] بالحرارة والرطوبة. فإن كان ذلك العمل للتفريق يسمى ذلك العمل تعفينا، وإن كان للتقطير يسمى تخميراً، وهو[٢٥] أقل مرتبة

---

(٢٢) وانه يحل (م، ح٢) - في الحل (أ) - فإنه ينحل (غ).

(٢٣) أن يكون (م، ك).

(٢٤) منحلا (كل النسخ) واعتقادي أن الكلمة التي وضعتها منسجمة مع فكرة المؤلف

(٢٥) لأنه (م).

من التعفين.

ولكن إذا أردنا تقطير الأدهان والأرواح فالواجب تقديم التعفين. وقالت طائفة بمنع[٢٦] التخمير والتعفين[٢٧] قائلين بأن التعفين يذهب قوى ذلك الشيء أو يضعفها. والجواب هو أن الفرق بين التعفين الطبيعي والتعفين الصناعي، وإن كان الفاعل في كل من التعفينين حرارة خارجة غريبة، فإن في التعفين الطبيعي يبلغ التغيير كماله، وفي التعفين الصناعي إنما هو بقدر الحل والتفريق وتحصيل الإستعداد للعمل الثاني.

والمراد من التخمير جمع الأجزاء المتفرقة وامتزاجها، باخراج قواها من القوة إلى الفعل، بإعانة الحرارة الخارجة الغريبة، كما يفعل الخمير بالعجين. والتقطير والتحليل بدون تعفين أو تخمير عسير.

وكيفية التعفين والتخمير: لايخفى أن الأصل في التخمير والتعفين هو الحرارة الخارجة، وهي مختلفة في القوة والضعف، واللين والحدة، والرطوبة واليبوسة. والمستعمل من ذلك هنا حمام ماريه والحمام البخارية. والتعفين على هذه الصفة ممدوح عندهم، وهو أن يوضع الماء في قدر على النار، ويوضع على فم القدر مصفاة، ويوضع في المصفاة نخالة أو حشيش، ثم توضع القنينة التي فيها الدواء الذي يراد تعفينه فوق الحشيش، ثم يوضع فوق الجميع غطاء يمنع نفوذ البخار إلى خارج، ثم يوقد تحت القدر ليرتفع البخارالى القنينة.

وقد يكون التعفين والتخمير بدفن القنينة في زبل الخيل، وهو يصنع على أنحاء شتى، وأولى طرقه أن يحفر بئر، ثم يوضع في أسفله من زبل الخيل» بقدر سمك أربع

---

(٢٦) يمتنع (م، ح٢).

(٢٧) الأحرى أن تكون الجملة كما يلي : « وقالت طائفة بمنع التخمير بعد التعفين» وذلك لسلامة تسلسل معنى الجملة.

أصابع[٢٨] ثم يوضع عليه قدر إصبعين من الجير الحي، ثم أربع أصابع من الزبل، واصبعين من الجير، حتى يمتلىء نصف البئر المحفور. ثم توضع القنينة ويوضع فوقها الزبل تارة، والجير تارة، حتى يمتلىء بتمامه. ثم يرش عليه الماء الحار قليلاً كل يوم، وقد يغير الزبل والجير كل أسبوع. وقد يوضع بدل الزبل جيرة الشراب. ويجب أن يحكم سد فم الإناء الذي فيه الدواء بطين الحكمة. وأفضل الأطيان لذلك[٢٩] الطين المسمى بخاتم هرمس. ثم بعد تطيين فم الإناء يجفف بالنار. والأولى أن يذر على الطين، قبل جفافه، زجاج وبورق مسحوقان. ثم يطلى بشمع مذاب، فإنه أحكم وأجود وأما مدة التعفين فمختلفة، بحسب استعداد المتعفن فإذا كان رطباً كفى في ذلك مدة ثلاثة أيام أو أربعة أو خمسة، وإن كان يابساً، كالأفاوية، فيحتاج إلى مدة أسبوعين أو ثلاثة .

الفصل السادس : في الغسل

الغسل هو تنقية الأوساخ والأدران. والمراد بالأوساخ هنا مالايحتاج إليه، وكان في وجوده ضرر. ويكون بالماء القراح، أو بمياه مدبرة، أو بمياه حارة[٣٠] وستعرف ذلك كله فيما يأتي ذكره. فمثلاً: إذا أردنا غسل الزئبق أخذنا من الزئبق ما شئنا[٣١] وغسلناه بماء الرماد والجير. وبعد غسله مراراً بذلك الماء، نغسله مراراً بالملح والخل، ثم يوضع في قنينة. ويوضع عليه صاعد الشراب، بحيث يعلوه قدر عرض اربع أصابع، فإذا تغيّر لون العَرَق[٣٢] واسود صبَّ عنه ووضع عليه آخر، ولايزال يُغيُّر عليه العرق حتى لايتغير لونه، وبهذا العمل يتم غسل الزئبق.

(٢٨) الجملة بين الفاصلتين غير واردة في (م) وواردة في باقي النسخ.

(٢٩) فلذلك (م) .

(٣٠) بماء حار (غ) .

(٣١) مانشاء (غ) .

(٣٢) العرقي (ل، ك) وللتوضيح أقول إن كلمتي العَرَق والعَرَقي مستعملتان حتى الآن في سورية وتركيا للدلالة على محلول كحولي يحضر من تقطير الخمر.

الفصل السابع : في النقع والطبخ

اعلم أن الغاية من النقع والطبخ هو استخلاص اللطيف من الكثيف. وقالوا يجب أن يكون لكل أوقية من الدواء رطل من الماء. وقد يحتاج في الأدوية الصلبة كالفياقو[٣٣] والجولقي[٣٤] إلى النقع أولاً ثم يطبخ وكذلك الأدوية اليابسة كالأفاوية، بخلاف الرطبة كالفواكه، وما أشبه ذلك.

الفصل الثامن : في التصفية

التصفية: تخليص الجسم عن الأجسام الغريبة المخالطة له. ويكون ذلك بالطبخ ورش بياض البيض المحلول بالماء حين الطبخ، فترتفع الأجسام الغريبة الخفيفة على سطح المطبوخ العالي فيرفع بالمصفاة. وترسب الأجسام الثقيلة إلى أسفل، فيصفى بالجوخ أو بجر الملعقة. وقد تكون التصفية بالعصر، كما تستخرج الأدهان من اللوز والجوزبوا، وكما تستخرج اللعابات، كلعاب بزر قطونا وحب السفرجل، وغير ذلك. وقد تكون التصفية بالمنخل.

الفصل التاسع : في التقطير

هذا الباب أوسع أبواب صناعة الكيمياء، وأكثرها أعمالاً واستعمالاً. حتى قيل «الكيمياء (هي) التقطير». وهو صعود بخار عن رطوبة كائنة[٣٥] في الجسم الأعلى، فإذا صادف البرودة انعكس هابطاً سائلاً قاطراً. وقال (ليبافيوس)[٣٦] «التقطير هو تصعيد جسم رطب هوائي، فارق عن فعل الحرارة النارية» وقال بعضهم «التقطير تصعيد ما يقبل الصعود» وإنما يقطر مايقبل التفريق. وما يقبل التفريق على مراتب، فمنه ما يسرع إليه

---

(٣٣) الفياقو (ل) - الفياقد (غ) - العقاقير (م، ح٢).

(٣٤) الجولجي (ل) - الجولجي (غ) - الجوبجي (م) - الخولجي (ح٢).

(٣٥) رطوبة كاملة كائنة (م) - رطوبة كامنة كائنة (ك، ل).

(٣٦) وهو العالم الكيميائي والطبيب الألماني اندرياس ليبافيوس Andréas Libavius ١٥٦٠ - ١٦١٦ م وقد جاء اسمه مصحفاً في كل النسخ: ليبابيوس (غ) ليابيلوس (م، ح) - ليانيوس (ك) لياسوس (ل).

التفريق بسرعة لكثرة هوائيته ورطوبتة، ومنه ما يعسر تقطيره، إمّا ليبوسته أو لثقله، فلا يصعد إلاّ بنار قوية وإلى مكان قريب قصير المسافة. وبحسب ذلك تصنع آلات التقطير في الطول والقصر. والتقطير يكون بالصعود إلى فوق، وقد يكون بالنزول إلى أسفل، ويقال له التنكيس وقد يكون إلى جانب.

ولنار التقطير مراتب ثلاث:

- الأولى مباشرة النار نفسها.
- والثانية أن يكون على رماد حار أو رمل حار، ويقال له تقطير اليبوسة.
- وقد يكون بوضع آلة التقطير في الماء الحار، ويقال له تقطير الرطوبة.

وأما التقطير بالنار نفسها، فهو أن تضع آلة التقطير نفسها على النار بواسطة وضعها في إناء على النار. وهو أن تؤخذ آلة التقطير وتطيّن بطين الحكمة، وتوضع على حلقة من الحديد، لها أرجل ثلاثة، ثم يسد بين الأرجل بالطين، ويبقى في كل موضع منفذ للهب النار. وأكثر استعمالنا هذه الطريقة في التقطير، إذا أردنا استخراج المياه الحادة كالفاروق والمعشر والرزين. وقد تخرج هذه المياه بمائل الرقبة[٣٧]. وقد تقطّر مياه الحشائش الرطبة بالقرعة والأنبيق المشهورين، على العادة المتعارفة بين الناس.

والثاني من الأقسام :- الأول التقطير بالحمام اليابس، ويكون لبعض الحشائش السهلة التقطير والصعود - ونوع من تقطير اليبوسة أن تضع الآلة على الرماد أو الرمل أو البرادة، أي برادة الحديد[٣٨]. وحرارة النار تكون بحسب استعداد المقطر للصعود قوة وضعفا.

- والثالث: تقطير الرطوبة بحمام مارية أو بالحمام الرطب.

---

(٣٧) بما يلي الرقبة (ع).

(٣٨) العصيرة البرادة أي: ساقط من (م).

والتقطير إلى جانب يقال له التقطير المائل، ويكون لتقطير الأشياء اليابسة الثقيلة. والآلات [٣٩] التي تستعمل هنا: نصف القرعة ومائل الرقبة والآلة المسماة الفم إلى الفم. ويكون بمباشرة النار نفسها أو بوضع الآلة على برادة حديد أو الرمل أو الرماد.

والتقطير بالنزول إلى الأسفل، وهو التنكيس، يكون فيما لايمكن صعوده كبعض الأدهان، ويكون بمباشرة النار نفسها، أو يوضع على الرماد أو غيره. وبعض الأشياء يكرر تقطيره مرات لتذهب عنه الأجزاء الغريبة المائية وليفارق الدهن الماء.

صفة طين الحكمة: المستعمل في شد وصل هذه الآلات وتطيينها لتصبر على حر النار: يؤخذ من الطين الحر عشرة أجزاء، ومن الرماد المنخول جزءان، ومن زبل الخيل ثلاثة أجزاء، ومن خبث الحديد[٤٠] المسحوق جزء ومن شعر الماعز جزءان، ويعجن الجميع بدم الضان.

صفة طين آخر: يؤخذ خبث الحديد، وآجر[٤١] مسحوق وطين حر[٤٢] وبيلون ونورة حية[٤٣] أجزاء سواء. يعجن الجميع ببياض البيض.

صفة طين آخر: يؤخذ آجر محروق[٤٤] مسحوق، وزجاج مسحوق من كل واحد أربعة أجزاء، بيلون جزء، طين حر[٤٥] اثنا عشر جزءاً. يعجن ببياض البيض مع شعر الماعز بقدر الكفاية، وقد يضاف إليه زفت، وشحم، وشمع، بقدر الكفاية لئلا يتفتت.

---

(٣٩) الآلة (م)، (ك)، (ل)، (ح٢).

(٤٠) خبث الحديد هو مايطفو على وجه الفلزات الحديدية حين صهرها.

(٤١) جزوا (م).

(٤٢) جزوء (م).

(٤٣) ثوب حية (غ).

(٤٤) محروق: وردت في (م، ح٢) دون باقي النسخ.

(٤٥) آخر (م).

الفصل العاشر: في التصعيد

التصعيد تقطير يابس، كما أن التقطير تصعيد رطب. قال جابر: التصعيد تقطير شيء يابس قابل للصعود، وغايته تفريق اللطيف عن الغليظ الأرضي، أو تغيير صورة المصعّد، أو اكتسابه حدة كما يكون في الزئبق.

وأما آلة التصعيد فتكون في الطول والقصر بحسب قبول المصعّد الصعود بسهولة أو بعسر فتطول رقبة الجهاز في سهل الصعود، وتقصّر في عسيره. ولأن نار التصعيد قوية لايصبر الزجاج عليها فليكن من غير الزجاج كالفخار والنحاس. وبعض الأدوية قد تتصعّد بجملتها، لغلبة الأرواح الأرضية ، فتصعد معها مصاحبة لها. فلذلك يحتاج إلى خلطها بأجزاء أرضية كالملح والرمل. وفي حكم التصعيد، وكأنه تصعيد إلى أسفل، أن يحلّ الشيء بالمياه الحادة حتى يمتزج بها، أو بالأرواح اللطيفة، أو بقاطر الخل، كما يحلّ المرجان واللؤلؤ. وبعد الحل يقطر عليه دهن الطرطير فإن المحلول يفارق الماء راسباً في أسفل الإناء مكلساً[٤٦]. وملح الطرطير لايفعل هذا الفعل إلا في الزئبق فإنه إذا وضع على الماء الذي كُلِّسَ فيه الزئبق أو انحل[٤٧] رجع الزئبق حياً كالأول، ذلك ان دهن الطرطير يبطل عمل المياه الحادة[٤٨] فيرجع الشيء إلى أصله. ولأن المياه الحادة لاتؤثر تأثيراً بليغاً وتبعده عن صورتة غاية البعد.

الفصل الحادي عشر: في العقد

العقد هو تجميد السائل، ومنعه عن السيلان. وذلك يكون بإفناء، رطوبة المسيل له، كما يعقد الملح المحلول، وكذا الزاج والطرطير. ثم يوضع في محلول هذه الأشياء، بعد

---

(٤٦) يتكون الراسب بسبب تشكل طرطرات الزئبق والبوطاسيوم، أو طرطرات ثاني أكسيد الزئبق، او طرطرات الزئبق وكلها غير منحلة في الماء (معجم درفو Officine Dorvault) .

(٤٧) لو انحلّ (م) .

(٤٨) المياه الحادة هي محاليل الحموض والقلويات الشديدة.

طبخها بالنار المعتدلة، قطع من الخشب كالمراود[49]، ليتجمد المحلول عليها كما يعمل بالسكر النبات. وقد تجفف الأشياء بالنار القوية تجفيفاً بإفناء رطوبتها الكلية، وقد تجفف تجفيفاً معتدلاً لتبقى فيها[50] رطوبة كما يعمل في الربوب.

الفصل الثاني عشر: في الحفظ والتربية

الحفظ:[51] يكون بوضع الزهور أو الأفاوية في العسل أو السكر، لتحفظ قواها ويلذ طعمها. والتربية إما أن[52] تكون لكسر حدة الدواء، كتربية الأنزروت بلبن الاتان، وتربية الصبر بماء الهندباء وعصير الورد. أو لزيادة قوته وحدته كتربية الصبر في الأفاوية.

---

(٤٩) المراود جمع مرود وهو ميل الكحل.

(٥٠) كلمة « فيها » ساقطة من (م) فقط.

(٥١) للحفظ (م).

(٥٢) « أن » ساقطة من (م) فقط.

المقالــة الخامســة

في العمليات بقول جزئي[1]

ويشتمل على فصول.

الفصل الأول: في تقطير المياه والأرواح

وقـد عـرفت مـعنى التـقطيـر في قـول كلي[2]. اعلم أن المقطر نوعـان: إمـا مـائي أو دهني. والمائي إمـا مـاء خـالص، وامـا روح لطيف. والروح جـسم لطيف بين الماء والدهن، كالهواء بين الماء والنار. وقد يقال بحسب الغالب عليه. فيقال لما غلب عليه المائية ماء. ولما غلب عليه الروحانية روح. فلهذا نقول تارة[3] ماء البارود، وتارة روح البارود وماء الشراب وروح الشراب.

واعلم أن جـمـيع الأشـيـاء من المعدن والنبـات والحـيـوان يؤخـذ منهـا هذه الجـواهر الثلاثة:

الماء والروح والدهن. واعلم أن انفـصـال الدهن عن الماء سـهل وأمـا انفـصـال الروح عن الماء فأمر عسـيـر يحتاج إلى تكرار التقطير. وقد جرب انه يبقى من تقطير الشراب[4] من الرطل نصف درهم. مثلاً روح الزاج يحتاج إلى تكرار التقطير حتى تذهب عنه الحموضة.

---

(١) يقصد بكلمة (جزئي) إن العمليات التالية سترد بشكل مختصر.

(٢) القول الكلي (م، ك، ل).

(٣) لم ترد هذه الكلمة في (م) ووردت في باقي النسخ.

(٤) الشراب: تعني الخمر.

22

٢١

مخطوط الكيمياء الملكية

من نسخة مكتبة جامعة كمبردج (انكلترا) (ك)

واما في المعدنيات فالروح والدهن واحد. ويقال له دهن، لغلبة الأجزاء الدهنية عليه.وسنذكر ذلك مفصلاً.

الفصل الثاني : في استخراج المياه

اعلم أن أكثر المياه تستخرج من الزهور الرطبة، والأوراق والحشائش الرطبة. وأكثر استخراجها يكون بالتقطير بحمام ماريه، أو بالقرعة والأنبيق المشهورين. وكلما أكثرت[٥] الزهر والورق في الماء المقطر كان أقوى رائحة وفعلاً، كالقرنفل البستاني والسوسن والفاونيا والياسمين وغير ذلك.

فأما **تقطير الحشائش**: فهو أن تأخذ منها ماشئت. وتقطع صغاراً وتوضع في الماء الحار يوماً وليلة، في مكان حار. وأكثر مدة التخمير أسبوعان للأفاوية والأزهار الحادة قوية الرائحة. وأما الأزهار الباردة فيكفي لذلك يوماً وليلة. ويوضع في الحشائش اليابسة والأفاوية عند النقع والتخمير، قليل من الخميرة أو من الطرطير أو من الملح[٦] .

وأما استخراج الأرواح: فهو أن تأخذ ذلك الماء المقطر وتقطره مرة أو مراراً[٧] بنار معتدلة الحرارة لئلا يصعد الماء مع الروح. وأفضل[٨] استخراجها بالآلة المسماة أنبيق الحية. مثال ذلك في استخراج روح الورد. يؤخذ من الورد ماشئت، ويجب أن لايؤخذ عقيب المطر، وأن لايكون مبلولاً بالماء. ويسحق ويوضع في إناء مزجج، ويوضع الإناء في مكان حار مدة شهر أو أكثر حتى تظهر له رائحة كرائحة الشراب، ثم يقطر بحمام مارية، أو بالمثانة، ويرد القاطر على أرضية جديدة من الورد المخمّر. يفعل ذلك حتى لايبقى من الورد المخمّر شيء. ثم يوضع في القاطر قليل من الخمر محلولاً بالماء الحار ويوضع فوق الثفل

---

(٥) كررت (م) .

(٦) قليل من الخل والملح (م) ، (ح٢) .

(٧) مرتين (م) .

(٨) ولي الفضل (م) .

الباقي من التقطيرات المتعددة، ويقطر أيضاً. ثم يؤخذ القاطر ويقطر بآلة طويلة العنق ضيقة بنار خفيفة. فالخارج منه إن اشتعل[9] بالنار فقد تم الأمر وإلا كرر التقطير حتى يشتعل عند ملاقاة النار. ويخرج من كل اثني عشر جزءاً من الماء جزء واحد من الروح.

وعلى هذا المنوال تستخرج جميع الأرواح من الحشائش والزهور، كاكليل الجبل والساطريا[10] والبتونيكا[11] ومايشابه ذلك

الفصل الثالث : في استخراج روح الأفسنتين

يؤخذ من الأفسنتين ماشئت، ويقطع صغاراً، ويوضع في ماء حار، وفي مكان حار مدة حتى يتخمر، ثم يقطر بالمثانة، ثم يعزل الدهن عن الماء بأن يؤخذ من وجهه ثم يقطر مرات بنار خفيفة، كما تقدم، حتى يصل إلى مرتبة الإشتعال بالنار. وهذا الدهن ، وهذا الروح، ينفعان جميع أمراض المعدة نفعاً جيداً وظاهراً.

الفصل الرابع : في استخراج روح كاردونماري[12] النافع للحميات الرديئة والوباء

يؤخذ من كاردونماري[12] الرطب ما شئت، ويوضع عليه قليل من الماء الحار، المحلول فيه شيء من الخمر، ويترك أياماً حتى يتخمر ثم يقطر ويكرر التقطير كما علمت، حتى تخرج الروح.

الفصل الخامس : في استخراج روح الشراب مع الطرطير المفتح للسدد

يؤخذ، لكل رطل من الشراب، أوقية من الطرطير الأبيض الخام، وتخلط مع الجميع نشارة الخشب، ويقطر بحمام مارية. وإن كرر تقطيره مع الطرطير كان أقوى، ويكرر

---

(٩) استعمل (م) .

(١٠) الشاكوبا (غ)، الساكربا (م)، (ح٢) .

(١١) التبونيكا (غ) التبويكا (م)، البتويكا (ح٢) .

(١٢) كاردوليناري (م)، كاردوليناديتي (ك)، كاردنياديتي (ح٢) ، كاردنياريهي (غ) .

العمل حتى يبلغ الإنتهاء.

الفصل السادس: في استخراج أرواح البزور ومياهها

استخراج هذه الأرواح والمياه هو كما مر لك في الحشائش، لكن يوضع للتخمير في كل رطل من البـزور أوقـيـة من الملح. وبعض الناس يضع مكان الملح، الطرطيـر. ويقطر ويعزل الدهن عن الماء، كما مرّ في الأفسنتين. ثم يقطر الماء أيضاً مراراً حتى يبلغ الإنتهاء. ويخرج من كل ستة عشر جزءاً من الماء جزء واحد من الروح. وبهذا المنوال استخراج روح الأنيسون وحب العرعر والكراويا وأدهانها.

الفصل السابع: في استخراج الماء (العطري) من الأفاوية

الطريق المشهور في ذلك مثاله: يؤخذ من الدار صيني ماشئت، ينقع في جزئين من صاعد الشراب، وجزء من الماء ويقطر.

طريق آخر: يؤخذ من الدار صيني رطل، ومن الملح أوقية. وينقع في خمسة أرطال من مـاء الورد، أربعة عشـر يوماً، ويقطر. وكلما كررت التقطير كان أقوى فعلاً. وإن خمـر بالطرطيـر، لكل رطل من الدار صيني أوقـيـة من الطرطيـر، وزيدت مـدة التـخـمـيـر، خـرج الدهن فوق الماء حين التقطير. قالوا وإذا زيد مقدار الطرطير كان الدهن الخارج أكثر، لكن يضعف ذلك قوة الماء فاعلمه. وعلى هذا المنوال استخراج أدهان الأخشاب وأرواحها كالغياقو والدبق.

الفصل الثامن: في استخراج روح صمغ البطم ودهنه

يؤخذ من صمغ البطم رطلان، ويوضع في قرعة، ويغمـر بثلاثة أمثاله من الماء، ويوضع فيه قبضتان من الرمل المغسول ويقطر. فالخارج الأول الروح، ثم تشد النار ليخرج الدهن. فاعزل الروح عن الدهن كما تعلم. وعلى هذا المنوال تستخرج دهن المصطكي وروحها.

الفصل التاسع: في استخراج روح قرن الايل النافع للأمراض الرديئة

يؤخذ من قرن الايل ماشئت. ويبرد بالمبرد، وينقع في الشراب مدة، ويقطر. وإذا كرر خرج الروح كما علمت.

الفصل العاشر: في استخراج ماء العسل وروح العسل أيضاً

يؤخذ من العسل رطل، وثلاث أواق من الملح. وبعضهم يضع عوض الملح نشارة خشب العرعر . ويقطر بحمام ماريه، بنار معتدلة، فالأول من القاطر هو الماء ثم يقطر الروح والدهن، ثم يعزل كل واحد إلى جانب كما علمت.

الفصل الحادي عشر : في استخراج أرواح المعدنيات

يستخرج روح الملح بأن[١٣] يؤخذ من الملح ماشئت، ويحل بالماء، ويعقد مراراً. ثم يحل في مكان رطب بذاته[١٤] أو بقليل من الماء ثم يؤخذ بقدر الملح المحلول طين الفاخور، ويعجن بالملح المحلول، ويقرص ويجفف. ثم يوضع في مائل الرقبة ويقطر. فتخرج في الأول رطوبة مائية يرمى بها، ثم تشد النار حتى يقطر الروح. وبعض الناس يأخذ من الطين الأرمني ثلاثة أجزاء ومن الملح الصافي جزءاً، ويقطر بمائل الرقبة.

وبعض الناس يرد الروح، الخارج[١٥] بالتقطير، على جسد جديد من الملح ويقطر، فيكون أقوى فعلاً.

الفصل الثاني عشر: في استخراج روح الملح المعدنية النافعة لمنع العفونة[١٦]

يؤخذ من الملح ماشئت، مع مثله من الشراب، ويقطر ويكرر التقطير حتى يبلغ مرتبة الإشتعال بالنار.

---

(١٣) «بأن» لم ترد في (م) وواردة في باقي النسخ .

(١٤) رطب بلا ندى (م) .

(١٥) لم ترد في (م) ووردت بباقي النسخ .

(١٦) المانعة لخلط العفونة (م) .

الفصل الثالث عشر: في استخراج روح الملح المركب

يؤخذ من ملح القلي والبارود الصافي أجزاء سواء ماشئت. ويخلط بقدر[١٧] الجميع ثلاث مرات، من طين أرمني، ويقطر بمائل الرقبة. والقاطر يقطر لتفارق الروح المائية. ثم يقطر مع مثله من صاعد الشراب، ويحفظ. الشربة من ذلك أربع نقط[١٨] أو خمس، ينفع الحميات المزمنة والسدد الوبائية.

الفصل الرابع عشر: في استخراج روح الـزاج

يؤخذ من الزاج ماشئت. ثم يحرق حتى يحمر. ثم يسحق وينخل، ويضاف إليه بقدر نصفه آجر مسحوق، ويقطر، ولتكن القابلة واسعة كبيرة. ويعطى النار تدريجياً فتقطر الرطوبة المائية بعد ثلاث ساعات ثم تشد النار فتقطر الروح بعد سبع ساعات وتدوم النار تحت مائل الرقبة يوماً أو أكثر. فإذا برد فتح ثم أخذ المقطر ووضع (في القرعة)[١٩] وقطر في حمام ماريه حتى تذهب المائية. ويقطر ماهو حامض شديد الحموضة، فإذا بدأ القاطر الحامض اعلم انه لم يبق فيه من المائية شيء فتجر[٢٠] النار عنه ويبرد ثم يوضع في مائل الرقبة على الرمل أو الرماد ويقطر فالخارج بالتقطير أبيض لطيف وهو الروح والباقي في مائل الرقبة أحمر حار وهو الدهن.

وبعض الناس يأخذون من الزاج ماأرادوا ويحلونه بالماء ويصفونه[٢١] ويعقدونه ويكررون عليه الحل والعقد مراراً ثم يقطرونه مع صاعد الشراب وتشد النار تدريجياً. فالخارج في الأول هو صاعد الشراب ثم تخرج المائية وفي آخر الأمر تقطر الروح ثم يقطر الجميع بالقرعة في حمام ماريه ليخرج صاعد الشراب ثم يقطر بمائل الرقبة لتخرج المائية

(١٧) لم ترد في (م) ووردت بباقي النسخ.

(١٨) أربع قراريط (م).

(١٩) غير واردة في (م).

(٢٠) فتجرد (م).

(٢١) أي يقومون بتصفية المحلول.

ويبدأ القاطر الحامض[٢٢] فتجر عنه النار ويرفع الباقي في مائل الرقبة فإنه الروح.

وبعض الناس يعدلون روح الزاج بأن يأخذوا من روح البنفسج وزهره مقداراً ويغمرونه بروح الزاج فينحل الزهر فيه فيصير لونه أحمر وتطيب رائحته ويعتدل فيجوز حينئذ أن يسقى منه اثنتا عشرة حبة في الحميات الحادة.

الفصل الخامس عشر : في استخراج ماء الكبريت وروحه

يؤخذ من الكبريت ماشئت ويوضع في فنجان كبير ويوضع الفنجان في صحن كبير مزجج[٢٣] ويعلق فوق الصحن قبة من الزجاج بحيث لايصل لهب الكبريت إلى القبة، ثم يشعل الكبريت بفتيلة من الكبريت تكون في وسط الكبريت الذي في الفنجان، فإذا اشتعل وصعد دخانه إلى القبة انعكس قاطراً من أطراف القبة إلى اطراف الصحن الذي فيه الفنجان. ويجب أن يكون عملك أيام الشتاء في رطوبة الهواء في مكان رطب مرشوش بالماء، ومالم يكن كذلك لايقطر منه شيء. ثم يجمع القاطر وهو ماء الكبريت. فإذا أردت استخراج روحه قطرته حتى يبلغ الإنتهاء، كما علمت فيما سبق.

الفصل السادس عشر: في استخراج روح النشادر

يؤخذ من النشادر[٢٤] مقدار ويضاف إليه بقدره أربع مرات من الرماد ويقطر بالقرعة والأنبيق على الرماد أو الرمل، وفائدته تسكين الأوجاع إذا طلي به مع صاعد الشراب.

---

(٢٢) الخامس (م).

(٢٣) «مزجج» غير واردة في (م).

(٢٤) المقصود «بكلمة النشادر» أملاح الأمونيوم. وأما النشادر فهو الأمونياك NH_3 أو ماء النشادر NH_4OH .

الفصل السابع عشر: في استخراج الروح المعرق وهو يعطى في جميع الأمراض لجلب العرق وهو من صنعة براكلسوس

يؤخذ من روح الطرطير ثلاثة أجزاء ومن ماء الترياق الكافوري خمسة أجزاء ومن روح الزاج واحد. يخلط الجميع ويقطر بالقرعة والأنبيق ويرفع القاطر إلى وقت الحاجة.

صفة ماء الترياق الكافوري: يؤخذ من الترياق خمسة أجزاء ومن المر أوقيتان، ومن الزعفران نصف أوقية، وكافور درهمان. يحل الجميع بثلاثين أوقية من صاعد الشراب ويخمر أربعة أيام في الحمام، ثم يقطر بالقرعة والأنبيق وإذا رددت ماقطر على مالم يقطر كان أقوى.

في استخراج روح الطرطير: يؤخذ من الطرطير ماشئت ثم يسحق ناعماً ويقطر بمائل الرقبة فيخرج منه ماء كثير أبيض فوقه دهن منتن الرائحة، فيعزل الدهن عن الماء بالصوف فإنه ينفع القروح، ثم يقطر ذلك الماء مع القلقطار(٢٥) مرتين أو ثلاثآ حتى تذهب رائحته. وهو مفتح للسدد وينفع جميع الأمراض الطرطيرية وان قطر بالعرق(٢٦) تقطيراً دورياً كان أقوى وهو منضج لجميع المواد.

(٢٥) القلقطار: الفضلات التي تتخلف من تحضير روح الزاج (حمض الكبريت).

(٢٦) العرق: هو محلول كحولي مائي. ويستعمل في المشرق العربي مشروباً كحولياً بعد تقطيره مع اليانسون.

المقالة السادسة
في الأدهان

اعلم أن عزل الدهن عن المائية يكون بأن تؤخذ قرعة طويلة العنق ضيقة ويوضع فيها الماء المقطر ويقطر أيضاً فيخرج الدهن فوق الماء فيرفع عن الماء ويجمع، وبعض الناس يرفعه عن وجه الماء بالصوف[1] وبعضهم يضع الماء والدهن على الورق فيصفّون الماء عن الورق ويبقى الدهن.

وكيفية استخراج الأدهان من الحشائش والبزورات: يؤخذ من الحشائش والبزورات التي يراد استخراج دهنها، وإذا كانت يابسة كان أفضل، ويوضع لكل رطل من الحشائش أو البزور كف[2] من الملح ويغمر بالماء الحار ويخمر أربعة عشر يوماً ثم يقطر ويعاد التقطير في الآلة الطويلة العنق، ثم يعزل الدهن عن الماء كما علمت.

مثال ذلك:[3] يؤخذ من البابونج اليابس رطل ويضاف إليه أوقية ونصف من الملح ويغـ ـ الماء الحار أياماً في إناء مزجج ويخمر أربعة عشر يوماً في مكان حار ثم يقطر بالمثانة يعاد التقطير في الآلة الطويلة العنق ثم يعزل الدهن عن وجه الماء بالصوف أو بغيره. وبعض الناس يضع عوض الملح، الطرطير، ويكفي للبزورات أن تخمّر تسعة أيام.

وكيفية استخراج دهن الأفاوية كالقرنفل والبسباسة والجوزبوا وغير ذلك: يؤخذ من أيّها شئت أربعة أرطال ويدق جريشاً ويوضع لكل رطل أوقية ونصف ملح وينقع، بالماء الحار

---

(١) بالقطن (أ).

(٢) كف من الملح: يعني قبضة من الملح بما يملىء اليد وهي مطبوقة.

(٣) مثاله (م)، (أ).

خمسة أيام في مكان بارد ثم يقطر بالمثانة، وحين التقطير تزاد قبضتان من الملح ثم يقطر الماء القاطر بالآلة الطويلة العنق ويعزل الدهن عن وجه الماء. ويخرج من أربعة أرطال من الأفاوية سبع أواق من الدهن.

وكيفية استخراج دهن الورد: ـ أن يؤخذ من الورد ماشئت وينشف حتى يذبل ثم يوضع في قنينة كبيرة أو قطرميز إلى نصفه ويغمر بماء الورد[4] ويسد فمه محكماً ويدفن في بطن الفرس خمسة عشر يوماً ثم يخرج ويقطر على الرماد أو على الرمل بنار معتدلة حتى لايبقى فيه شيء من المائية. ثم يقطر ذلك الماء الخارج بتقطير الرطوبة[5] بنار معتدلة حتى يقطر الماء وحده ويبقى الدهن في أسفل القرعة. وهذا الدهن قوي الرائحة وأفضل من رائحة المسك يقوي القلب شماً وشرباً وجميع الحواس الظاهرة والباطنة.

وكيفية استخراج دهن العرعر: يؤخذ من حب العرعر ماشئت ويدق جريشاً وينقع بالماء عشرة أيام في مكان حار ثم يقطر بصاعد الشراب بالأنبيق المشهور، ثم يؤخذ الدهن عن الماء. وهذا الدهن شريف يسكن المغص ووجع القولنج شرباً، وينفع النزلة شرباً وطلاءً ويعطى منه قليل ببعض المياه المناسبة لعلة الفالج وأمراض الدماغ والوباء والسمومات وضعف المعدة وبرودتها والقيء وينقي الكلى ويفتت الحصاة ويدر البول ويسكن وجع الرحم[6] وينقي الرئة والصدر من الأخلاط الغليظة ويقتل الديدان وينفع الرعشة والتشنج والجرب والقروح العتيقة وعرق النسا والنقرس، وشقاق اليدين والرجلين طلاءً.

وكيفية استخراج دهن السرو: أن يؤخذ منه مايراد ويدق جريشاً ويقطر بصاعد الشراب. ويعزل الدهن عن الماء في حمام ماريه وهو يمنع النوازل مطلقاً ويمنع نزول الماء في العين طلاءً .

---

(٤) بالماورد (غ) وهذه الكلمة المستعملة بين العامة لماء الورد.

(٥) بقطر الرطوبة (م) .

(٦) الأرحام (م، ك، ل، ح٢) .

وكيفية استخراج دهن الأنيسون :يؤخذ من الأنيسون رطلان ، وينقع في عشرين رطلاً من الماء الحار مع أوقيتين من الملح مدة ويقطّر ثم يعزل عنه الدهن .ويخرج من الرطل أوقيتان من الدهن. وفائدته منع النوازل وينفع ضيق النفس، ويخلص المعدة من الرياح ويمنع الإستسقاء وخصوصاً الطبلي ويعطى بماء اللحم أو ببعض المطابيخ المناسبة، وللسعال بالسكر جوارشاً.

وعلى هذا **استخراج دهن الرازيانج**: وهو ينفع ضعف البصر وضيق النفس ووجع الكلى والمثانة ويخرج الرمل ويعطى بالسكر أو بما يناسب العلة. وعلى هذا المنوال استخراج دهن الكمون: وهو يحلل الرياح وينفع عسر البول.

وكيفية استخراج دهن الحنطة:ـ أن يؤخذ من الحنطة مايراد وينقع في صاعد الشراب ثمانية أيام ثم يقطر بالأفلاطوني ويرد ما قطر على مالم يقطر(٧) حتى ينعزل الدهن عنه.

وكيفية استخراج دهن (٨) الدارصيني: يؤخذ من الدار صيني ماشئت ويدق جريشاً وينقع بماء الورد أربعة وعشرين ساعة ويقطر بالقرعة والأنبيق ويعزل الدهن عن الماء كما علمت. وفائدته منع العفونة وتقوية الأعضاء الرئيسية ويعين على الهضم ولاشيء مثله لعسر الولادة.

وقد يستخرج على هذه الكيفية أيضاً : يؤخذ من الدار صيني المدقوق مع مثله من سكر النبات وينقع الجميع في ماء الورد يوماً وليلة ويقطر بنصف القرعة على نار خفيفة أو رماد حار فيخرج ثلاثة جواهر: الأول أبيض والثاني أصفر والثالث أحمر حاد ثم يعزل الدهن عن المائية كما علمت.

وكيفية استخراج دهن القرنفل: أن تأخذ من القرنفل ما شئت وتأخذ لكل رطل من

(٧) ويرد مالم يقطر على ما قطر (م).

(٨) كلمة « دهن » لم ترد في نسخة (م).

القرنفل أوقية من الملح، وإن وضعت عوض الملح أوقية من الطرطير كان أجود، وينقع في مكان حار لكل رطل من القرنفل ستة أرطال من الماء ويخمر مدة في مكان حار أو في بطن الفرس ثم يقطر بالقرعة والأنبيق ثم يعزل الدهن عن الماء ويرفع. وهو حار يابس في الدرجة الثالثة ينفع جميع الأمراض الباردة وجميع أمراض الكبد والقلب والمعدة والأمعاء عن برودة، ويقوي الأرواح وينفع الامراض السوداوية وقوته لاتنقص عن دهن البلسان من داخل ومن خارج وهو يقوم مقامه في المعاجين والمراهم ويلحم الجراحات الطرية وينفع أمراض الدماغ وضعف البصر إذا سقي منه مقدار قليل[٩] ببعض المطابيخ المناسبة. وإن عمل جوارشاً بالسكر واستعمل ينفع من جميع ما ذكر ومن النوازل القديمة.

وكيفية استخراج دهن البسباسة: ـ خذ من البسباسة ما شئت وينقع في ماء حار يوماً وليلة ثم يقطر ويعزل الدهن عن وجه الماء وهو ينفع القولنج والنوازل ويقوي الدماغ والمعدة والقلب وينفع جميع أمراض الرحم، وإذا دهنت به آلات التناسل لذذ الجماع وقوى الباه وينفع سلس البول عن برودة نفعاً جيداً طلاءاً.

وكيفية استخراج دهن اللوز والجوزبوا: يؤخذ من الجوزبوا ما شئت ويسحق ناعماً ويغمر بصاعد الشراب يوماً وليلة ثم يجر عنه الصاعد ثم يوضع عليه عرق آخر ويجرّ عنه. يفعل ذلك مراراً حتى يبقى العرق على لونه ثم يقطر ذلك العرق بحمام ماريه حتى يصعد العرق قاطراً ويبقى الدهن في أسفل القرعة. وعلى هذا المنوال تستخرج أدهان جميع الأفاوية: وهو طريق سهل جيد، من الأسرار ، وهي تسخن المعدة وتحلل الرياح شرباً وطلاءاً وتسكن وجع القولنج وتقوي المثانة وتسكن أوجاعها.

وكيفية استخراج دهن الفلفل، كاستخراج القرنفل والبسباسة وجميع الخواص التي

(٩) إذا سقي في بعض المطابخ (م) .

في الفلفل موجودة في دهنه[١٠] بل أقوى فعلاً لكن ليس له حرافة الفلفل فإنه استقص هوائي فارق الإستقصات الباقية كما يفارق الزاج الكبريت. وهو ينفع جميع الأمراض الباردة، وإذا قصد استعمل منه نقطتان أو ثلاثة بما يناسب المرض.

وكيفية استخراج دهن المر[١١]: ـ يؤخذ من المر الجيد ستة أواق ويغمر بعد السحق بصاعد الشراب الخالي من المائية مقدار اثنى عشر يوماً، ويدفن في بطن الفرس ستة أيام ثم يقطر في حمام ماريه حتى يقطر العرق ويبقى الدهن في أسفل القرعة صافياً. وقوة هذا الدهن كقوة دهن البلسان في منع العفونة وينفع الجراحات ويلحمها ويدخل في المعاجين ويقوم مقام البلسان.

وكيفية استخراج دهن الكهرباء: خذ من الكهرباء ما شئت ويخلط بمثله من الحصا المسحوق ويقطر بمائل الرقبة ثم يخلط بالخل ويقطر أيضاً حتى يقطر الخل ويبقى الدهن في أسفل القرعة . وبعض الناس يسحق الكهرباء ويغمرها بصاعد الشراب أياماً ثم يقطره ويرد ما قطر على ما لم يقطر حتى يستقر الدهن في أسفل القرعة. وهذا الطريق هو أسهل الطرق وأجودها، فإنه يخرج به من كل خمسة عشر أوقية، عشر أواق من الدهن، وهو ينفع جميع أمراض الدماغ وأمراض العصب كالصرع والتشنج والفالج. يسقى منه نقطة أو نقطتان بماء السالوبا[١٢] أو بماء البتونيكا[١٣] ويدفع جميع السموم وينفع جميع الأمراض الوبائية وهو بماء البطراساليون علاج كاف[١٤] لأمراض المثانة ويقوي جميع الأعضاء الرئيسية ويقوي الدماغ ويخلص من النزلة المزمنة.

---

(١٠) « في دهنه » غير واردة في (م) .

(١١) المرء (م) .

(١٢) السالوبا (ل) ولم يتضح لي مدلول هذه التسمية وربما كان المقصود هو نبات السالسولا Salsola .

(١٣) التبويكا (م)، التبونكا (غ) .

(١٤) علاج كافة كافي (م) .

وكيفية استخراج دهن الكافور: ـ خذ من الكافور ما شئت ويحل بالماء الحار ويعزل الدهن عن وجه الماء ثم يقطر عنه صاعد الشراب[١٥] وهو نافع للحميات المحرقة والوبائية والطاعون بما يناسب العلة، ويستعمل على القروح الخبيثة بدهن العرعر.

وكيفية استخراج دهن الجاوي[١٦]: ـ خذ من الجاوي مايراد ويسحق بصاعد الشراب أجزاءاً متساوية ويقطر بمائل الرقبة. فيقطر الماء أولاً ثم يقطر الدهن والباقي في أسفل القرعة.يستعمل في الطب[١٧].

وعلى هذا المنوال يستخرج دهن الأشق للتحليل وكذلك المقل والجاوشير وما أشبه ذلك. ولكن قد يغمر هؤلاء بالخل عوض العرق ويقطر، وكذلك اللاذن.

وكيفية استخراج دهن الحلبوب: ـ خذ منه ما شئت مع مثله من السكر ويخمر ثمانية أيام ويقطر فيخرج منه دهن أبيض يحسن اللون طلاءاً ويجلو الآثار ويسقى للصرع في كل يوم درهم مدة أربعين يوماً. وإن استعمل مع الجندبيدستر[١٨] نفع جميع أمراض الأعصاب.

فصل في استخراج دهن المعدنيات

كيفية استخراج دهن الأسرب: ـ خذ من الأسرب المكلس ما شئت ينقع في الخل ويجفف. يفعل ذلك ست مرات ثم يوضع في مكان بارد فإنه ينحل ماءاً ثم يقطر في مائل الرقبة والأفلاطوني فيخرج في الأول مقطر الخل ثم بعد ذلك يقطر الدهن وهو ينفع السرطان والأكلة والغنفرينا طلاءاً، وإذا وضع فيه الذهب أياماً انصبغ أصفر يستعمله أهل الصناعة في أعمالهم.

---

(١٥) هنا جملة ناقصة، على ما أعتقد، وهي ناقصة في جميع النسخ، والمفروض أن يذكر وجود صاعد الشراب على أنه مذيب لم يجري تقطير صاعد الشراب ليتخلف الدهن.

(١٦) الحاوي (م).

(١٧) الطيب (م).

(١٨) الجديبستر (ل)، الجدنيدستر (ك)، الجندبادستر (غ).

كيفية استخراج دهن[19] الأنتيمون السكري: ـ خذ من الأنتيمون والسكر أجزاءاً متساوية ويسحق الجميع ويقطر بالأفلاطوني وهو ينفع جميع الأمراض الخارجية والداخلية وقد يعمل منه حب ينفع الحميات يسقى قبل الدور منه ثلاث حبات.

وصفة الحب: ـ أن يؤخذ من دهن الأنتيمون أوقية ومن الصبر نصف أوقية وعنبر درهمان، وزعفران نصف درهم، يخلط الجميع ويحبب[20] وهو معرق مسكن للنافض. قال سنارتوس وأنا أصنع من ذلك مسهلاً يسهل من غير مشقة ولاقيء وأعطيه في الإستسقاء.

وصفته: يؤخذ من الأنتمون رطلان، وكبريت ثلاث أواق، يسحق الجميع ويوضع في بوط على النار حتى يحترق الكبريت وتشد عليه النارحتى لايبقى به من الكبريت شيء ثم يخرج من البوطة ويسحق ويقطر بالخل المقطر في القرعة والأنبيق حتى يقطر جميع الخل ويبقى الأنتمون في أسفل القرعة، ثم يخلط نصفه سكراً ثم يغمر بصاعد الشراب ويقطر حتى لايبقى فيه شيء من صاعد الشراب. وكلما كرر التقطير كان أجود، وإذا أضيف إلى العرق حين التقطير قليل من العنبر أو ماء الدار صيني كان ألطف والباقي في أسفل القرعة هو الدهن.

طريق آخر: ـ يؤخذ من الأنتمون ما يراد ويسحق ويغمر بالخل المقطر حتى يحمر الخل ويصفى ويوضع فوقه خل آخر مقطر حتى يخرج لونه، ثم يصفى ولايزال يفعل ذلك حتى لايبقى في الأنتمون صبغ، ثم يقطر ذلك الخل المقطر المصبوغ حتى يقطر الخل ويبقى الدهن في أسفل القرعة ثم يدفن في بطن الفرس أربعين يوماً ثم يصفى ويرفع. هذا الدهن نافع في أنواع القروح والسرطان.

طريق آخر في استخراج جوهر الأنتمون: ـ يؤخذ من الأنتمون مايراد ويحرق في بوط

---

(١٩) هذا (م).

(٢٠) أي يجعل حبوباً.

حتى يبيّض، وإن حرق حتى يحمّر كان أجود، ثم يوضع عليه صاعد الشراب في قنينة ويسد فمها سداً محكماً ويوضع في مكان حار اثنى عشر يوماً ثم يقطر عنه العرق. وإن رد ما قطر على ما لم يقطر كان أجود ثم يؤخذ مافي أسفل القرعة ويسقى منه أربع حبات ببعض المياه المناسبة لأنواع الحميات والإستسقاء وأمراض الرحم والصرع والحب الإفرنجي والقروح الخبيثة وكذلك يسقى للبواسير ولأصحاب الآكلة والسرطان.

صفة استخراج دهن الذهب: ـ يؤخذ من الذهب المكلس ما شئت ويحلّ بالماء المقطر ثم يطيّر عنه الخل، ويقطر المقطر ثم يغمر الباقي في أسفل القرعة بعصارة الخلدونيا والعرق أجزاء متساوية ويترك في موضع حار أياماً ثم يقطر حتى يخرج الماء، والباقي في أسفل القرعة شيء غليظ وهو الدهن ينفع جميع الأمراض شرباً من قيراط إلى قيراطين.

طريق آخر: يؤخذ من برادة الذهب ما شئت ويكلس بالزئبق والكبريت كما علمت في نار التكليس ثم يحل بالخل المقطر ويعقد على النار، ثم يحل أيضاً بالخل المقطر ويعقد أيضاً حتى ينفسخ دهناً لاينعقد ثم يؤخذ لكل أوقية من الدهن رطل من العسل المقطر ويخلط ويسقى منه لجميع الأمراض الداخلة والخارجة فإنه باد زهر لأمراض لاتحصى خواصه ولاتعد فوائده.

طريق آخر: يؤخذ من ورق الذهب ما شئت ويحل بماء الليمون أو بالخل المقطر ثم يطيّر عنه ماء الليمون أو الخل. يفعل ذلك مراراً، وان وضع معه شيء من اللؤلؤ كان أجود. الشربة من ذلك قيراط لأنواع الحميات العفنة فإنه يمنع العفونة ويجلب العرق ويشفي الجذام والبرص والحب الإفرنجي ولمن تضرر بالسموم أو بالزئبق شرباً وطلاءاً.

طريق استخراج دهن الفضة: يؤخذ من النشادر رطلان ومن التين أربعة أرطال ويقطر بنار خفيفة في الأول ثم تشدّ النار تدريجياً حتى يقطر ويؤخذ من القاطر ست أواق ومن

الفضة المرققة أوقيتان ويوضع في قنينة في مكان حار أو شمس حادة حتى تنحل الفضة. ثم يصفى عنه الماء.، ويغسل بالماء الحار مراراً حتى تذهب ملوحته ثم يغمر بالعرق ويوضع في مكان حار أربعة عشر يوماً فإنه ينحل حلاً غليظاً لزجاً، وإذا سقى منه نفع جميع أمراض الرأس الباردة والحارة وأمراض العصب وجميع السدد في الطحال والكبد والرحم.

طريق آخر: يؤخذ من الفضة المكلسة، كما علمت، ما شئت وتغمره بالخل المقطر ويوضع في مكان حار، فإنه ينحل في مدة قليلة ثم يطير عنها الخل المقطر في حمام ماريه بنار معتدلة ويبقى الدهن في أسفل القرعة ومنافعه كمنافع الأول.

طريقة استخراج دهن اللؤلؤ: يؤخذ من اللؤلؤ المسحوق ما شئت ويغمر بالخل المقطر بقدر ما يعلوه عرض إصبعتين ويوضع في مكان حار حتى ينحل ثم تطير عنه الرطوبة في حمام ماريه حتى يجف ثم يقطر عنه الماء القراح مرات حتى تذهب حموضته ثم يوضع في مكان رطب، فإنه ينحل دهناً أو يحلّ بالعرق ثم يطيّر عنه العرق فيبقى محلولاً. الشربة منه قيراط ببعض المياه المناسبة، يقوي الأعضاء الرئيسية وينفع التشنج والفالج وأمراض العصب .والغشي والخفقان ويدر اللبن ويزيد في المني وينفع من جميع القروح والبواسير شرباً.

وعلى هذا المنوال يستخرج دهن المرجان: وهو ينفع في جميع الأمراض السيلانية كسيلان الرحم والقروح الخبيثة ويسكن وجع العين ويخفف سيلان الدموع طلاءاً ويمنع النزلة ويقوي الدماغ وينفع أمراض القلب كالغشي والخفقان.

طريق استخراج دهن الملح: أن يؤخذ من الملح ثلاثة أرطال، ومن الطين الحر ستة أرطال ومن البارود ستة دراهم ويوضع الجميع[٢١] في قرعة طويلة العنق[٢٢] ولتكن واسعة ويوضع

(٢١) وجميع يوضع (م).

(٢٢) في القرعة الطويلة العنق (م).

عليها الأنبيق، ولتكن القابلة كبيرة واسعة وتوقد تحتها النار تدريجياً ثم تشد النار حتى يقطر الماء. ثم يقطر الماء[٢٣] القاطر لتخرج عنه الرطوبة المائية ويبقى الدهن في القرعة. وهذا الدهن يسكن الأوجاع إذا طلي به خصوصاً مع دهن صمغ[٢٤] البطم ودهن البابونج وهو من العجائب لوجع المفاصل والنقرس ويحلل تحجر المفاصل. ويسقى منه ثلاث قطرات لجميع الحميات الرديئة واوجاع المفاصل والأورام الداخلة رالفتق ومن خواصه انه يحل[٢٥] الذهب ويستعمل المحلول في أنواع الأمراض.

طريق آخر: ـ يحل[٢٦] الملح بالخل المقطر ويقطر ذلك القاطر[٢٧] لتطير عنه المائية ويبقى الدهن في أسفل القرعة وهذا الدهن غاية في حل الذهب.

طريق استخراج دهن الكبريت: ـ يؤخذ من الكبريت ما شئت، ومثله من الحصا المسحوق ويوضع في مائل الرقبة ويوضع على نار خفيفة متساوية الحرارة بحيث لايصعد الكبريت نفسه فيقطر في يومين وليلتين ويرفع القاطر وهو نافع للأمراض الباردة عن عفونة أو غيرها. فهو ينفع جميع الحميات العفنية والوبائية[٢٨] والغب والربع والطواعين ويستعمل على القروح والجروح والبواسير وقروح الفم وتآكل اللثة وينفع أمراض المعدة والكبد والطحال والرحم والمثانة والمفاصل ويعطى منه قليل ببعض الأدوية أو المياه المناسبة للعلّة. يعطى للنائبة كل يوم بطبيخ اكليل الجبل قبل النوبة بساعة، ويعطى للغب بطبيخ القنطريون بالشراب، وللربع بماء لسان الثور، وللطاعون بطبيخ الفجل بشراب فيه قليل من الترياق، وللصرع بطبيخ البتونيكا أو الفاونيا وللسعال بطبيخ الزوفا، ولبطلان شهوة

(٢٣) غير واردة في (م) وواردة في بقية النسخ.

(٢٤) غير واردة في (غ) وواردة في بقية النسخ.

(٢٥) يحلل (م).

(٢٦) يحلل (م).

(٢٧) المقطر (م).

(٢٨) اليابسة (م).

الطعام بماء الأفسنتين، ولوجع المعدة والقولنج بماء البابونج، ولبرودة الكبد والإستسقاء بماء الإيرسًا أو ماء الخلدونيا وللسدد ووجع الطحال بطبيخ قشر أصل الزوفا[٢٩] أو الطرفا أو بماء الأصول، وللحب الإفرنجي بماء الشاهترج أو بماء الرتم[٣٠] ، ولإخراج الديدان بماء الزنجبيل أو بماء الإفسنتين، ولوجع الرحم بطبيخ الأقحوان، ولعسر البول بالشراب وللنقرس ووجع المفاصل بطبيخ الكمافيطوس، ويطلى على القروح الرديئة.

طريق آخر: يؤخذ من الكبريت المكلس ما شئت ويوضع في القرعة ويغمر بالخل بقدر ما يعلوه ستة أصابع عرضاً ويدفن في زبل الخيل أربعة أسابيع ثم يقطر الجميع ويخرج ثم يدفن المقطر في بطن الفرس في قنينة ثلاثة أيام أو أربعة ثم يخرج وتطير عنه المائية فيبقى الدهن والروح في أسفل الإناء ثم يدفن في زبل الخيل ثمانية أيام ثم يقطر بالقرعة والأنبيق ويرفع الدهن فإنه يصفو في مدة ثلاثين يوماً وفوائده كفوائد الأول.

طريق آخر: ـ يؤخذ من الكبريت رطل ونصف ومن الجير الحيّ رطل ومن النشادر أربع أواق يسحق ويغمر بماء محلول فيه قليل من الملح ثم يقطر بالأفلاطوني حتى تقطر عنه المائية ويحفظ الباقي في أسفل القرعة وهو يستعمل من الداخل والخارج.

صفة دهن الكبريت لجراحات العصب: ـ يؤخذ من الكبريت المسحوق ودهن بزر الكتان أجزاء متساوية ويطبخ على النار حتى يحمر الدهن ثم يقطر بالأفلاطوني، وإن وضع معه نخالة الحنطة حين التقطير كان أجود.

طريقة استخراج دهن الزاج: ـ يوخذ من روح الزاج الذي طيرت رطوبته المائية ثم يقطر بالقرعة والأنبيق[٣١] ثم يقطر المقطر مع العرق ثم يطيّر عنه العرق فيبقى الدهن يسقى في

(٢٩) لم تذكر هذه الكلمة إلا في نسخة (م).

(٣٠) اللحم (م).

(٣١) لم تذكر هذه الكلمة في كل النسخ ما عدا (م).

الحميات الوبائية والمحرقة والطاعون ويقطع العطش ويفتح السدد مع الأشربة المناسبة.

طريق آخر: - يؤخذ من الزاج ما شئت ويقطر حتى تخرج المائية ثم يؤخذ ما في أسفل القرعة، فإنك تراه أحمر يسحق مع مثله آجر[32] ويقطر بالأفلاطوني فيقطر في يوم وليلة بنار قوية شديدة تدريجياً ويخرج من الرطل ثلاث أواق، فإذا خلط القاطر الثاني بالقاطر الأول وهو المائية وقطر مراراً اعتدل طعمه وذهبت حموضته وكان أجود خصوصاً للحميات وينفع السكتة والصرع والفالج. وإذا ضم منه قليل مع الأدوية المسهلة قوى عملها. وإن وضع قليل منه مع المطابيخ المفتحة أعانها على تفتيح السدد.

طريقة استخراج دهن الطرطير: - يوخذ من الطرطير الأبيض ويسحق ناعماً ويوضع في مائل الرقبة، ولتكن القابلة كبيرة واسعة، وليشد الوصل محكماً فإنه بتشديده تشتد القوة في الخروج ويوضع على نار معتدلة وتشدّ تدريجياً حتى يخرج الماء والدهن، ويرد القاطر على ما لم يقطّر، ويقطر ثم يعزل الدهن عن الماء فيخرج من الرطل نصف أوقية وهو ينفع القروح الكائنة من الحب الإفرنجي، وإذا سقى منه قليل أدر البول وفتت الحصاة.

طريق آخر: - يؤخذ من ملح الطرطير ويوضع في مكان رطب لينحل وهو يستعمل في جلاء الآثار وتحسين الوجه ولونه.

طريق آخر: - يؤخذ الطرطير الخام بقدر المرام وينقع بصاعد الشراب يوماً وليلة، ثم يقطر بالأفلاطوني ويبدأ بالنار المعتدلة وتشد النار تدريجياً حتى يقطر ثم تعزل عنه المائية وصاعد الشراب ويؤخذ الدهن وهو نافع للقروح الرديئة وينفع في زمن الوباء إذا شمّ أو دهن به الأنف.

طريق آخر: - يؤخذ من الطرطير بقدر المرام ويحرق حتى[33] يتكلس ويبيض ثم

---

(٣٢) آخر (م).

(٣٣) ثم (م).

يحل بالماء الحار ويصفى ويعقد ثم يحل ويعقد خمس مرات ثم يغمر بصاعد الشراب ويدفن في بطن الفرس ثلاثة أيام ثم يقطر عنه صاعد الشراب فيبقى في أسفل القرعة. يسقى منه درهم لأنواع القروح الداخلة والخارجة ببعض الأدوية المناسبة، ويفتح سدد الكبد والطحال وينفع عسر البول ويقتل الديدان ويمنع النوازل.

طريقة استخراج دهن النحاس: ـ يكلس النحاس كما علمت ويحل كما علمت بالخل[٣٤] ويترك أياماً حتى يخضر ويصفى عنه الخل ويوضع فوقه خل آخر محلول فيه قليل من الملح ويترك حتى يخضر ويصفى[٣٥] ولاتزال تفعل ذلك حتى لايبقى فيه من الزنجرة شيء ثم يطيّر عنه الخل بالقرعة والأنبيق فيبقى الدهن في أسفل[٣٦] القرعة أخضر. وهو ينفع للقروح والبواسير والقروح الخبيثة والآكلة طلاءاً.

طريقة استخراج دهن الحديد: ـ خذ من برادته بقدر الحاجة ويغسل بالخل والملح مراراً حتى ينقى ثم يغسل بماء قراح ثم يوضع في قرعة ويغمر بجزء من ماء الكبريت وجزئين من الماء. ثم يوضع في مكان حار حتى ينحل ثم يجفف بنار خفيفة ثم يصعد ويؤخذ الصاعد ويحل حل الرطوبة ويرفع لوقت الحاجة. وهو ينفع جميع السيلانات كالدوسنطاريا والإسهال الكبدي والرعاف ونزف الدم ونفث الدم.

وبعض الناس يحل برادة الحديد بماء الفاروق ثم يطيّر عنه الماء ويجفف ثم يقطر عنه الخل مراراً حتى يبقى الدهن في أسفل القرعة ذائباً. ومنافعه كمنافع الأول.

طريقة استخراج دهن الزئبق: ـ يؤخذ من الزئبق[٣٧] ما يراد ويغسل ثم يصعد عن الزاج والبارود والشب ثم يغسل بالعرق مرا راً ثم يطيّر عنه العرق ثم يقطر بنا ر قوية فيخرج منه

---

(٣٤) بالماء والخل (غ)، بالملح والخل (ك، ل، أ).

(٣٥) الجملة بين الفاصلتين غير واردة في (م)، (ك).

(٣٦) وسط أسفل (م).

(٣٧) « من الزئبق » غير واردة في (م)

بالتقطير شيء كاللبن الحليب. وإن قطر هذا القاطر مع العرق كان أجود. وهذا الدهن ينفع جميع القروح. وإذا استعمل منه[٣٨] قليل من الداخل نفع قروح الكلى والمثانة العسيرة العلاج وأبرأها.

طريق استخراج دهن الزرنيخ: - يؤخذ من الزرنيخ ما شئت وبقدر مثليه من البارود ويسحق الجميع ناعماً ويوضع في بوط وتشد عليه النار تدريجاً حتى يذوب، ثم يشعل البارود ويطير فيبقى الزرنيخ في البوط كالسمن[٣٩] ثم يوضع في مكان رطب لينحل حل الرطوبة ثم يقطر المحلول فيخرج الدهن وهو نافع للقروح العسرة الإندمال بصمغ البطم أو بالعسل فينقي القروح الخبيثة. وإذا خلط بالشحم أو الزيت حلل الصلابة القوية، وإن طلي به محل الشعر حلقه، وينفع قروح الأنف الرديئة والبواسير، وينفع الغنغرينا[٤٠] والسرطان إذا طلي بما يناسب العلة.

طريقة استخراج دهن الطلق: - يؤخذ من الطلق المكلس ما يراد ويحل بالماء المقطر ثم يقطر عنه الخل المقطر. والباقي في أسفل القرعة يؤخذ ويحل بحل الرطوبة، وهو ينفع القروح والصلابة . ولأرباب الصناعة فيه مزيد اعتبار[٤١] حتى قالوا من حل الطلق استغنى عن الخلق.

طريق استخراج دهن البلور المعدني: - يؤخذ من البلور المعدني ما يراد ويسحق بمثله بارود أو بمثله كبريت[٤٢] ويحرق في بوط أو مغرفة ثم يغسل بماء المطر مراراً ثم ينقع بالعرق مدة أيام ويصفى عنه العرق، ويحرق الباقي أيضاً بالبارود أو بالكبريت. ثم

(٣٨) منه: غير واردة في (م).

(٣٩) كالشمس (م).

(٤٠) عبقريا (م) - عنطرينا (غ).

(٤١) اعتناء (أ) - زائد الإعتناء (غ).

(٤٢) بمثليه (غ، ح١).

يغسل وينقع بالعرق حتى ينحل فيه. ثم يطبخ العرق[٤٣] حتى ينعقد ملحاً ثم يحل ذلك الملح بحل الرطوبة فإذا سقى منه قدر نصف درهم فتت الحصاة في الكبد والكلى والمثانة ونفع عسر البول. وعلى هذا المنوال تستخرج أدهان جميع الأحجار.

هذا آخر ما اخترناه ونقلناه من كتاب سنارتوس[٤٤] الجرماني الذي ألفه في صناعة الطب ومن قراباذين واقريوس[٤٥] في تقطير الأرواح والأدهان وبذا تم الكتاب آمين .

---

(٤٣) بالعرق (م) - ثم يطير بالعرقي (ل) .

(٤٤) ستارقوس (غ) - سنادريوس (ل) وهو الطبيب الألماني (Senartus) Daniel Sennert .

(٤٥) قراباذين اقريوس (ح١) - قرابدين واقريدوس (غ) وهو الطبيب : (Waqriyus) Johann Jacob Weker .

دراســـة وتحليـــل
لما جاء في كتاب ابن سلوم الحلبي
عن الطب الجديد الكيميائي

يستهل صالح ابن سلوم الحلبي مقدمة هذا الكتاب بقوله:

« وبعد فهذا كتاب الطب الجديد الكيميائي الذي اخترعه براكلسوس..»

من هذه الجملة نستنتج أن ابن سلوم لايترجم كتاباً معيناًلبراكلسوس عنوانه «الطب الجديد الكيميائي»، وإنما هو يؤلف كتاباً يتكلم فيه على حقل من حقول المعرفة أوجده براكلسوس هو ماسمي بالطب الكيميائي.

ونحن إن رجعنا إلى مؤلفات براكلسوس نجدها كثيرة وواسعة حقّق وطبع منها بالألمانية حتى الآن ما ملأ عشرين مجلداً، وله مؤلفات ماتزال مخطوطة. وقد عالج براكلسوس في مؤلفاته موضوعات كثيرة تناولت العلوم الطبية والصيدلانية والفلسفية والكيميائية والتنجيم واللاهوت وغير ذلك.

أما القسم المتعلق بالعلوم الطبية من مؤلفاته فقد ورد في المجلدات الأربعة عشر الأولى، وبشكل خاص الخمسة الأولى منها وهي التي ألفها براكلسوس أيام شبابه. وتتضمن المحاضرات التي ألقاها على طلابه في جامعة بال (سويسرا) خلال عام ١٥٢٧ عندما كان أستاذاً في كلية الطب بتلك الجامعة.

إن المقصود « بالطب الكيميائي » بالنسبة لمفاهيم براكلسوس، هو أوسع كثيراً مما يوحي به هذا العنوان. لأن شؤون التشخيص والمعالجة بالنسبة لبراكلسوس تتداخل فيها

الكيمياء مع الفلسفة وعلم الهيئة وتأثير الكواكب والنجوم وطبيعة المادة والكون، مغلفة بمفاهيم دينية أخلاقية وبغيبيات تدخل في مجالات الحدس بما يقرب من الوحي.

ولذا فإن قيام ابن سلوم الحلبي باختصار تلك المفاهيم الطبية في كتاب واحد باسم كتاب « الطب الجديد الكيميائي » يدل على فهم عميق لها وعلى ثقافة واسعة سمحت له باستيعاب تلك التيارات الطبية.

أورد ابن سلوم في مقدمة كتابه تعريفاً للكيمياء ودورها وهدفها، وذكر ما يدعيه براكلسوس عن نفسه من أنه أول من أحدث إنعطافاً جذرياً في مفهوم الكيمياء. وان الكيمياء قبله كانت مقصورة على تحويل المعادن البخسة إلى معادن ثمينة وعلى رأسها الذهب. أما هو، فقد حول هدف الكيمياء، إلى تحليل المعدنيات وتركيبها وتنقيتها واخضاعها لعمليات مختلفة لتكون صالحة لمعالجة الإنسان والتخفيف من آلامه. ويقول المؤلف[1] إن المعادن بحالتها الطبيعية لاتصلح للمعالجة بسبب سميتها، إلا أن الكيمياء بالأسلوب والمنهج اللذين اختطهما لها براكلسوس أصبحت قادرة على أن تسهم في شفاء الأمراض بدون أن تحدث أثاراً سمية في جسم المريض.

ومن هذا المفهوم سميت هذه الكيمياء بالكيمياء الطبية أو الطب الكيميائي أو كيمياء الطب، وقد أطلق براكلسوس عليهما تسمية اخترعها هو، وهي السباغريا Spagyrie[2].

على أن ابن سلوم، بلسان براكلسوس، لا يلغي الدور المعروف للكيمياء

---

(١) المقصود بالمؤلف هو ابن سلوم الحلبي بلسان براكلسوس.

(٢) إن كلمة سباغريا أي Spagyrie نحتها براكلسوس من فعلين من اللغة اليونانية يفيدان معنى فصل Separer وجمع Réunir وبذلك فقد قصد براكلسوس أن تفيد هذه الكلمة (سباغريا) علم التحليل والتركيب، وقد اعتبرها بعض المهتمين بتاريخ الطب والكيمياء، تعبيراً يرمزون به إلى الطب البراكلسوسي (انظر كتاب الخيمياء L'Alchimie لهولميارد E. J. Holmyard منشورات Arthaud فرنسا ١٩٧٩ ص: ٣٥٥.

(الكيمياء القديمة) في تحويل المعادن إلى ذهب وفضة، ولكنه يرى هذا الدور ثانوياً، وهو ما نستنتجه من مقدمة الكتاب، عندما تكلم المؤلف على هدفين للكيمياء التي يقصدها:

«...أحدهما تكميل المعدنيات الناقصة وتغيير صورتها إلى صورة أشرف من الصورة الأولى، وثانيهما حفظ صحة بدن الإنسان وإزالة مرضه».

إلا أن ابن سلوم الحلبي لم يقبل ما ادعاه براكلسوس لنفسه من أنه هو أول من اخترع الطب الكيميائي فقال في نهاية مقدمة الكتاب:

«إن علاقة صناعة الكيمياء بصناعة الطب أمر معروف منذ القديم، لكن براكلسوس اخترع أصولاً في صناعة الطب على منوال آخر، واصطلاحات جديدة، وألفاظاً عجيبة، زاعماً أن هذا العلم هو الذي اخترعه، وليس الأمر كما زعم... والحاصل ان مضمون ما ألفه براكلسوس مأخوذ من الحكمة ومن صناعة الكيمياء، وكل من العلمين قديم».

ومع صحة هذه الملاحظة لابن سلوم، إلا أننا لانستطيع أن ننكر ما أحدثه براكلسوس من أثر في توجيه الكيمياء نحو منحى جديد، كما سيأتي في هذه الدراسة.

يحتوي هذا الكتاب على ست مقالات، وكل مقالة تتضمن عدداً من الفصول.

المقالـــة الأولـــى

تتضمن هذه المقالة عشرة فصول يدور مضمونها حول نظريات فلسفية تتعلق بطبيعة الكون، وطبيعة الكائنات، وبالحياة واستمرارها وصلتها بعالمنا الأرضي، وبالعالم الكوني الكبير. إلا أن ابن سلوم عندما أورد هذه النظريات عن براكلسوس، اضطر لاختصارها بسبب اتساع موضوعاتها، ولكنه جاء اختصاراً يفتقد في كثير من الأحيان إلى الوضوح، ولا يستبعد أن تكون ثقافة ابن سلوم الفلسفية محدودة، مما لم يسمح له بعرض مختصر لهذه الأمور الفلسفية، واف بالغرض.

ويبدو أن براكلسوس لم يقصد طرق هذه المواضيع الفلسفية الشائكة حباً بالفلسفة لذاتها، ولكنه اهتم بها وتعمق في دراستها ليستخدمها في مهنته الطبية، فقد صرح في العديد من كتبه، إن علم الطب يجب أن يقوم على أربعة أركان هي:

الفلسفة ، الفلك ، الكيمياء ، والفضيلة .

١- نفس العالم، الهيولى والصورة:

وضع ابن سلوم، للفصل الأول من هذه المقالة عنواناً هو: « الهيولى الأولى والسر الأكبر » وابتدا هذا الفصل بنقل مقطع من كتاب براغناني لبراكلسوس وصف فيه طبيعة الكائنات في عالمنا الأرضي، أو بالتعبير الفلسفي القديم «عالم الكون والفساد » ولم يذكر ابن سلوم في هذا المقطع المنقول عن براكلسوس تعبيراً صريحاً عن « نفس العالم» أو «الهيولى الأولى» مما ينسجم مع عنوان هذا الفصل.

ولمزيد من الوضوح أثبت أدناه نص المقطع:

« إن مبدأ ما يقبل الفساد من الأشياء كلها التي هي داخل السماء، واحد ترجع إليه وتنتهي إليه بعد الفساد، وهذا المبدأ هو الهيولى، وهو السر الأكبروهو لا يدرك بالحس، وهو أمر وجداني غير مقيد، ولامصور بصورة ولامشكل بشكل، ولامكيف بكيفية من الكيفيات، وهذا السر الأكبر هو أصل العناصر وأمها.... وهو كالمركز لجميع الأشياء ... وهو مبدأ الحياة ومبدأ فعل الطبيعة ومبدأ الكون والفساد. ومن هذا الأصل تأتي الحياة إلى العالم، وهو سر إلهي قديم مخلوق» .

ثم يتدخل ابن سلوم ليشرح هذا المقطع الذي أورده عن براكلسوس بما يلي:

« أقول: القول بالهيولى الأولى أمر قديم ذكره أرسطاطاليس وقدماء اليونانيين.... وقيل مراده بالهيولى الأولى نفس العالم، وهو مذهب أفلاطون.....» .

ثم يقول ابن سلوم نقلاً عن أفلاطون: « إن الله خلق نفس العالم وجعلها وسط العالم، وبها يحصل التدبير.»

بالرغم من غموض المقطع المنقول عن براكلسوس واضطراب تعابيره الفلسفية، فإن بعض جمله بالإضافة إلى الشرح الذي أورده ابن سلوم تعطينا فكرة عما يعتقد به براكلسوس. فوصف ابن سلوم الهيولى بأنها السر الأكبر وإنها مبدأ الحياة، وإن منها تأتي الحياة في العالم، يشير إلى أن براكلسوس يؤمن بنفس العالم. ويزيد في التأكيد على ذلك ما شرحه ابن سلوم نقلاً عن أفلاطون بأن العالم الأرضي لايديره الاله مباشرة، وإنما خلق « نفس العالم » لتقوم بالتدبير بوحي منه، لاسيما وانها من طبيعته.

شيء آخر ذكره المؤلف في الفصل الثالث من هذه المقالة بالنص التالي:

« الأجسام قسمان. منها اجسام عالية، صافية، متشابهة، كاملة الصورة والشكل، ومنها أجسام سافلة كثيفة غير متشابهة» .

ومن الواضح أنه يقصد بالأجسام العالية، الأفلاك العلوية بما تحويه من كواكب ونجوم، فهذه الأجرام كاملة الصورة غير قابلة للتغيير والفساد. وارتباطها بنفس العالم يعني انها من طبيعة إلهية.

وفي الفصل التاسع من هذه المقالة يقول المؤلف:

« إن للأجسام صورتين: ظاهرة تقبل التغيّر، وصورة باطنة لاتقبل التغيّر والفساد ».

وهذه الصورة الباطنة هي ماكان يطلق عليها اسم « الهيولى Hylé. مما تقدم، يبدو لنا بوضوح أن براكلسوس متأثر في هذه النظريات بالفلسفة اليونانية القديمة وانه متأثر بشكل خاص بأفلاطون وإلى حد ما بأرسطو، وسنجد فيما بعد أنه متأثر بابن سينا والفارابي وأفلوطين.

فأفلاطون يرى أن الله خلق العالم وجعل فيه من طبيعته الإلهية. ولذلك فإن العالم خالد أبدي لايقبل التغير ولا الفساد. ويقول أفلاطون إن جميع الكواكب السيارة (وكانوا يعدون القمر منها) وكذلك النجوم الثابتة هي من طبيعة إلهية أيضاً. وبذلك تكون جميع الأجرام السماوية، وما تستقر فيه من أفلاك، خالدة لا يصيبها الفناء ولا التغيّر، وهي تدار وتعقل من قبل قوة خلقها الإله، سماها أفلاطون «نفس العالم» أو الهيولى الأولى[٣].

وأما عالمنا الأرضي، وهو ما كان يسميه أفلاطون وغيره من الفلاسفة القدماء، بعالم «الكون والفساد» فهو ما يقع دون فلك القمر وهو لا يتمتع بمثل الطبيعة الإلهية العاقلة التي هي للنجوم والكواكب. وهو لايخلو من طبيعة إلهية إلا أنها أدنى مرتبة من تلك، الخاصة بالأجرام السماوية، ولذا فكل مافيه من موجودات معرّض للتغير والفساد ولكن فيه

(٣) انظر كتاب «ربيع الفكر اليوناني» لعبد الرحمن بدوي. منشورات دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة / ١٩٧٩ / صفحة ٥١.

من طبيعتة ما يحفظ استمرار وجوده. وهو خاضع بكل ما فيه من كائنات وموجودات إلى سيطرة الكواكب[٤].

وكذلك فإن كل شيء في عالمنا الأرضي مؤلف من هيولى وصورة. **فالهيولى** ماهية لاتدركها الحواس وهي غير قابلة للتغير والفساد، وهي نفحة من نفحات السر الالهي الوارد من «نفس العالم» أو «الهيولى الأولى». أما الصورة فهي التي نحس بها وتدركها حواسنا، وهي قابلة للتغير والفساد. فالصورة قد تتغيّر ولكن الهيولى باقية لاتقبل التغير ولا الفساد. وتغيّر الصور هو الذي يسبب اختلاف الأشياء وتنوعها بالنسبة لما تدركه حواسنا.

أما أرسطو في نظريته في الكواكب فيشاطر أفلاطون رأيه في أن للكواكب نفوساً، بل يقول أن للكواكب عقولاً[٥]، كما يعتقد بأن الأجرام السماوية تختلف مادتها عن مادة الأجسام الأرضية المتغيرة باستمرار، فمادتها هي الأثير، أو **العنصر الخامس**، وهو جسم ليس له ضد، فهو لذلك غير متغير[٦].

٢- العنصر الخامس:

جاء ذكر «العنصر الخامس» في الفصل السابع من المقالة الثانية باسم «الجوهر الخامس» تارة و«الطبيعة الخامسة» تارة أخرى. ولئن كان العنصر الخامس بنظر أرسطو هو المادة الأثيرية التي تتركب منها الكواكب. فأن براكلسوس يعطي هذه التسمية مفهوماً آخر، ولكنه مفهوم يمتّ ببعض الصلة إلى الكواكب والنجوم ولكن من زاوية طبية.

---

(٤) انظر كتاب «تاريخ الفلسفة اليونانية» ليوسف كرم من منشورات دار القلم بيروت / لبنان، الطبعة الثالثة بدون تاريخ ص / ٨٥.

(٥) انظر ربيع الفكر اليوناني لعبد الرحمن بدوي ص/ ٥٢.

(٦) انظر كتاب «تاريخ الفلسفة اليونانية» ليوسف كرم ص ١٤٨.

يقول المؤلف في مطلع ذلك الفصل :

« اعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الحجر المكرم وجعل فيه شفاء جميع الأمراض.....ويقال له الجوهر الخامس، والطبيعة الخامسة.. وهذا الجوهر الخامس الشريف العالي لا يمكن التوصل إليه إلا بصناعة الكيمياء.... وهو مفتاح الأرض والسماء». ثم يستمر ابن سلوم، بلسان براكلسوس فيرى أنه بواسطة هذا الجوهر الخامس، يمكن تبديل النوع، واكمال المعادن الناقصة وإيصالها إلى المرتبة الذهبية.

إن هذا الكلام الوارد في الفصل السابع من تلك المقالة، يفيد أن «العنصر الخامس» هو أقرب ما يكون إلى ما كان يسمى بالأكسير الأعظم، أو بحجر الفلاسفة، إلا أن ربطه بالأفلاك العلوية وبشؤون المعالجة، يحتاج إلى مزيد من التوضيح. ولذا فلابد لنا من أن نلجأ إلى ترجمات أجنبية لما كتبه براكلسوس نفسه في هذا المجال.

ففي أحد المراجع الفرنسية جاء من أقوال براكلسوس ما أترجمه بما يلي:

«لما كانت السماء بحركتها توجه الدواء، لا الطبيب، فمن الضروري أن يتم تحويل الدواء إلى مادة طيارة بقدر الإمكان، بشكل تكون معه محكومة وموجهة من قبل المريخ أو زحل أو الزهرة أو غيرها حسبما هو مناسب للحالة المرضية. فهل وجد أحد حجراً استطاع أن يرتفع من تلقاء نفسه إلى النجوم؟ طبعاً لا. ولكن مثل ذلك يحدث عندما يتعلق الأمر بمادة خفيفة وطيارة. وهذا هو السبب في أن الكثيرين كانوا يبحثون في الكيمياء عن الجوهر الخامس، أو الروح الخامسة Quintessence وهي ليست سوى الروح الباقية من تجريد الجسم من طبائعه الأربع. وهذه الروح الخامسة أو الجوهر الخامس، أو العنصر الخامس، يشكل المادة الأولى للكون. ومن معرفة هذا الجوهر، يجب أن يعرف الطبيب النجم المناسب لهذا الجوهر. وبمعرفة ذلك يقوم الطبيب بوصف الدواء المناسب المقابل لذلك

الكوكب أو النجم، علماً بأن كل مرض يسببه نجم معين، وأن كل دواء يناسب نجماً أو كوكباً معيناً. وكل هذا يتم بواسطة الكيمياء»[٧].

بقي أن أقول إن تسمية هذا العنصر، أو الجوهر، أو الروح بالخامس، هي لأن الأقدمين كانوا يعتبرون أن كل مافي الكون مؤلف من أربعة عناصر هي: الهواء، والنار، والماء، والتراب. وهذه العناصر الأربعة محسوسة، أما العنصر الخامس فهو ا فتراضي. وكل ما قيل عنه من قبل براكلسوس وغيره، يبقى في مجالات العلوم الخفية Sciences Occultes التي تبقى أقرب إلى الحدس والغيبية منها إلى الحقائق العلمية البيّنة.

٣ـ نظرية الفيض:

جاء في الفصل الثاني من هذه المقالة ما يلي:

« اعلم أن الله سبحانه وتعالى، لما خلق الهيولى والسر الأكبر، فاض عنه العناصر الأربعة التي يتولد منها جميع المولّدات السفلية».

ومن الواضح أن العناصر الأربعة المقصودة هي: الهواء والنار والماء والتراب، وان المولّدات السفلية هي موجودات عالمنا الأرضي، عالم الكون والفساد[٨].

ونلاحظ هنا تأثر المؤلف بنظرية الفيض الفلسفية ويمكن تعريفها بأنها النظرية التي تبين لنا كيف تصدر الموجودات عن الأول (أي الإله)[٩].

وأبرز فيلسوفين عربيين تبنيا نظرية الفيض هما الفارابي وابن سينا، وربما كان ابن

---

(٧) من كتاب « فن الخيمياء وكتابات أخرى لبراكلسوس L ' Art d' Alchimie et Autres Ecrits de Paracelse مطبوع في المطابع الأدبية الفرنسية Presses Litteraires de France M . CM . L عام ١٩٥٠ عن النسخة الموجودة في مكتبة كلية الصيدلة في جامعة باريس ص/ ١٩ـ٢١ .

(٨) إن كلمة الكون تعني التكوّن، وتعبير «عالم الكون والفساد» يعني عالم تكوّن الأشياء وفسادها وهو عالمنا الأرضي.

(٩) انظر كتاب « من أفلاطون الى ابن سينا » للدكتور جميل صليبا، منشورات دار الأندلس طبعة ثانية، ١٩٨١، ص٨٤ .

سينا متأثراً بالفارابي. فقد بين الفارابي في كتابه « المدينة الفاضلة» أن وجود الموجودات عن الأول أمر ضروري لامحيد عنه. قال« ومتى وجد للأول الوجود الذي له، لزم بالضرورة أن يوجد عنه سائر الموجودات، وأن وجود الأشياء عنه إنما هو من فيض وجوده».

فالأول (أي الإله) يفيض إذن (كما قال الفارابي) فيضاً ضرورياً، إلا أن هذا الفيض ليس لغاية، لأن الخالق لم يوجد لأجل غيره، بل أن ما يعطيه هو كرم منه، فالخالق يعطي الوجود لغيره من غير أن يستفيد شيئاً، وأن هذا الفيض لاينقص من كماله[10].

فالإله عقل محض، والوجود يفيض عنه عقولاً. فالعقل الأول يفيض مباشرة عن الله وهو أكثر العقول جمالاً، وأقواها ابداعاً، وأشدها حباً، لأنه أقرب العقول من الله. والعقل الثاني يفيض عن العقل الأول، وهكذا كلما ابتعدت العقول عن المبدأ الأول ضعف كمالها ونقص خيرها، إلا أنها تشترك كلها في قوة الإبداع[11].

ولكل من هذه العقول سماء يعقلها بدءاً من الفلك الأقصى ثم فلك النجوم الثوابت ثم أفلاك الكواكب، وهكذا إلى أن ينتهي الفيض إلى العقل العاشر الذي يعقل فلك القمر.

وبالنسبة لحركة الأفلاك، فإن لكل عقل نفساً يحرك بها الفلك الذي يخصه. وأما العقل العاشر فيسميه ابن سينا «العقل الفعال» وهو العقل المدبر لعالم الكون والفساد.[12]

وقد سمى اخوان الصفا هذا العقل الفعال بالعقل الكلي، والنفس المتعلقة به النفس الكلية حينما ذكروا في رسائلهم ما يلي:

« ابتدأ الخالق بالعالم الروحاني، ثم فاض عنه العقل الكلي، ثم فاض عن العقل

---

(١٠) انظر كتاب « من أفلاطون إلى ابن سينا » للدكتور جميل صليبا، منشورات دار الأندلس طبعة ثانية / ١٩٨١ ص/ ٩٥

(١١) المصدر نفسه ص/ ٩٤.

(١٢) المصدر نفسه ص/ ٨٩.

الكلي النفس الكلية، كما فاض عن النفس الكلية الهيولى الأولى»[١٣].

٤ ـ **استمرار بقاء الأنواع في العالم الأرضي :**

قال ابن سلوم الحلبي في الفصل الثالث من هذه المقالة، نقلاً عن كتاب ايلياستر Eleaster لبراكلسوس:

« جميع ما يقبل الكون والفساد، فيه ما به يحفظ نوعه، وفيه ما به يحفظ صورته وشكله ولونه وطعمه ومقداره» .

ويفسر ذلك بأن كل الأجسام الأرضية « وإن كانت قابلة للكون والفساد لكن نوعها باق، فكلما فسد جسم لبس جسماً غيره كتوارد الصور المختلفة على الهيولى والهيولى باقية في كل حال» .

واذكر هنا مرة اخرى، إن الصورة للجسم هي الشكل المحسوس له، وأما الهيولى فهي الجزء غير المحسوس منه، كما أن الصورة قابلة للتغيّر، ولكن الهيولى لاتقبل التغيّر ولا الفساد.

ويورد براكلسوس أنه لا بد في تكوين مادة أو كائن ما، من ثلاثة أمور:

الأول: هو المدبر، وهو المحرك والمنضج والجامع والمفرق، وهو المؤثر في المعادن والنبات والحيوان وبه اكمال التكوين في مدة محدودة إلى أن يبلغ النوع كماله. وهو المؤثر في المعادن والنبات والحيوان.

الثاني: هو الأصل أي المادة التي يكون منها تكون النوع.

(١٣) كتاب «اخوان الصفا» تأليف الدكتور جبور عبد النور، منشورات دار المعارف بمصر ١٩٥٤ ص/ ١٠٨. وانظر أيضاً الرسالة الجامعة لاخوان الصفا تأليف الإمام أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق. منشورات دار صادر، بيروت / ١٩٧٤ صفحات: ١٣٤، ٢٤٠، ٢٣٦.

الثالث: الحافظ للنوع وهو أمر سماوي إلهي.

ولا يقدم براكلسوس توضيحاً كافياً لهذه التعاريف، إلا أنه ليس من الصعب توضيحها من منطلق مفاهيم براكلسوس الطبيعية - فبراكلسوس يرى أ ن اكتمال نمو كل كائن حي يحتاج إلى مدة محددة، فالجنين لا يكتمل في رحم أمه ويخرج منه إلا بعد تسعة أشهر. ولكل نبات وقت محدد ما بين زرعه واكتمال نموه، أو اثماره، فهذه القوة الخفية التي تحدد سير كل كائن وتحدد توقيت اكتمال نموه هي ما أسماها بالمدبر أو المنضج.

وأما ما عبر عنه **بالأصل** فيقصد به طبيعة الكائن الخاصة به، بما فيه من صورة وهيولى.

وأما **الحافظ للنوع** فقد سبق الكلام عليه في بداية هذه الفقرة حينما تحدث عن استمرار بقاء النوع ويقصد بذلك الهيولى التي تتغير عليها الصور وهي باقية خفية عن الحس تقوم بوظيفتهابأمر سماوي.

٥ - تعريف الحياة في عالمنا الأرضي وانتشارها في جميع الكائنات :

يفتتح المؤلف الفصل الرابع من هذه المقالة (الأولى) بتعريف للحياة فيقول:

« الحياة كمال للنوع به تظهر آثاره وأفعاله، وهذا الكمال موجود في المعدن والنبات والحيوان».

ويقصد بذلك أن حياة النوع لاتكمل إلا بظهور أفعال وآثار لذلك النوع. وكما يقول المؤلف فإن الحياة للإنسان والحيوان أمر ظاهر، وإن الحياة للنبات معروفة لما يصدر عنه من نمو وتغذية وتطور ظاهر في أوصافه. إلا أن الذي يستحق التوقف عنده هو ما أورده المؤلف من وجود حياة للمعادن.

أ- الحياة في المعادن:

يبرهن المؤلف على وجود حياة في المعادن بالشواهد التالية:

١- جذب الحديد للمغناطيس ويعني بذلك جذب الحديد المغنط لبعض المعادن، أي أن حادثة الجذب يعتبرها ظاهرة حياتية.

٢- لصوق الزئبق بالذهب وإحداثه للملغمة، ويقول المؤلف أن ذلك يعني انجذاب الزئبق إلى الذهب وعملية الجذب هذه يعتبرها أيضاً مظهراً من مظاهر الحياة.

ب- نمو المعادن والمركبات المعدنية:

يقول المؤلف إنه ما دام للمعدن حياة، فيجوز للمعدن أن ينمو. ويقول «وقد شوهدت زيادة بعض المعادن ونموها» ويورد على ذلك أمثلة عديدة منها:

١ - إذا أخذ من الزاج (كبريتات النحاس) مقدار كثير من بعض الأمكنة، فإنه يعود ويزيد ويملأ المكان الذي كان فيه.

٢ - إن معدن الذهب في بلاد الصقالبة يزيد في كل أربع سنوات ويعود إلى مقداره الأول فيعوض ما أخذ منه.

٣ - شوهد في تلك البلاد (الصقالبة) عروق رصاصية رمادية اللون، ثم بعد فترة من الزمن وجدوا تلك العروق قد انقلبت إلى فضة بيضاء.

٤ - وفي بلاد كارباتيا وضعوا عروقاً من الرصاص ستروها بالتراب في الأرض، ولما كشفوا عنها بعد أربعين سنة وجدوها قد استحالت إلى فضة بيضاء.

٥ - في بلاد سيليسيا يزيد معدن الحديد في كل عشر سنوات ويرجع إلى مقداره الأول، كما وجدوا فيها رملاً نحاسياً ولما كشفوا عنه بعد فترة من الزمن وجدوه

قد بلغ المرتبة الذهبية.

ويقول المؤلف إن هذه الأمور نفسها تنطبق على المعادن الملحية والأحجار.

وينهي ابن سلوم كلامه في هذا المجال بتلخيص آراء براكلسوس وأنصاره:

«وقالوا إن العاقد للجميع أمر واحد، وإن الإختلاف هو في المواد القابلة، وإن لكل معدن روحاً مخصوصاً به هو عاقد لذلك المعدن».

٦- **التوالد بين الأنواع المختلفة:**

أورد المؤلف في الفصل الثامن من هذه المقالة (الأولى) أن تفاعل الموجودات المختلفة بعضها ببعض يولّد كائنات وموجودات ذات خصائص متميزة، ويورد أمثلة على ذلك في عالم الحيوان والمعادن والنبات.

آ- **في عالم الحيوان:**

قد يحصل من تزاوج نوعين متقاربين من الحيوانات نوع آخر يشابه كلاً من النوعين في بعض النواحي ويختلف عنهما في خصائص أخرى، كالبغل المتولد من تزاوج الفرس والحمار، وكالشيب المتولد من تزاوج الضبع والذئب[١٤] وقد يلد من تزاوج الدجاج والحجل حيوان يقارب كلاً منهما في بعض الأوصاف.

إن هذا التولد أمر معروف وقد بحث فيه علماء الحيوان بشكل مفصل.

ب- **في المعادن:**

هنا نجد المؤلف يورد أموراً لايقرها العلم بشكل من الأشكال فهو يعتبر أن الماس يتولد من الرصاص، والزمرد يتولد من النحاس، والياقوت الأزرق من الفضة،

(١٤) ورد في المخطوط (الفصل الثامن من المقالة الأولى) إن الشيب هو المتولد من تزاوج الكلب والذئب، وهو خطأ، فالشيب هو ولد الضبع من الذئب (القاموس المحيط).

واللعل[١٥] من الحديد ! !

د - **في النبـــات :**

يقـول المؤلف إن التـوالـد قـد يتم بين نوعين مـختـلفين من النبـات ويورد مـثـالاً غـريباً وهو أن الطرخون قد يتـولد من وضـع بزر الكتـان في الأترج[١٦] بعد شـقـه وذر بزر الكتان فيه !

كـمـا يقـول المؤلف أنه قـد **يتولد من النبات حيوان** ، ذلك أن في بلاد الفـلمنك شـجراً يتـولد فـيـه حيـوان كـالدود ، وينمـو ويزيد حـتى يصـيـر كطيـر الأوز. ويقـول أن هذا الحيوان كثير التواجد في تلك البلاد يصطاد ويؤكل لحمه !

وبديهي أننا لانقر هذا التوالد ، ويبـدو أن الذي أدى إلى هذه النظرية الخاطئة هو وجود حشرات تنمو على تلك الأشجار تغتذي منها ، ثم تأتي طيور تستقر على تلك الأشجار لتغتذي بتلك الحشرات .

والأكـثر غرابة هو اعتـقـاد المؤلف بإمكانيـة **التوالد ما بين النبات والمعدن** ، فيـقـول أنه قـد يتولد من الحنطة الزؤان ، ولا أدري مـا الذي دعا المؤلف إلى أن يعتبـر الزؤان (وهو نبات من فصيلة النجيليات) معدناً !

٧ - **نظرية العناصر الأربعة :**

جـاء في مـقـدمـة الفـصل الثـاني ان جـمـيع الموجـودات في العـالم الأرضي تتـولد من العناصـر الأربعة ، ثـم يذكر هذه العناصـر بأنها التراب ، والـهواء ، والماء ، والنـار ، ويقـول أن

(١٥) اللعلّ هو حجر كريم أحمر شفاف شبيه بالياقوت انظر كتاب الجماهر في معرفة الجواهر لأبي الريحان البيروني. منشورات مكتبة المتنبي القاهرة ص/ ٨١ .

(١٦) هو ما يسمى في سورية (الكبّاد) من الحمضيات .

ثمرة العنصر **العرابي** النبات والشجر، وثمرة العنصر **المائي** المعدن والأحجار، وثمرة العنصر **الهوائي** الطلول والمن وثمرة العنصر **الناري** المطر والثلج.

إن نظرية العناصر هذه سادت قرابة ألفين وخمسمائة عام، أي منذ حوالي القرن السادس قبل الميلاد وحتى القرن الثامن عشر بعد الميلاد وبعد ذلك توارت هذه النظرية بعد أن أصبح من الثابت علمياً أن جميع المواد والموجودات، سواء منها الموجودة على سطح الأرض، أو الموجودة في سائر الكون، تتألف من قرابة مائة من العناصر، كما ثبت أن عنصر الهيدروجين هو العنصر الأول الذي انبثقت منه كل تلك العناصر. ومن المرجح أن عنصر الهيدروجين يشكل خمسة وثمانين بالمائة من مادة الكون الواسع، وان عنصر الهليوم، الذي تشكل بنتيجة الإلتحام الحراري النووي لذرات الهيدروجين يشكل أربعة عشر بالمائة تقريباً من مادة الكون، وأما سائر العناصر الأخرى فهي في حدود الواحد بالمائة من مادة الكون الفسيح[١٧]. إذن فبراكلسوس آمن بالعناصر الأربعة كغيره من علماء عصره، إلا أنه فصل بين هذه العناصر وبين أصل الأجسام التي تتولد من هذه العناصر ورأى أن الأصل فيها يتألف من الزئبق والكبريت والملح، وهذا ما سنوضحه فيما يلي :

٨ ـ نظرية الزئبق والكبريت والملح :

أر ' ابن سلوم الحلبي، في الفصل السادس من هذه المقالة، نقلاً عن براكلسوس وأنصاره مايلي:

« قالوا إن أصل الأجسام ثلاثة وهي الزئبق والكبريت والملح، واعلم أنه ليس المراد من هذه الثلاثة ماهو متعارف عليه بين الناس، بل المراد بالزئبق الرطوبة السيالة، وبالكبريت الدهنية، وبالملح ما هو ثابت أرضي ».

(١٧) انظر كتاب « قصة العناصر » تأليف البير دوكروك Albert Ducrocq ترجمة وجيه السمان ـ منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق ١٩٨١ ص من ٢٣ ـ ٢٦.

ثم يتابع قائلاً:

« ومن هذه الجواهر الثلاثة تتركب جميع الأجسام »

قبل الدخول في تفاصيل هذه النظرية، من وجهة نظر براكلسوس، لابد من أن نتساءل هل هذه النظرية من ابتكار براكلسوس أم أنها مقتبسة ممن تقدموه.

يبدو من المعطيات التاريخية أن جابر بن حيان[١٨] الذي عاش في القرن الثاني للهجرة (القرن الثامن للميلاد) هو أول من قال بأن أجسام المعادن تتألف بالأصل من الزئبق والكبريت، وقد أورد ذلك في القسم الأول من كتابه « غاية الإتقان »[١٩] ويقول المؤرخ مونود هرزن Monod Herzen إن جابر بن حيان أضاف إلى جوهري الزئبق والكبريت جوهراً ثالثاً هو الزرنيخ[٢٠].

أما العالم العربي أبو بكر الرازي[٢١] فيوافق جابر بن حيان على الإعتقاد بأن أساس المعادن هو: الزئبق والكبريت، ولكنه أضاف إليهما جسماً آخر من طبيعة ملحية[٢٢].

وبالإستناد إلى هذه المعلومات التاريخية يبدو لنا من المرجح أن يكون براكلسوس أخذ نظريته في الأوليات الثلاثة Tria Prima أي نظرية الزئبق والكبريت والملح من جابر بن حيان وأبي بكر الرازي لاسيما وقد ترجمت أكثرية كتب جابر بن حيان والرازي إلى اللاتينية قبل ظهور براكلسوس بعدة قرون.

(١٨) هو جابر بن حيان الكوفي عاش في الفترة بين عام ١٢٠-١٩٨ هـ (٧٣٧-٨١٣ م).

(١٩) انظر كتاب الخيمياء L'Alchimie لهولميارد E. J. Holmyard مطبوعات آرتو Arthoud - فرنسا / ١٩٧٩ صفحة ٨٠ (بالفرنسية).

(٢٠) انظر كتاب الخيمياء المتوسطية L'Alchimie Mediteranéenne للمؤلف مونود هرزن Monod ` Herzen مطبوعات أديار Adyar باريس / ١٩٦٢ ص/ ٩٧.

(٢١) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب والكيميائي العربي. ولد في بلدة الريّ عام ٢٥١ هـ (٨٦٥ م) وتوفي فيها عام ٣١٣ هـ (٩٢٣م).

(٢٢) انظر كتاب الخيمياء لهولميارد ص/ ٩٤.

على أنه قد يوجد من يتساءل ويقول أن نظرية مماثلة لنظرية جابر بن حيان وردت في كتاب « سر الخليقة وصنعة الطبيعة » لأبولونيوس التياني[٢٣] الذي عاش في القرن الأول للميلاد، أي قبل جابر بن حيان بعدة قرون، وإذن فجابربن حيان لا يحتمل أن يكون الأب الأول لهذه النظرية.

والجواب على ذلك هو إن دراسات الكثير من العلماء تميل إلى الإعتقاد بأن كتاب «سر الخليقة وصنعة الطبيعة » ليس من تأليف أبولونيوس التياني وإنما نسب إليه ليكتسب مظهر المهابة والقدم والشهرة الأوسع، ويرجحون ا ن هذا الكتاب ألف من قبل العرب في القرن الثالث للهجرة، ومن هؤلاء العلماء: لويس ماسينيون، ويوليوس روسكا، ومارتن بلسنر فهم يرجحون أن مؤلف الكتاب شخص عربي من القرن الثاني أو من أوائل القرن الثالث للهجرة، وهم يرون أن المؤلف العربي ابتدع اسماً يونانياً وهمياً نسب إليه تأليف هذا الكتاب، وانتحل هو شخصية المترجم ليوهم القارىء بأن للكتاب أصلاً يونانياً علماً بأن الاسم المعطى للمترجم (ساجيوس) لاذكر له في المصادر العربية خارج هذا الكتاب، كما لا يعلم أحد عنه شيئاً[٢٤] .

وهناك المناظرة التي جرت بين الطبيب العربي، أبي بكر محمد الرازي والداعي الإسماعيلي أبي حاتم الرازي والتي يرويها أبو حاتم نفسه. وهنا نرى أبا بكر يسأل عن مؤلف كتاب « سر الخليقة وصنعة الطبيعة » فيجيبه بأن الكتاب ألفه رجل عربي (لم يذكر اسمه) عاش في زمن الخليفة المأمون[٢٥] . ومن الواضح أن جابر بن حيان توفي قبل

(٢٣) «كتاب سر الخليقة وصنعة الطبيعة » تحقيق المستشرقة الألمانية أورسولا وايسر. طبع معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب عام ١٩٧٩.

(٢٤) كتاب « سر الخليقة وصنعة الطبيعة » تحقيق المستشرقة الألمانية أورسولا وايسر. طبع معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ص/ ١١.

(٢٥) المصدر نفسه ص/ ١٢ ـ دام حكم المأمون من عام ١٩٨ حتى ٢١٨ هـ.

زمن حكم الخليفة المذكور.

أعود إلى نظرية الزئبق والكبريت والملح لأقول إن براكلسوس وإن لم يكن أول من قال بها، فقد كان الأول في إعطائها آفاقاً جديدة.

ذلك أن كل من قال بهذه النظرية قبل براكلسوس كان يربطها بالمعادن فقط، أما هو فيقول:

« ولكون هذه المكونات ثلاثة، فقد صارت الفروع، وهي المولدات، أيضاً ثلاثة:

« المعدن والنبات والحيوان، ولذلك يوجد زئبق معدني، وزئبق نباتي، وزئبق حيواني، وملح معدني وملح نباتي، وملح حيواني. وكذلك الكبريت ».

وهذا يعني أن براكلسوس وسّع هذه النظرية لتشمل كل الموجودات في عالمنا الأرضي، من جماد وإنسان وحيوان ونبات. ولهذا الغرض فقد أورد القاعدتين التاليتين:

- « من الملح العقد[٢٦] والثبات، ومن الكبريت الحركة والحياة والنضج، ومن الزئبق التسييل وقبول الشكل» .

- « قالوا[٢٧] ومبدأ جميع الطعوم من الملح، ومبدأ الروائح من الكبريت، ومبدأ الألوان من الزئبق ».

وهنا لابد من أن نوضح أن هذه الأصول الثلاثة الزئبق والكبريت والملح، لا تعني المفهوم المجسد المعروف لها. فليس الزئبق هنا هو الزئبق ذاته كما نعرفه في العالم المحسوس وكذلك الأمر بالنسبة للكبريت والملح، وإنما هي أصول افتراضية يسميها

(٢٦) العقد : هو ما نسميه الآن بالتبلّر، وقد يعطي بالمفهوم القديم معنى انتقال الجسم من حالة سائلة إلى حالة جامدة .

(٢٧) كلمة قالوا تفيد أن ابن سلوم يعني: قالت طائفة براكلسوس.

البعض « الأوليات الثلاثة Tria Prima » ويسميها آخرون « الأصول الأقنومية[٢٨] » .

ويقول براكلسوس بوجود أنواع لا حصر لها من الزئبق والكبريت والملح فلكل نوع من أنواع الموجودات أقانيمه الثلاثة الخاصة به، وحتى معدن الذهب فإن براكلسوس يقول إن هناك أنواعاً عديدة منه ولكل منها زئبقه الخاص وكذلك كبريته وملحه.[٢٩]

ثم ينطلق براكلسوس من هذا الشمول ليصل هذه الأقانيم الثلاثة بصحة الإنسان ومرضه. فهذه الأقانيم الثلاثة، إذا لم تكن متوازنة في جسم الإنسان، كان المرض. فازدياد الكبريت عن حدوده الطبيعية يسبب الحمى والطاعون، ونقصه يسبب مرض النقرس. كما أن ازدياد الزئبق يسبب الشلل والأمراض العصبية، وزيادة الملح تسبب الإسهال والإستسقاء. وحتى عندما يكون التوازن العام في البدن سليماً، فإن الإزدياد أو النقصان في أحد هذه الأصول الثلاثة يسبب للإنسان المتاعب الصحية. وهكذا فإن زحزحة الكبريت من مكان لآخر داخل الجسم يعرض المرء للهذيان.[٣٠]

٩ - نظرية العالم الأكبر والعالم الأصغر :

يقول المؤلف في الفصل العاشر :

«اعلم ان الإنسان مخلوق شريف ،ونسخة جامعة لما في العالم الكبير» ثم يقول: <<وأصول جميع الموجودات موجودة في الإنسان ،فهو فلك محيط مشتمل على كل ما في العالم من أفلاك ونجوم وعناصر ومولدات>> كما يقول :<<كما أن الإبن مشابه للأب ،كذلك فإن الإنسان مشابه للعالم الكبير فالعالم الكبير هو أبوالإنسان وعنه تولد>> وهذا يعني أن

---

(٢٨) « الأصول الأقنومية » هي ترجمة للتعبير الفرنسي Principes Hypostatiques ولمزيد من المعلومات حول ما جاء في هذا المقطع: الرجوع إلى كتاب الخيمياء لهولميارد ص ١٨٤ .

(٢٩) انظر كتاب الخيمياء لهولميارد ص/ ١٨٥ .

(٣٠) انظر كتاب الخيمياء لهولميارد ص/ ١٨٥ .

المقصود بالعالم الأكبر هو ذلك الكون الفسيح بأفلاكه وكواكبه، ونجومه وموجوداته، وا ن المقصود بالعالم الأصغر هو الإنسان .

واستناداً إلى هذه النظرية، يعزى براكلسوس إلى السماء التأثير على صحة الأنسان ومرضه وعلى أعضاء بدنه كما تؤثر في العناصر[٣١] ولذا فإن براكلسوس ومريديه يوظفون هذه النظرية في أمور التشخيص والعلاج وتحضير الأدوية، ونرى ذلك واضحاً من كتابه باراغرانوم Paragranum عندما يقرر أن علم أحكام النجوم هو أحد الأركان الأربعة في ممارسة المهن الطبية. وقد سبق أن قلنا إن الأركان الأربعة هي:

الفلسفة ، العلوم الفلكية ، الكيمياء ، والفضيلة[٣٢]

ويستعرض ابن سلوم الخطوط الكبرى للآراء والأفكار التي أوردها براكلسوس استناداً إلى هذه النظرية، أي نظرية العالم الأكبر (الكون) والعالم الأصغر (الإنسان) كمايلي:

أ ـ الأفلاك وأعضاء الإنسان :

كان الفلاسفة الأقدمون يعتقدون بأن العالم الكبير يتضمن ما يلي:

١ـ الأرض وعالمها وهو ماكان يدعى عالم مادون فلك القمر.

٢ ـ أفلاك الكواكب السبعة وهي حسب تسلسل بعدها عن الأرض، أفلاك : القمر، فعطارد، فالزهرة، فالشمس، فالمريخ، فالمشتري، فزحل .

٣ ـ الفلك الثامن وهو يعلو أفلاك الكواكب السبعة وفيه النجوم الثابتة.

(٣١) انظر كتاب ، براكلسوس:مؤلفاته الطبية ، إعداد برنارد كورسيكس Bernard Gorceix طبع المطابع الجامعية الفرنسية بباريس ١٩٦٨ / ص ٥٨ .

(٣٢) المصدر نفسه ص / ٥٧ .

٤ ـ الفلك التاسع الذي يعلو جميع الأفلاك، ويدعى الفلك المحيط أو الفلك الحامل وهو الذي يحرك الأفلاك كلها حركة دورانية حول جرم الأرض الثابت وبالنسبة لما يورده براكلسوس في كتابه:

فإن **الرأس** في الإنسان يقابل **الفلك المحيط** الذي يدير العالم بما فيه من أفلاك. **والمعدة** التي ينهضم فيها الغذاء فتغتذي به كافة الأعضاء، تقابل **جرم الأرض**. وأما الأفلاك السبعة الخاصة بالكواكب السيارة (وكانوا يعدون الشمس والقمر منها)، فهي تقابل الأعضاء الرئيسية السبعة في الإنسان:

فكوكب القمر	يقابل الدماغ
وكوكب عطارد	يقابل الرئة
وكوكب الزهرة	يقابل أجهزة التناسل
وكوكب الشمس	يقابل القلب
وكوكب المريخ	يقابل المرارة
وكوكب المشتري	يقابل الكبد
وكوكب زحل	يقابل الطحال

أما فلك النجوم الثوابت فلم يورد له المؤلف مناسبة معينة بالنسبة لجسم الإنسان.

ب ـ الأفلاك والمعالجة :

لما كان براكلسوس يعتبر أن المرض الذي يحل في أي عضو من الأعضاء الرئيسية، ينتج من الكوكب المقابل لذلك العضو، فالعلاج (وأفضله بالمعدنيات) يجب أن يقابل ذلك الكوكب أيضاً. وقد تبنى براكلسوس ما كان يعتقد به الكيميائيون القدامى من أن المعادن السبعة الرئيسية المعروفة آنذاك، تقابل الكواكب أيضاً وذلك كما يلي:

اسم الكوكب	المعدن المقابل له	رمزه الكيميائي
الشمس	الذهب	☉
القمر	الفضة	☽
الزهرة	النحاس	♀
المريخ	الحديد	♂
عطارد	الزئبق	☿
زحل	الرصاص	♄
المشتري	القصدير	♃

ويقول براكلسوس إن انتقاء العلاج المناسب للمرض وتدبيره بما يضمن إعادة الإنسجام مابين العضو المريض والكوكب المقابل له، لتأمين الشفاء، إنما يكون عن طريق علم الكيمياء.

د - مشابهة الحوادث الطبيعية مع أعراض حياتية في الإنسان :

انطلاقاً من إيمان براكلسوس بأن الإنسان هو صورة مصغرة جامعة لما في الكون الكبير، ولما ذكره من «ان العالم الكبير هوأبو الإنسان وعنه تولّد» فإنه يقدم لنا حوادث طبيعية يشبّهها بأوضاع وتظاهرات تطرأ على جسم الإنسان فيقول :

- «وكما في الفلك حركة دائمة، كذلك في الإنسان حركة في شرايينه النابضة مدة الحياة» .
- «وكما في العالم رياح مختلفة، كذلك في الإنسان رياح وقراقر وجشأ» .
- «وكما يكون في العالم زلازل، يكون في الإنسان نافض وقشعريرة ورعدة» .
- «وكما يعرض في العالم أمطاروثلوج، يعرض للإنسان إسهال وادرار» .

- «وكما يعرض في العالم الزوابع، يعرض للإنسان القولنج» .
- «وكما يعرض في العالم الخسوف والكسوف يعرض للإنسان الفالج والسكتة» .
- «وكما يعرض في العالم قلة الأمطار واليبوسة، يعرض للإنسان الدق والذبول» .
- وكما يعرض في العالم زيادة الرطوبات لزيادة الأمطار، يعرض للإنسان الإستسقاء» .
- «وكما يعرض في العالم السحاب والظلمة، يعرض في عين الإنسان ظلمة ودوار» .
- «وكما يعرض في الأرض معادن وأحجار، كذلك في الإنسان عظام» .
- « وكما يكون في العالم صفاء الجو واعتدال الهواء، كذلك يكون في حال صحته واعتدال مزاجه» .

وينتهي إلى القول عن الإنسان :

« فالأرض لحمه، والأنهار عروقه، والبحر مثانته، كما أن الإبن مشابه للأب كذلك الإنسان مشابه للعالم الكبير» .

ذ ـ المشابهة، بالطباع بين الإنسان وبقية الكائنات :

يقول المؤلف، استنتاجاً من وحدة العالم الكبير والعالم الصغير (الإنسان) :

« إن الإنسان له مناسبة مع الأنواع من الحيوان والنبات والمعدن »

ويورد على ذلك أمثلة فيقول:

- «من الانسان من هو عزيز النفس جريء شجاع، كالأسد والنسر» .
- «ومنه من هو دنيء النفس جبان كالأرانب والضأن» .
- «ومنه من هو محب ألوف كالدلفين، حتى قيل أنه ينقذ الغرقى» .
- «ومنه من يظهر الصداقة ويخفي العداوة كالتمساح» .

- «ومنه من يظهر الميل والمحبة وقت الحاجة فقط كالطيور التي تأتي صيفاً وتذهب شتاء» .
- «ومنه السارق كالفأر والصرصار»

ويستمر المؤلف في هذه التشبيهات فيورد العديد منها .

وبعد أن يعدد المؤلف المشابهة في الطباع ما بين الإنسان والحيوانات ، يقول إن الإنسان تعلّم الكثير من هذه الحيوانات ، فقد أخذ من الأوز صناعة السفن والملاحة ، كما عرف الأوائل أن نبات المشكطر امشير ينفع في التئام الجراح وذلك من الماعز ، فإنها إذا جرحت ، عمدت إلى هذا النبات وأكلت منه فتلتئم جراحها . وعرفوا فائدة الرازيانج في معالجة امراض العيون من الأفاعي ، فإنها تعمى في الشتاء ، لطول مكثها تحت الأرض في الظلمة ، فإذا جاء الربيع ، خرجت وجاءت إلى نبات الرازيانج ومسحت أعينها به ، فينفتح بصرها ويعود إلى حالته الطبيعية .

ويقول المؤلف أن الأوائل عرفوا تفجير الأورام المتقيحة من الماعز . فهذه الحيوانات عندما يعرض في جفونها ورم ، تأتي إلى بعض الأشجار الشائكة وتحك بها ورمها ، فينفجر هذا الورم وتبرأ .

وقال إن الأقدمين عرفوا الفصادة من الخيل ، التي إذا زاد دمها ، وامتلأت عروقها ، أحست بثقل بدنها ، فتفصد عروقها بأسنانها فيسيل الدم منها ويذهب الثقل عن هذه الحيوانات .

٥ ــ الأدوية المنسوبة إلى الكواكب :

هذا العنوان هو للفصل الأول من المقالة الثالثة ، وبالرغم من أني أقوم الآن بتحليل ما جاء في المقالة الأولى من كتاب الطب الكيميائي الجديد ، فقد فضلت التعرض لهذا

الموضوع هنا، وذلك لصلته بنظرية تشابه العالم الأصغر بالعالم الأكبر، لأن هذه الأدوية بصلتها بالكواكب، ولأن أمراض الإنسان تسببها الكواكب، فإن وصف تلك الأدوية يعيد الإنسان إلى توازن أعضائه مع الكواكب المقابلة لها.

إن الأدوية التي يقصدها براكلسوس هنا هي الأدوية النباتية، وهو وإن كان يعتبر الأدوية المعدنية أساساً في المعالجة، فإنه لم ينكر وجود فوائد علاجية للأدوية النباتية، ولكنها تأتي في الدرجة الثانية بعد المعادن، وهو غالباً ما يصفها أدوية مساعدة للأدوية المعدنية.

ينسب المؤلف لكل من الكواكب السبعة نباتات خاصة به وذلك كما يلي:

١ ـ الأدوية المنسوبة إلى **القمر**: يكون ورقها ليناً غليظاً كثير المائية وينبت في الأماكن الرطبة كاللفاح والخشخاش والفاونيا والأخلامور «وكل ما ينبت في المياه وقربها».

٢ ـ الأدوية المنسوبة إلى **عطارد**: تكون ألوانها مختلفة وتنبت في مواضع رملية كحشيشة الزجاج والبابونج والعرعر.

٣ ـ الأدوية المنسوبة إلى **الزهرة**: يكون طعمها حلواً، وزهرها أبيض، وورقها ليناً. ومنها خصية الثعلب، والسوسن الأبيض، والنرجس، وبصل الزير.

٤ ـ الأدوية المنسوبة إلى **الشمس**: هي كل ما يكون طعمه لذيذاً ورائحته وزهره وورقه أصفر اللون ومن ذلك الزعفران والأترج والنارنج، وغيرها من النباتات المقوية للروح والقلب والبصر.

٥ ـ الأدوية المنسوبة إلى **المريخ**: يكون لونها مائلاً إلى الحمرة وتكون خشنة شوكية، ومن ذلك الأنجرة والشوك والعليق والعوسج.

٦ ـ الأدوية المنسوبة إلى المشتري: هي الأدوية الدهنية وتكون رائحتها طيبة وطعمها لذيذا وزهرها أحمر أو اسمانجونياً ومنها البلسان والقرنفل والقنطريون والورد والشاهترج.

٧ ـ الأدوية المنسوبة إلى زحل: تكون شوكية رمادية اللون أو سوداء، طعمها عفص، رائحتها كريهة، ومنها نبات الخربق الأسود والبنج والشوكران والأبهل.

هرمس مثلث العظمة / واللوح الزمردي

إن نظرية تسمية الإنسان بالعالم الأصغر، وتشبيهه بالعالم الأكبر ليست من اختراع براكلسوس بل هي نظرية قديمة نسبت إلى هرمس مثلث العظمة .

«وهرمس» هو اسم أطلقه الإغريق في العصر الهيلنستي على الإله المصري «توت» الذي كان المصريون يعتبرونه مبدع جميع العلوم والفنون، وقد أعطاه الإغريق هذا الاسم، واعتبروه ملكاً مصرياً قديماً ألف العديد من الكتب المتعلقة بالحكمة والفلسفة والسحر والتنجيم والإلهيات والخيمياء[٣٣].

وأقدم مؤلفات عرفت عن هرمس مثلث العظمة، أو نسبت إليه، تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد وكانت تتعلق بالتنجيم والفلك. ومن المعروف أن المواضيع الفلكية كانت تستأثر بالإهتمام الأول للمصريين، وقد اتخذت طابعاً متميزاً عندما امتزجت هذه المعلومات بما تحمله من تراث فلكي كلداني، بالطاقات العلمية الخلاقة للإغريق. وكانت خليطاً من ملاحاظات علمية وأخرى لاتمت إلى العلم بصله، ولكنها أخذت على أساس

(٣٣) انظر الموسوعة الفرنسية الكبرى لاروس كلمة Hermès Trimégiste .

أنها مبنية على الوحي الإلهي وليست على أساس الملاحظات الموضوعية[٣١].

إن المجموعة الهرمسية المترجمة إلى اللغات المختلفة عن مخطوطات يونانية أو لاتينية قديمة، جمعها المهتمون بتاريخ العلوم في أربعة كتب إضافة إلى أقسام ملحقة بالكتاب الرابع.

وقد صدرت عام ١٩٧٩ هذه المجموعة الهرمسية في ترجمة فرنسية، وهي التي اعتمدت عليها لأقدم فكرة موجزة وسريعة عن الفلسفة الهرمسية والتعاليم الهرمسية،[٣٥] علماً بأن المجموعة المذكورة لم تترجم نصوصها إلى اللغة العربية بعد .

إن الكتب المنسوبة لهرمس مثلث العظمة، هي الأثر الوحيد المتبقي لدينا عن الفلسفة المصرية القديمة، وهي حصيلة تفاعل المذاهب، والمعتقدات الدينية للمصريين القدماء مع المذاهب الفلسفية والدينية للإغريق[٣٦].

ويبدأ **الكتاب الأول** من المجموعة الهرمسية بما يفيد أن «العقل الأول» المسيطر على الكون أعطى أسراره لهرمس. ثم يبدأ هرمس بنشر ما علمه من العقل الأول عن طريق حديث ما بين هرمس وابنه (تات)، ثم يدور حديث بين «العقل الأول» وهرمس وهذه الأحاديث تدور حول كنه السكون والحركة،والمكان والحكمة والخير، والموت والحياة،

---

(٣٤) انظر كتاب «هرمس مثلث العظمة» Hermès Trimégiste إعداد العالم نوك A . D . Nock الأستاذ بجامعة هارفرد، ترجمة فستوجيير A . J . Festugière منشورات جمعية الآداب الجميلة، Les Belles Lettres الجزء الأول، الطبعة الخامسة، باريس ١٩٨٠ / المقدمة .

(٣٥) هذه المجموعة صدرت بالفرنسية في كتاب بعنوان «هرمس مثلث العظمة» Hermès Trimégiste تأليف لويس مينارد Louis Menard منشورات دولا ميسني Editions de la Maisnie باريس فرنسا ١٩٧٩، وهو في الواقع ترجمة للنصوص المنسوبة لهرمس .

(٣٦) انظر كتاب «هرمس مثلث العظمة» من إعداد الدكتور نوك A . D . Nock الأستاذ بجامعة هارفرد وترجمة A . J . Festigière منشورات جمعية الآداب الجميلة Societé d' editions '' Les Belles Lettres باريس ١٩٨٠ الجزء الأول / المقدمة. وهذا الكتاب من ثلاثة أجزاء، مزدوج اللغة فيه النص باللغة اليونانية كما وردت في المخطوطات، مع النص المقابل له بالفرنسية.

والفناء والبعث، والفكر والشعور، والنفس والروح والخلود والزمن.[٣٧]

وفي الكتاب الثاني يكون الحديث ما بين هرمس واسكليبيوس Asclépios[٣٨] وهو على شكل سؤال وجواب. سؤال من اسكليبيوس وجواب من هرمس حول النفوس والأجساد، وعن الهيولى وعن المبادىء الأساسية للموجودات في الكون، وعن المصير وعن مشابهة البشر للآلهة.[٣٩]

وفي الكتاب الثالث يتكلم هرمس على تشكل العالم، يتلوه حديث ما بين الآلهة ايزيس وابنها حورس ويتناول الحديث شؤون تشكل الأفلاك، وان الفلك العالي خلق قبل الذي تحته ليكون متعلقاًبه، وعن كيفية خلق الإنسان ومصيره، وعن تشكل النار والهواء والماء والتراب (العناصر الأربعة) وعن أ رواح البشر والحيوانات والتناسخ، ويركز هرمس، بلسان ايزيس على أن كل مايعمل ويقال على الأرض يأتي منبعه من الأعلى، وان كل شيء يأتي من الأعلى ثم يعود إليه.[٤٠]

وفي الكتاب الرابع: مقتطفات من أقوال وجهها هرمس إلى ابنه (تات) وتعالج هذه الأقوال المواضيع الرئيسية التالية: التقوى وعبادة الخالق وان العبادة الحقيقية هي في التأمل وفي التفكير بالكون وإعجازه، وفي شكر الخالق، وان كل الموجودات في الكون متحركة، وان الجزء الحساس من النفس قابل للموت والفناء، ولكن الجزء المفكر منها غير قابل للموت.

ويقول هرمس في هذا الكتاب. بوحدة الزمن واستمراريته وإن الأفلاك تؤثر تأثيراً مباشراً على البشر بما في ذلك المجاعات والفيضانات والجائحات المرضية. وينسب إلى

---

(٣٧) انظر كتاب «هرمس مثلث العظمة» إعداد لويس مينارد ص ١، ١١٣ .

(٣٨) هو إله الحكمة والطب عند اليونان، وقد دخل الميتولوجيا المصرية كما هو واضح.

(٣٩) انظر كتاب «هرمس مثلث العظمة» إعداد وترجمة لويس مينارد ص ١١٣ ـ ١٧٧.

(٤٠) انظر كتاب «هرمس مثلث العظمة» إعداد وترجمة لويس مينارد ص ١٧٧ / ١٢١.

المذنبات ما يقع من أحداث خطيرة على الأرض. ويقول إن الروح لا يمكنها تحقيق السعادة ما دامت سجينة البدن، ولكن يمكن ذلك جزئياً بترويض الروح لئلاً تضل طريقها. ثم يتكلم على الحقيقة فيقول أن معرفتها مستحيلة على الإنسان لأنه غير كامل. ويختم كلامه بأن فهم طبيعة الاله متعذر على البشر، لأن الجسم لا يستطيع أن يفسر من لاجسم له، وغير الكامل لايستطيع فهم الكامل.[٤١]

__الملحقات__: هي ملحقات بالكتاب الرابع، وهي على أقسام، أولها يأتي بعنوان «من رسائل هرمس إلى امون» ويلي ذلك قسمان بعنوان «مقتطفات عامة» وقسم آخر بعنوان: تعاريف: «أسكليبيوس إلى الملك آمون» .

وقد ورد في هذه الملحقات شروح وتعليقات عن العناية الإلهية والقدر ويقول النص ان العناية الإلهية تطوف في السماء محاطة بآلهة للحركة، خالدة لا تتعب. ويقول ان الروح خالدة. ويتكلم على العناصر الأربعة فيصف النار بأنها العنصر الفعّال، والماء بأنه عنصر منفعل، ومن النار مع الماء تشكل التراب ومن هذه العملية نتج بخار هو الهواء. ويقول عن الشمس انها صورة الإله. فالإله خلق العالم ولكن الشمس تخلق الحيوانات وتنتج النباتات وتسيطر على السوائل. ويتكلم على الشياطين فيقول أن الشياطين هم ملائكة سيئون، خلقهم الإله لمعاقبة الناس المجردين من التقوى.[٤٢]

كتاب سر الخليقة وصنعة الطبيعة :

إن المجموعة الهرمسية التي تقدم الكلام عليها هي التي وصلتنا من مصر الهيلنستية من القرن الثاني قبل الميلاد (ولربما في منتصف القرن الأول ق . م)، وإن الكثير من علوم الأقدمين، وخاصة مايتعلق منها بالخصائص الخفية للنباتات والأحجار، والمعادن، وجدت

(٤١) المصدر نفسه ص ٢٢٥-٢٥٧ .

(٤٢) انظر كتاب «هرمس مثلث العظمة» إعداد وترجمة لويس مينارد ص ٢٥٧ / ٣٠٠.

تفسيراً لها في هذه المجموعة الهرمسية. وقد استند إليها براكلسوس في بعض آرائه ومفاهيمه، كما سبق أن رأينا.

على أن كتاباً كان من المفروض أن يدخل في نطاق الكتب الهرمسية، هو كتاب «سر الخليقة وصنعة الطبيعة» ولكنه لم يحظَ بذلك إلاّ في الأزمنة الحديثة.

وصلنا هذا الكتاب بنص عربي ، وهو منسوب لأبولونيوس التياني المتوفي حوالي عام ٩٧ بعد الميلاد. وفي مقدمة الكتاب يقول أبولونيوس:

«كان في بلدي تمثال من حجر متلون بألوان شتى، وقد أقيم على عمود من زجاج مكتوب عليه: أنا هرمس المثلث بالحكمة عملت هذه الآية جهاراً وحجبتها بحكمتي لئلا يصل إليها إلاّ حكيم مثلي. ومكتوب على صدر ذلك العمود: من أراد أن يعلم سرائر الخليقة وصنعة الطبيعة، فلينظر تحت رجلي» ثم يقول أبولونيوس:

«وكنت ضعيف الطبيعة لصغري، فلما قويت طبيعتي وقرأت ما كان مكتوباً على صدر التمثال، فطنت لما يقول، فحفرت تحت العمود، فإذا أنا بسرب مظلم.....فدخلت السرب، فإذا أنا بشيخ قاعد على كرسي من ذهب، وفي يده لوح من زبرجد، أخضر، ومكتوب في اللوح: هذا صنعة الطبيعة. وبين يديه كتاب مكتوب عليه: هذا سر الخليقة وعلم علل الأشياء. فأخذت الكتاب واللوح مطمئناً، ثم خرجت من السرب. فتعلمت من الكتاب سرائر الخليقة وأدركت من اللوح صنعة الطبيعة... وارتفع اسمي بالحكمة وعملت الطلسمات والعجائب.....فأنا واضع هذه الكتب لمن بعدي كما وضعها لي من كان قبلي.»[٤٣]

ولئن كانت المجموعة الهرمسية والواردة من مصر الهلنستية والتي تكلمنا عليها

---

(٤٣) انظر كتاب سر الخيقة وصنعة الطبيعة تحقيق أرسولا وايسر. طبع معهد التراث بجامعة حلب / ١٩٧٩ ص ٥ ـ ٧.

قبل قليل، قد حظيت باهتمام الكثير من العلماء قديماً وحديثاً فإن كتاب «سر الخليقة وصنعة الطبيعة» بقي في زوايا الإهمال، إلى أن نشر المستشرق الفرنسي سيلفستر دي ساسي عام ١٧٩٩ للميلاد ترجمة مشروحه للمقالة الأولى ولبعض أقسام منه مستنداً إلى مخطوط محفوظ في المكتبة الملكية بباريس (هي الآن المكتبة الوطنية).

وتلت ذلك فترة طويلة من عدم الإهتمام بهذا الكتاب، لاعتقاد المؤرخين بعدم أهميته على ما يبدو، إلى أن جاء العالم يوليوس روسكا، وهو من كبار الدارسين لتاريخ الكيمياء العربية، فلفت الأنظار عام ١٩٢٦ إلى الأهمية الكبيرة لهذا الكتاب في تاريخ الكيمياء والطب باعتباره أقدم كتاب ورد فيه ذكر «اللوح الزمردي لهرمس» ولأنه يسهم إسهاماً كبيراً في إغناء معلوماتنا عن تاريخ النظريات المتعلقة بعلم المعادن.

إن ما جاء في اللوح الزمردي، الوارد نصه في كتاب «سر الخليقة وصنعة الطبيعة» هو الذي أعطى، ولأول مرة، التعبير الصريح عن نظرية تشابه العالم الصغير (وهو الإنسان) مع العالم الكبير وهو الكون الفسيح، وهي النظرية التي كثر مؤيدوها وشارحوها، كما كثر الذين بنوا نظريات عليها وخاصة في مجالات العلوم الخفية والخيمياء، ومنهم براكلسوس كما رأينا.

اللوح الزمردي لهرمس مثلث العظمة أو المثلث بالحكمة:

النص، كما ورد في كتاب « سر الخليقة» هو التالي:

«حق لا شك فيه صحيح».

ان الأعلى من الأسفل والأسفل من الأعلى

عمل العجائب من واحد، كما كانت الأشياء كلها من واحد، بتدبير

واحد أبوه الشمس، أمه القمر،

حـــملته الريح في بطـنها، غذتـه الأرض،

أبو الطلسمات، خازن العجائب، كامل القوى،

نار صارت أرضاً، أعزل الأرض من النـــــار

اللطيف أكرم من الغليظ

برفق وحكم يصعد من الأرض إلى السماء وينزل إلى الأرض من السماء

وفيه قوة الأعلى والأسفل

لان معه نور الأنوار فلذلك تهرب منه الظلمة،

قوة القوى،

يغلب كل شيء لطيف، يدخل في كل شيء غليظ،

على تكوين العالم الأكبر تكوّن العمل

فهذا فخري ولذلك سميت هرمس المثلث بالحكمة»[44]

إن هذا النص لمضمون اللوح الزمردي يغلب عليه طابع الغموض المتعمد والطابع السحري الغيبي لإكسائه المهابة والجلال، وهو أمر نواجهه كثيراً في كتابات المهتمين بالعلوم الخفية Sciences Occultes وبالخيمياء حتى أن براكلسوس كان يلجأ إليه في بعض الأحيان. والغموض يأتي هنا من أن ضمير الغائب، في النص، تارة يعود إلى الإله وتارة يعود إلى الإنسان.

وقد وجدت ترجمة فرنسية لهذا النص، توخى فيه المترجم التخفيف من بعض الغموض مع الحفاظ على المعنى وأثبت فيما يلي هذه الترجمة باللغة العربية:

- الحقيقة التي لاتقبل الشك ان الأسفل يأتي من الأعلى وان الأعلى يأتي من الأسفل.

- كل شيء يأتي من واحد، ومنه تأتي كل العجائب وتأتي كل الموجودات من هذا الواحد

(٤٤) كتاب «سر الخليقة وصنعة الطبيعة» تحقيق ارسولا وايسر ص ٥٢٤ - ٥٢٥

بتدبير موحد.

- كم هي عجيبة علومه! هو رأس العالم حيث الشمس أبوه والقمر أمه حملته الريح في باطنها وقامت الأرض بتغذيته.
- هو أبو الطلسمات، وفاعل الأعاجيب، قواه كاملة وهو الذي يطلق الأنوار.
- النار أصبحت تراباً، فافصل التراب عن النار. واللطيف أكثر نبلاً من الكثيف.
- فهو (أي اللطيف) يصعد إلى السماء ببطء ورفق فيكتسب النور ثم يعود ويهبط إلى الأرض. ففيه قوة الأعلى والأسفل لأن فيه نور الأنوار، ولهذا تهرب منه الظلمات.
- وهو قوة القوى، يغلب كل شيء لطيف ويدخل في كل شيء كثيف.
- العالم الأصغر تكوّن على غرار تكوين العالم الأكبر.[٤٥]

أعود للقول إن براكلسوس بنى على نظرية العالم الأكبر والعالم الأصغر كثيراً من آرائه ومنطلقاته الطبية والعلاجية والكيميائية كما رأينا.

وإذا علمنا ان مؤرخي العلوم يرجحون نسبة كتاب «سر الخليقة» إلى عالم عربي عاش في فترة حكم الخليفة المأمون[٤٦] علمنا إلى أي مدى تأثر براكلسوس بالتراث العربي.

---

(٤٥) انظر كتاب «الخيمياء المتوسطية - اللوح الزمردي» تأليف C. E. Monod - Herzen منشورات Adyard باريس / ١٩٦٢ ص: ٧٤.

(٤٦) يرجى الرجوع إلى الفقرة (٨) من هذه الدراسة وهي بعنوان «نظرية الزئبق والكبريت والملح»

وقد الف في [illegible] الحكمة [illegible] الكيما [illegible]

كتابا مختصرا مفيدا لملك زمانه وهو يشتمل على

مقالتين فاردنا ان ننقله من اللاتينية الى العربية

ليكون عام النفع [illegible] [illegible] [illegible]

يعني الكيميا الملكية [illegible] [illegible]

اعلم ان معالجات الامراض منها ما هو كلي عام النفع

غير مختص بمرض و[illegible] [illegible] هو قطع

الاسباب الممرضة واصلاحها وتمييز الردي عن

الجيد وانت قد علمت ان الامراض منها ما هو

موروث ومنها ما هو عارض عن الاسباب

الظاهرة وهو تغير الاسباب الستة الضرورية

والمعالجات الكلية انواع فمنها ما يكون المطلوب

به حفظ اللسان الطبيعي وتقويته

ومنها ما يكون المطلوب به تمييز الردي

عن الجيد وهو متنوع الى امور متعددة فمنه

ما يكون بالقيء او بالاسهال او بالادرار

او بالعرق وبهذه المعالجة نعالج الامراض

الامراض الاربعة وبه الصرع والاستسقا

وامراض المفاصل والجذام وجميع الامراض

العارضة

مخطوط الكيمياء الملكية

من نسخة مكتبة الكونغرس (الولايات المتحدة) (غ)

المقالة الثانية

تحتوي هذه المقالة على سبعة فصول تتناول تركيب بدن الإنسان وأسباب الأمراض وطرق تشخيصها وعلاجها، وتبدو لنا في هذه المقالة الموضوعات الرئيسية التالية:

١ ـ القوى المسيرة للإنسان في حياته اليومية : (الفصل الأول)

آ ـ يقول ابن سلوم نقلاً عن براكلسوس أن للإنسان جسماً ظاهراً هو الجسد بكافة أعضائه وأجهزته، وجسماً خفياً غير ظاهر للحس هو النفس، وبين الجسد والنفس روح هي «كالآلة للنفس في ظهور أفعالها وايصال الحياة إلى البدن»، ويقول عن النفس أنها من طبيعة إلهية وفيها من النور الإلهي الذي هو مبدأ النبوة والإلهام.

ومن الواضح أن هذا القول يقوم على أسس فلسفية فيها من فلسفة أرسطو وأفلاطون والفارابي وابن سينا ولكن بتعابيرغير دقيقة.

ب ـ ويقول ان في الإنسان ثلاث قوى:

ـ الأولى: وهي «القوة الطبيعية ومحلها الكبد ومنها تغذية البدن وتنميته وهذه القوة من الملح الأصلي. وهو الحافظ للحيوان والمنمي له».

ـ الثانية: وهي «القوة الحيوانية ومحلها القلب وبها حياة البدن، وهي من الكبريت الأصلي».

ـ الثالثة: وهي «القوة النفسانية ومحلها الدماغ ومنها الحس والإدراك الظاهر

والباطن. وهي من الزئبق الاصلي الروحاني».

وهذا يعني أن براكلسوس عاد إلى ذكر نظرية الزئبق والكبريت والملح فبعد أن كان يعتبر هذه الأوليات الثلاث عناصر لابد من توازنها في الجسم لتحقيق صحة الإنسان، عاد ليربط هذه الأوليات بالقوى الحياتية للإنسان، فقال إن القوة الطبيعية من الملح الأصلي والقوة الحيوانية من الكبريت الأصلي.والقوة النفسانية من الزئبق الأصلي. ولم أفهم ماذا يقصد براكلسوس بكلمة «الأصلي» التي وصف بها كلاً من هذه العناصر، فهل يقصد ذلك المعدن المعروف بشكله المجسد مما هو موجود فعلاً في جسم الإنسان، أم أنه قصد معنى آخر ذا مفهوم غيبي افتراضي.

٢ـ أسباب الأمراض: (الفصل الثاني)

يوسع هنا براكلسوس نطاق مفهوم نظرية الزئبق والكبريت والملح، فيقول:

«اعلم أنه لما كان أصل جميع الأشياء عندهم ثلاثة هي الزئبق والكبريت والملح، ناسب أن تكون أصول الأمراض عندهم ثلاثة أيضاً، وإنما تنوعت الأمراض لعوارض التركيب والتغيير وزيادة بعضها على بعض...»

أي أن تنوع الأمراض ينتج عن التغيرات العديدة التي تطرأ على النسب الطبيعية لهذه الأصول الثلاثة، ويستطرد فيقول «وإن ذلك يكون لكثرة استعمال الأغذية الموافقة وغير الموافقة، ولأسباب سماوية أخرى مؤثرة في تحريك الأمراض وأدوار الحميات في زمان معين، كالشمس والقمر والنجوم الأخرى».

ويستنتج من ذلك، أن الأمراض تكون كبريتية أو زئبقية أو ملحية حسب الأصل الغالب فيها وذلك بالتفصيل التالي:

الكبريت: إذا عرضت له حرارة غريبة انتشر بخاره في البدن على ضروب مختلفة فأوجب الحميات والأورام الفلغمونية وبعض الأمراض الجلدية».

الزئبق: «إذا عرضت له حرارة طابخة، صعد بالطبخ ونزل فتولد من ذلك أنواع النوازل والسكتة والفالج وما أشبه ذلك، فإن عرضت له حرارة قوية صعد إلى الهامة وتولدت منه الأمراض الدماغية الحادة» وقد عدد من هذه الأمراض التهاب الدماغ والهوس.

الملح: «وأما الامراض العارضة من الملح فكثيرة لا تحصى فبانحلال الملح وحبسه للماء يعرض الإسهال والإستسقاء، «وغير ذلك من الأمراض السهلانية»، وباحتراق الملح يحدث الجرب والحكة والقوباء والقروح الرديئة والسرطان والحب الإفرنجي وداء الثعلب. وبانعقاده تحدث الثآليل والغدد والنقرس، وبتبخره يعرض العرق المنتن وصنان الإبطين وما أشبه ذلك، فإن كان مع البخار كبريتية عرض من ذلك الحمى الدقية».

٣ ـ أسباب حدوث الأمراض: (الفصل الثالث)

أورد ابن سلوم نقلاً عن براكلسوس أسباب حدوث الأمراض، بأسلوب جميل هو ما نسميه (بالأسلوب المقارن) فقد ذكر آلية العمليات الغريزية في الحالات الطبيعية، ثم ذكر انحرافات هذه العمليات الطبيعية وربطها بالأمراض.

آ ـ الآلية الطبيعية للأفعال الحيوية الإنسانية:

يقول أن ما يؤكل ويشرب يهضم في المعدة، ويعتبر المأكول والمشروب بعد خروجه من المعدة منهضماً، فيأخذ الجسم ما يستطيع تمثله كمرحلة أولى، وأما ما يتبقى من فضلات غير ممتصّة من قبل الجسم فيكون مؤلفاً من الزئبق والكبريت والملح. «فالملح تدفعه

الطبيعة عن طريق البول، والزئبق من المسامات، والكبريت من الأمعاء..فالمعدة آلة لتفريق أجزاء الغذاء وتحليله كآلة الكيمياء، فإذاكانت المعدة قوية والقوة المميزة لها قوية أيضاً، اندفع الغذاء (المنهضم) إلى الأعضاء خالصاً من الفضول» .

ويتابع قائلاً: «وإذا كانت المعدة ضعيفة، والقوة المميزة لها غير كاملة التمييز. اندفع مع الغذاء الخارج من المعدة فضول غير صالحة للتغذية». فتذهب تلك الفضول إلى الكبد لتنهضم هضماً ثانياً فمنها مايعود صالحاً للإمتصاص من قبل الجسم ومنها ما يندفع بولاً عن طريق الكلية. وفي حال قصور في وظيفة الكبد، فإن ما ينطرح عن طريق البول يكون مصاحباً لبعض الأخلاط اللزجة.

ب ـ آلية الأمراض:

يقول براكلسوس «وإن كان أحد هذه الأعضاء، ضعيفاً صحب الطرطير الغذاء ولم يندفع عنه» ويقصد بالعضو الضعيف، ذلك الذي فيه قصور كبير في وظيفته الغريزية. فهذا الطرطير الذي لازم الغذاء، ولم يندفع عنه بنتيجة عمليات الهضم غير السليمة، هو السبب في الأمراض. وأما تنوع المرض فيكون بما يغلب على طبيعته من زئبق أو كبريت أو ملح وبنسب مختلفة.

وهذا يعني بمفهوم براكلسوس أ ن خلط الطرطير غير المنطرح عن الجسم هو المسؤول الأول عن حدوث الأمراض.

٤ ـ خلط الطرطير:

يذكر ابن سلوم نقلاً عن كتاب براغناني لبراكلسوس، إن الطرطير المتولد في البدن من الأغذية والأشربة، قد يكون بسبب قصور وظائف أجهزة الهضم، وقد يكون بسبب استعداد وراثي.

ويقول أن خلط الطرطير أربعة أنواع، تناسب العناصر الأربعة التي تتألف منها موجودات العالم الأرضي. هذه العناصر هي التراب، والماء، والنار، والهواء. وعلى هذا تكون أنواع الطرطير كما يلي:

- الأول: «الطرطير الكائن عن النباتات الأرضية» والصلة هنا بعنصر التراب.

- الثاني: «الطرطير الكائن عن الماء المشروب وما يتولد عنه من الأسماك والسرطانات والأصداف» والصلة هنا بعنصر الماء.

- الثالث: «الطرطير الكائن عن لحوم الحيوانات والطيور» والصلة هنا، كما يبدو، بعنصر النار بسبب ما في هذه الكائنات من حرارة غريزية يسميها براكلسوس بالحرارة الحيوانية ويعتبرها مقابلة للحرارة التي في الشمس في العالم الأكبر.

- الرابع: «الطرطير الكائن عن الهواء المستنشق إذا صاحبته أبخرة رديئة وأبخرة كبريتية» والصلة هنا بعنصر الهواء.

ولإكمال نظريته، فإن براكلسوس يقول ان كل نوع من هذه الأنواع الأربعة للطرطير، يغلب عليه واحد من الأصول الثلاثة التي هي الزئبق والكبريت والملح.

وفيما عدا تقسيمه خلط الطرطير إلى أربعة أنواع تقابل العناصر الأربعة، وفيما عدا علاقة ذلك بالأصول الثلاثة، فإن براكلسوس يطالعنا بنظرية غريبة إذ يعتبر ان لكل عضو من أعضاء الجسم طرطيراً خاصاً به، وهذا ما نستنتجه من قوله:

«واعلم أن في الطرطير المذكور يوجد ما يشابه الأعضاء»

وينتهي إلى القول أن الطبيب الخبير في صنعته، يستطيع أن يعلم من فحص البول (القارورة) ما يلي:

آ ـ نوع الطرطير: أهو ترابي أو ناري أو هوائي أو مائي.

ب ـ الأصل الغالب فيه: أهو زئبق أو كبريت أو ملح.

جـ ـ من أي عضو مريض من أعضاء الجسم تسبب وجود هذا الطرطير.

وقد يكون لأسلوبه العجيب في فحص البول صلة بما يدعيه من الحصول على كل هذه المعلومات، فهو من أجل فحص البول، يوصي بعمل قارورة على هيئة جسم الإنسان (كما سنرى ذلك بعد قليل) يضع داخلها بول المريض، ويقوم بتعيين نوع الطرطير والأصل الغالب فيه من لون راسبه وقوامه ورائحته. وأما تعيين العضو المريض فيكون بمطابقة مستوى الراسب في القارورة مع العضو الذي يجسده هيكل تلك القارورة في ذلك المستوى باعتبار أنها مصممة على هيئة جسم الإنسان.

ويبدو أن اعتماد براكلسوس على قارورة لفحص البول على هيئة إنسان، له صلة وثيقة بنظرية العالم الأكبر والعالم الأصغر، فصّور العالم الأصغر في شكل قارورة زجاجية، وقرأ فيها دلالات العالم الأكبر المنعكسة على المريض بما حصل في البول من رواسب وألوان.

ومن الجدير بالذكر أن براكلسوس يعلن نظريته هذه، في خلط الطرطير، بكثير من التفاخر حينما يقول: «ومن الطرطير[٤٧] تتولد أنواع الأمراض.... وجميع المتقدمين لم يدركوا هذا المعنى، فلهذا عجزوا عن معالجة هذه الأمراض» ويلتفت إلى أنصار الطب

(٤٧) قد تكون فكرة الطرطيرووردت إلى براكلسوس من الطرطير (أو الدردي) الذي يبقى راسباً في دنان الخمر حين صنع النبيذ. فاعتبره براكلسوس من المخلفات التي لم تنهضم بعملية التخمير. وربما اعتبر هذا الطرطير سبباً في افساد الخمر إذا تعرض لبعض العوامل، لاسيما وان فساد الخمر كان كثير الحدوث ولم تكشف أسبابه إلا من قبل العالم الفرنسي باستور في القرن التاسع عشر للميلاد. وعلى كل فالطرطير هو مادة افتراضية شأنها في ذلك شأن الأصول الثلاثة أي شأن الزئبق والكبريت والملح والتي ربطها أيضاً بنظريته في خلط الطرطير.

الجالينوسي فيقول: «أما أتباع جالينوس، فلما لم يعرفوا هذا المعنى قالوا إن الأمراض متولدة عن الصفراء والسوداء والبلغم والدم، وهذه الأسماء تطلق على هذه الأخلاط الاربعة ، وفي هذه المذكورات طرطير يكون عنه المرض، لا عن السوداء والبلغم والصفراء والدم. ومن لم يعرف حقيقة ما يكون عنه المرض، كيف يعالج المرضى، مع أن العلاج هو قطع السبب».

وهذا يعني أنه يهاجم نظرية الأخلاط التقليدية التي كان يسير عليها أطباء عصره، والأطباء الذين سبقوه بأكثر من ألفي عام.

٥ ـ نظرية الأخـــلاط :

كان الأطباء منذ عهد أبقراط [٤٨] في القرن الخامس قبل الميلاد يعتقدون أن في جسم الإنسان أربعة أخلاط تسيطر على صحة الإنسان ومرضه، وهي:

المرة السوداء ، المرة الصفراء ، الدم ، البلغم .

وكانوا يقولون ان المرة السوداء [٤٩] يفرزها الطحال، وإن المرة الصفراء تفرزها المرارة، وأما الدم والبلغم فهما مشاهدان حسيا.

وكانوا يعتقدون أن هذه الأخلاط تكون متوازنة في الحالة الطبيعية لجسم الإنسان، ومتى اختل توازنها حدثت الأمراض.

وقد وصلت هذه النظرية إلى الغرب عن طريق مؤلفات جالينوس [٥٠] فبنوا معالجاتهم وتشخيصهم على أساس هذه الأخلاط.

---

(٤٨) أبقراط هو من أشهر الأطباء في العهود القديمة ولد حوالي ٤٦٠ ق.م وتوفي حوالي ٣٧٧ ق.م.

(٤٩) المرة السوداء Atrabile : خلط افتراضي منشؤه الطحال يسيطر على الجهاز العصبي ومنه اشتقّ تعبير : الطبع السوداوي للدلالة على أعراض بعض الأمراض العصبية.

(٥٠) جالينوس: طبيب إغريقي ولد حوالي عام ١٣١م وتوفي حوالي عام ٢٠١ للميلاد.

بقيت هذه النظرية مسيطرة على الطب التقليدي القديم بدون أي معارض لها حتى القرن السادس عشر، حينما ظهر براكلسوس وأنصاره يهاجمونها بلا هوادة.

ولئن وجدنا قبل قليل ابن سلوم ينقل عن كتاب براغناني لبراكلسوس، انتقاد هذا الأخير لنظرية الأخلاط هذه وإيمانه بعدم جدواها، فقد كان ابن سلوم ملتزماً الموضوعية التاريخية فيما نقل. وأما ماجاء، حقيقة في ذلك الكتاب، فيتضمن هجوماً مقذعاً، يخلو من التهذيب ومن أبسط قواعد اللياقة، على كل أطباء عصره المؤمنين بنظرية الأخلاط هذه، فقد نعتهم بالجهلة، وقال إن رباط حذائه أكثر إطلاعاً وعلماً بالطب من جالينوس وابن سينا، وإن شعر لحيته أكثر علماً من كل مدارسهم الطبية، ثم توجه إليهم قائلاً:

«إن ماترددونه من أن أبويكم في الطب هما جالينوس وابن سينا، إنما هو اعتقاد تافه، فإن صخور الحقيقة ستسحقهما وستخلق السماء في المستقبل الأطباء الحقيقيين المؤمنين بنظرية براكلسوس فينتصر الطب الصحيح على أيديهم»[٥١].

إن نظرية الأخلاط التقليدية، التي كان قد مضى على سيطرتها في عهد براكلسوس حوالي ألفي عام، كانت أقوى من أن يستطيع براكلسوس تحطيمها، إلاّ أنه كان أول من وقف في وجهها يسانده في ذلك عدد من المريدين والأنصار.

ذلك أن نظرية الأخلاط التقليدية القديمة بقيت على نفوذها حتى أواخر القرن الثامن عشر، وللدلالة على ذلك أورد الحادثة التالية:

في السنة الأخيرة من القرن الثامن عشر، وبالتحديد عام ١٧٩٩ للميلاد، شعر جورج واشنطن، أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية، بآلام شديدة في حلقه وحنجرته

---

(٥١) انظر كتاب «مؤلفات براكلسوس الطبية» بالفرنسية، إعداد برنارد كورسيكي B . Gorceix طبع مطابع فرنسا الجامعية / ١٩٦٨/ ص/ ٣٩.

بعد عودته من جولة على ضفاف نهر البوتوماك في جو عاصف. ويبدو من الأعراض التي كان يشكو منها جورج واشنطن، ان المرض قد يكون التهاباً بالمكورات العنقودية، أو بعصيات الدفتريا (الخناق). وقد وصف له أطباؤه غراغر من الخل السكري والشاي، كما وضعوا الذرانيخ Cantharides على رقبته لتنفيط جلدها، والجدير بالذكر أن الأطباء فصدوه أربع مرات أخرجوا فيها كميات كبيرة من دمه، كما أعطي مسهلاً شديداً. ولو تخلّص جورج واشنطن من مرضه آنذاك لقلنا، نحن اليوم، إنه شفي رغماً عن المعالجة، ولكنه توفي في الرابع عشر من كانون الأول ١٧٩٩. فالتنفيط بالذرانيخ، والمسهلات، والفصد المتكرر، كل ذلك كان لإخراج الأخلاط الضارة التي كان يُعزى إليها منذ أيام بقراط وجالينوس حدوث الأمراض(٥٢).

إن نظرية الأخلاط هذه، لم تنحسر نهائياً إلاّ بعد اكتشاف الجراثيم والطفيليات ودورها في إحداث الأمراض. وذلك في القرن التاسع عشر، وخاصة على يد العالم الفرنسي باستور (١٨٢٢ - ١٨٩٩م) والعالم الألماني كوخ (١٨٤٣ - ١٩١٠م)(٥٣). وبانحسار نظرية الأخلاط التقليدية عن الساحة الطبية، انحسرت معها أيضاً نظرية الطرطير الخاصة ببراكلسوس. ولئن بقي حتى الآن لنظرية الأخلاط بعض الأنصار القلائل، بشكل أو بآخر، فلم يبق لنظرية الطرطير البراكلسوسية أي نصير.

٦ - تشخيص الأمراض:

يورد المؤلف بعض الأساليب التشخيصية مستنداً إلى جسّ النبض وفحص البول:

---

(٥٢) انظر كتاب «التفاعلات العكسية للأدوية Adverse Reactions to Drugs» تأليف O . L . WADE وليندا بيلي Linda Beely منشورات : وليام هاينمان William Heinemann ، الطبعة الثانية، لندن / ١٩٧٦ ص: ١ -٢ .

(٥٣) انظر كتاب « قصة الميكروب » للدكتور بول دي كرويف P aul de Kruif ترجمة الدكتور أحمد زكي - منشورات مجلة الرسالة ، القاهرة / ١٩٣٨.

آ ـ **النبض ودلالاته**: (الفصل الرابع)

يرى المؤلف أن النبض ميزان المزاج.

ويرى أن للنبض سبعة مواضع يمكن الإستناد إليها في التشخيص:

«اثنان في الرجلين أحدهما لكوكب زحل والثاني للمشتري»

«اثنان في العنق يميناً ويساراً أحدهما للزهرة والثاني للمريخ»

«اثنان في الصدغين أحدهما للقمر والثاني لعطارد»

«ونبض آخر في الطرف الأيسر، قريب من القلب منسوب إلى الشمس».

ومن هذه المواضع، يعرف العضو المريض من الأعضاء السبعة الرئيسية في الإنسان، وقد سبق أن ذكر براكلسوس نسبتها إلى الكواكب السبعة حينما قال:

الطحـــال منسوب إلى زحـــل

والكبـــد منســوب إلى المشــتري

والجهاز التناسلي منسوب إلى الزهرة

والمرارة إلـــى المريـــخ

والدمـــاغ إلـــى القمـــر

والرئـــة إلـــى عطـــارد

والقلـــب إلـــى الشمـــس

ويذكر لنا **طريقة فحص النبض فيقول**:

١ ـ عندما يكون العضو المريض معروفاً، فيجب تفقد النبض القريب من ذلك العضو. واما في الأمراض العظيمة التي تعم أجزاء كثيرة من البدن فيجب تفقد أحوال النبض في مواضع متعددة.

٢ - وعندما لايكون العضو المريض محدداً، فإن معرفته ممكنة من موضع النبض وعلاقته بالكوكب الخاص به. وبواسطة معرفة الكوكب يمكن الإستدلال على العضو.

٣ - إذا كان المرض مرافقاً لارتفاع في حرارة الجسم، ينبغي قبل جسّ العرق أن توضع يد العليل أو رجله في الماء البارد، أو يبرّد العرق بخرقة مبلولة بماء بارد، ثم يجس العرق ويحكم. أما إذا كان المرض بارداً فيستعمل الماء الحار، ثم يجس العرق.

٤ - يجب أن يتم فحص النبض «عند سكون العليل عن الحركات البدنية والنفسانية».

ويصف لنا براكلسوس دلالات النبض المرضية فيقول:

١ - يكون النبض سريعاً في الأمراض الكبريتية. إلاّ أنه لم يذكر شيئاً عن صلة الأمراض الزئبقية والملحية بحركة النبض.

٢ - إذا كان المرض مرافقاً لارتفاع في درجة حرارة المريض، والنبض ضعيف الحركة، فهذا يدل على وجود ما يسد نفوذ الروح الحيواني في الجسم.

٣ - إذا كان المرض بدون ارتفاع في الحرارة، يكون النبض بطيء الحركة إلاّ أن قوته ليست ضعيفة. وإذا كانت قوته ضعيفة، كانت هناك «سدّة تمنع نفوذ الروح».

ويختم ابن سلوم كلامه عن النبض مشيراً إلى أنه استقى هذه المعلومات من كتاب أوبورين لبراكلسوس، ويقول إن في هذا الكتاب تفاصيل وافية عن هذه المعلومات.

ب ـ **البول ودلالاته** : (الفصل الخامس)

يعرّف المؤلف البول «بأنه ملح فارق الغذاء»

ويميز بين ثلاثة أنواع من البول :

- البول الذي يكون من «المأكل والمشرب» ويكون خروجه دالاً على صحة الكبد والمعدة والكلى، ويسميه المؤلف : **البول الوارد من الخارج.**

- البول الذي يكون بسبب الأمراض أو سوء المزاج، ويسميه **بالبول الوارد من الداخل** .

- البول الذي يكون **من الداخل والخارج معاً**، وهو يدل على الصحة والمرض في آن واحد.

طبيعة البـــول:

يقول المؤلف إن محتوى القارورة مؤلف من ثلاثة أقسام، مرتبطة بالأصول الثلاثة وهي الزئبق والكبريت والملح :

فالراسب المتوضع في أسفل القارورة هو من أصل زئبقي

ومايطفو على سطح البول في أعلى القارورة هو من أصل ملحي

أما لون البول فيكون من أصل كبريتـــــــــــــــــــي

وإذا كان لون البول بلورياً فإنه لايدل على شيء، أما إذا كان ياقوتياً فتكون زيادة الأصل الكبريتي أو قلته حسب شدة اللون أو ضعفه، وفي كل الأحوال يكون مختلطاً بالزئبق والملح.

الإستدلال من القارورة على المنطقة المريضة:

- إذا كان الراسب طافياً على سطح البول في القارورة، دلّ على أن المرض في الدماغ، على الأغلب.

- وإن كان الراسب معلقاً وسط القارورة، دلّ ذلك على أن المرض متوضع في واحد أو أكثر من أجهزة الجسم في وسط البدن، كالقلب والرئة والمعدة والكبد والطحال.

- وإن كان الراسب متوضعاً في أسفل القارورة، دلّ على أن المرض في مكان ما من القسم الأسفل من البدن كالكلى والمثانة والورك والرجلين.

وحرصاً من براكلسوس على الدقة في التشخيص، فإن خياله الخصيب قاده إلى اقتراح، يبدو لنا اليوم كثير الطرافة، «هو أن تصنع القارورة من الزجاج على صورة إنسان مجوف، تملأ بالبول وتوضع في رمل حار حتى يبدأ صعود البول وحركته، وتعلم من صعوده وحركته من أي عضو هو وعلى أي عضو يدل، ثم تبرده وتنظر فيه». !!!

الإستدلال على نوع المرض من القارورة :

- «في الحميات الوبائية، وفي حالات الإنسمام يكون البول في القارورة بلون الزرنيخ أو كلون الزنجار».

- وفي حالات الإنسمام بمواد زرنيخية، «يصير الراسب في آخر القارورة كالنوره[٥٤]».

وبعد أن يورد المؤلف هذه المدلولات التي يشير إليها فحص البول يقول:

«وإذا علمت هذه العلامات والدلائل، وعلمت الأسباب، قدرت على العلاج».

وفي هذه الجملة يوضح أن فحص البول يعطي دلالات وعلامات فقط، وأما العلاج فيقتضي معرفة أسباب المرض. ومثل هذه المعرفة، كما رأينا، أمر معقد يمت بصلات الكواكب والنجوم بأجهزة الجسم وبالمعادن والأدوية وبأمور أخرى سبق أن تكلمنا على خطوطها الرئيسية.

---

(٥٤) النورة: معناها بالأصل حجر الكلس ثم أطلقت هذه التسمية على مواد تضاف إلى الكلس من زرنيخ وغيره (القاموس المنجد، الطبعة ٢٣).

٧ ـ معرفة أسباب فترات ظهور المرض وتناوبه: (الفصل السادس)

يقول المؤلف أن مابين وجود سبب المرض، وظهوره، فترة تطول وتقصر بحسب نوع المرض، كما أن المرض قد يأتي متناوباً أو مستمراً. ويقول:

«إن الأطباء لم يعلموا السر في ذلك، فنسبه بعضهم إلى حركات القمر ونسبه بعض إلى القوة الدافعة ونسبه بعض إلى الأعداد».(٥٥)

ويوضح المؤلف هذا السر بقوله:

«كما أن للنبات وقتاً معيناً لنموه وظهور زهره وثمره ، وكما أن للحيوان زمناً معيناً لولادته، فإن للأمراض بذوراً وأصولاً تتولد منها وأن لتوالدها مدة محددة وذلك حسب صورها النوعية».

وهذا يعني أن المؤلف يعتقد أن لكل مرض دور حضانة يستغرق مدة محدودة ريثما يستكمل أسباب ظهوره. وهو أمر معترف به حالياً بالنسبة للأمراض الجرثومية بشكل خاص. إلاّ أن براكلسوس يطلق هذه القاعدة على كل الأمراض، ويقول أنها مسبَّبة من بذور لها، سواء أكانت هذه الأمراض متوارثة أم عارضة.

ويحاول الدخول في تحديد مدة الحضانة هذه فيقول:

«وأما بذور الأمراض الحادثة عمّا يؤكل ويشرب فهي سريعة النبات والنمو، وأسهل علاجاً من المتوارث».

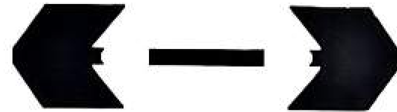
ويقول: إن بذور المرض في المعدة أسرع ظهوراً وتكاملاً منها في الكلية. وفي الكبد أسرع من حال وجودها في الكلية. وهكذا فإن مدة استكمال نمو البذور لظهور المرض، تتعلق بالعضو الذي يحل فيه البذر.

---

(٥٥) لهذا التعليل أصل فلسفي، ذلك أن مدرسة فيثاغوراس الفلسفية تقول أن كل ما في الكون هو عدد ونغم.

ويعلل الأمراض المستمرة والمتناوبة بقوله:

«وإذا تشـابهت أصـول المرض وبذوره، تتـابع ظهـوره ودام حصـوله أولاً بأول، فـيـدوم بذلك ولاينقطع. وإنْ لم تتشابه الأصول انقطع ولم يدم».



المقالة الثالثة

تتضمن هذه المقالة ثلاثة فصول، يعالج فيها المؤلف بشكل رئيسي:
نظرية الإشارات، وأهمية الكيمياء في الطب .

١ ـ نظرية الإشارات: Theorie des Signatures

ويسميها البعض «نظرية السمات» ويبدو أنها انبثقت من أساس ديني. ومفاد هذه النظرية أن العالم الأرضي بكل موجوداته، معرّض كما سبق القول، إلى الفساد والتحول والتكون. وبالنسبة للإنسان، فهو معرّض، بإرادة إلهية، إلى الأمراض. إلاّ أن هذه الإرادة شاءت أن تخلق أشياء تتميز بقدرتها على شفاء أمراض الإنسان والتخفيف من آلامه.

وتقول النظرية إن الإنسان، ليستطيع الإستدلال على منافع هذه الأشياء جعل الله لها أشكالاً وطعوماً وروائح وألوانا تكون بمثابة إشارات دالة على خصائصها العلاجية.

ومدرسة براكلسوس تولي هذه النظرية أهمية خاصة، حتى أن التلميذ البارز في هذه المدرسة، وهو العالم الألماني كروлليوس (وقد سبق التعريف به) ألف كتاباً خاصاً في هذا المجال باسم: «كتاب الإشارات»[٥٦] يقول فيه: «لايوجد في الطبيعة شيء لايفيد استعماله في الطب».

---

(٥٦) هو كتاب Traité des Signatures ou Vraie et Vive Anatomie du Grand et Petit Monde . منشورات Sibastiani ميلانو / إيطاليا ١٩٧٦ . وهو ترجمة للأصل اللاتيني. وأول طبعة من هذا الكتاب باللاتينية تمت عام ١٦٠٩ م أي في عام وفاة المؤلف.

آ ـ **الإستدلال على النباتات المفيدة لأخلاط الجسم:**

المقصود هنا بكلمة الأخلاط: الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء وهي التي بنى عليها الأطباء الأقدمون نظريتهم في مسؤولية هذه الأخلاط عن كل مرض يصيب الإنسان، وقد سبق الكلام على ذلك.

هاجم براكلسوس، كما رأينا، نظرية الأخلاط هذه، وهاجم من يعتقد أن الأخلاط هي سبب حدوث الأمراض، إلاّ أنه لم ينكر وجودها في جسم الإنسان، واعتبرها سوائل أو مفرزات يتضمنها البدن، وتتعرض هي للأمراض ولكنها لاتسبب الأمراض. ومن منطلق إيمان براكلسوس بنظرية الإشارات، وهي مشتقة بالأصل من التوافق مابين العالم الأكبر والعالم الأصغر، فهو يرى أن بعض الإشارات يمكن أن تدل على فائدة دواء ما لعلاج مرض معين. وعلى هذا الأساس فهو ينسب إلى كل من هذه الأخلاط بعض الأدوية النباتية المناسبة له، وذلك كما يلي:

١ ـ «والأدوية المنسوبة إلى الدم منها القرنفل البستاني، والورد، والفاوانيا، وفوة الصباغين والشاهترج والبنفسج والصندل الأحمر....».

وهنا الإشارة ترتكز على اللون. فلون الدم أحمر، ولما كان لون الورد، مثلاً أحمر، فلا بد انه يفيد في أمراض الدم.

٢ ـ «والأدوية المنسوبة إلى الصفراء فمنها الراوند والأهليلج الأصفر، وزهر الخيري، والزعفران، والأترج....».

والإشارة هنا تعتمد على اللون أيضاً، فهذه النباتات الصفراء تفيد في جميع الأمراض الصفراوية، كما يقول المؤلف.

٣ ـ «والأدوية المنسوبة إلى السوداء، منها الأدوية التي لونها أسود، وطعمها عفص

كالبسفايج والخربق الأسود والأسرون.....».

والإشارة هنا أيضاً تقوم على اللون. «فالخربق الأسود يخرج جميع أنواع السوداء وينفع جميع أمراضها».

٤ ـ «والأدوية المنسوبة إلى البلغم هي كشحم الحنظل، والفاريقون وقثاء الحمار، والحلبوب...».

والمشابهة هنا هي في قوام بنية هذه النباتات ولونها أيضاً.

ب ـ الاستدلال بالإشارات على مجالات علاجية مختلفة :

١ـ «وقالوا كل ماله رأس، ينفع الرأس كالفاونيا فإنها تنفع جميع أمراض الرأس، وكذلك الخشخاش والنيلوفر...».

٢ـ «والأدوية التي تشابه الشعر، تنفع الشعر. ومن ذلك البرشاوشان والقيصوم والأشنة...».

٣ـ «والأدوية المناسبة للّسان: لسان الثور ولسان الكلب ولسان العصفور».

٤ـ «والأدوية المناسبة للأورام والبثور هي الأدوية المستديرة الأصول كبخور مريم ولوف الحية والفاريقون...».

٥ـ «والأدوية التي في أوراقها نقط أو خشونة، تنفع الجرب والحكة والقوباء، كالحماض والبسفايج والإبهل».

٦ـ «والأدوية التي فيها مشابهة لحيوان، تنفع من نهش ذلك الحيوان، ومن ذلك لوف الحية

فإنه ينفع من نهش الأفاعي.. وكذلك حشيشة العقرب تنفع من لدغته... وبزر قطونا يقتل البراغيث».

وهكذا فالنباتات اللعابية اللزجة والصمغية تنفع الجروح المتقيحة والقروح كالخطمي، والدبق، والكندر، والمصطكي وصمغ البطم الخ...

على أن المؤلف بعد أن قدم أمثلة على نظرية الإشارات، لم ينسَ أن يذكّر أن تلك الإشارات لاتعدو أن تعطينا دلالات على خواص بعض النباتات من بعض أوصافها الظاهرة، إلاّ أن معرفة هذه الدلالات الظاهرية ربما لاتكفي لربط فائدة النبات بالمرض أو بالعضو المريض. فلا بد من الإستئناس بالخصائص الباطنية للدواء خصوصاً فيما يتعلق بأصوله الثلاثة وهي الملح والزئبق والكبريت. ويقول ان الربط بين جميع هذه المعلومات، واستخلاص النتائج الصحيحة منها، تتطلب اطلاعاً واسعاً وخبرة وتجربة.

٢- دور الكيمياء في تحضير الأدوية :

يقول المؤلف «إن الله خلق جميع الأشياء في عالمنا الأرضي لصالح الإنسان وحفظ صحته وإزالة مرضه، إلا أن أكثر هذه الأشياء لاتصلح بشكلها الطبيعي للمداواة وذلك لأسباب منها أن كثيراً من الأدوية «لاينفذ في البدن لكثرة أرضيته وغلظه وتلزز أجزائه»، كما أن كثيراً منها لايخلو من آثار سمية ضارة إلى جانب فوائده العلاجية.

ولذا فهو يقول بضرورة معالجة هذه المواد لتكون نافعة وعديمة السمية، ويلخص ذلك بجملة مختصرة ولكنها معبرة:

«فلهذا احتيج إلي تفريق الضار عن النافع، وتلطيف الغليظ، وترقيقه، وهذا إنما يكون بالصناعة».

والصناعة التي يقصدها هنا هي صناعة الكيمياء. ويعطي براكلسوس أهمية كبرى لما تستطيع أن تقوم به الكيمياء في العلوم الطبيعية والطبية. فهو يقول في الفصل السابع من المقالة الثانية:

«المالك لصناعة الكيمياء يقدر على جعل الشجرة غير المثمرة مثمرة، ويقدر على أن يجعل الشجرة التي تؤتي ثمرها في السنة مرة بحيث تؤتي به مرات متعددة، ويقدر أن يجعل الصيف شتاءً والشتاء صيفاً، ويقدر على أن يخرج من الفاسد صالحاً، ويقدر على تبديل ا لنوع وقلبه، ويخرج من المر حلواً.....».

وقد خصص براكلسوس في كتابه المسمى باراغرانوم فصلاً كبيراً عن الكيمياء وما تستطيع أداءه في تغيير كيفيات المواد لتكون قابلة لشفاء المرضى. ونحن إذا رجعنا إلى هذا الكتاب مباشرة، ولديّ منه نسخة مترجمة إلى الفرنسية، وجدنا فيه شروحاً عن مهمة الكيمياء، منها ما يدخل في نطاق الغيبيات كاعتقاده بأن مهمة الكيميائي الحقيقي هي في أن يطور في تركيب المادة التي قدمتها لنا الطبيعة بما يظهر خصائصها السرية التي تضمن انسجام العضو المريض مع الكوكب السماوي المقابل له.على أن هنالك شروحاً، عن مهمة الكيمياء في تحضيرها للمواد العلاجية، واضحة ومعبرة، ويوردها في لوحات فنية جميلة. فمثلاً يقول براكلسوس في هذا الكتاب ماترجمته:

«إذا لم تكن معلومات الطبيب الكيميائية عميقة، وخبرته فيها كبيرة، فإن كل فنه الطبي لاقيمة له. فالطبيعة لاتعطينا، في الغالب، أشياء منجزة، جاهزة للإستفادة منها بالشكل المطلوب. وإن علينا، بواسطة الكيمياء، أن نكمل عمل الطبيعة. فالكيميائي هو الخباز الذي يجعل من القمح خبزاً يقتات به الناس، وهو الناسج الذي يحيك الخيوط أمام

نوله ليقدم المنسوجات اللازمة للبشر»[٥٧].

ويقول براكلسوس أيضاً:

«إن الذي يرث شيئاً من الطبيعة ويهمل تصنيعه واكماله وتجهيزه هو بدرجة من الغباء والطيش لاتقل عن إنسان أخذ من جزار جلد أحد الحيوانات بشكله الخام ولبسه على جسمه مباشرة بدون أن يعطيه للفرواتي ليقوم بصناعته، وهو يعتقد أنه إنما يلبس جلداً أو فراء. وإن الأمر يبدو أكثر خطورة بالنسبة للطبيب الذي يهمل الكيمياء ، لأن الأمر يتعلق بصحة الإنسان وحياته».

ويقول إن على الطبيب أن يستخدم الكيمياء بخبرة وذكاء، فكما أن الشمس تنضج الكمثرى والعنب ليكون لهما الطعم اللذيذ والفائدة الغذائية، فإن الكيمياء يجب أن تقوم بما يشبه هذا العمل في تهيئة المواد التي تقدمها لنا الطبيعة لتكون لها الفائدة الطبية اللازمة[٥٨].

(٥٧) انظر كتاب «براكلسوس: مؤلفات طبية Paracelse Oeuvres Medecales إعداد برنارد كوركيس B . Gorceix

طبع: المطابع الجامعية الفرنسية باريس ١٩٦٨. ص ٧١ - ٧٤.

(٥٨) المصدر نفسه ص / ٧٥.

المقالة الرابعة

تتضمن هذه المقالة اثني عشر فصلاً يعدد فيها المؤلف العمليات الصيدلانية والكيميائية التي يتم بموجبها تحضير الأدوية، ويورد المؤلف تعريفاً وشرحاً يطول أو يقصر لكل من هذه العمليات وهي:

السحق، الحل، الحرق، التكليس، التعفين والتخمير، الغسل النقع والطبخ، التصفية، التقطير، التصعيد، العقد، الحفظ والتربية.

إن هذه العمليات معروفة منذ القديم، وقد تناولها الأطباء العرب الأقدمون بكثير من الشرح المدعوم بالتجارب العلمية. ويكاد لا يخلو كتاب طبي جامع من كتبهم، من ذكر لهذه العمليات وتعريف لها وأمثلة عليها.

فليس في هذه العمليات، إذن شيء جديد من الناحية الكيميائية أو الصيدلانية، ولكننا نستطيع أن نلاحظ في هذه المقالة الروح الهرمسية المسيطرة على براكلسوس بالإضافة إلى بعض التفسيرات التي يعطيها هو لهذه العمليات.

١ـ التقطير والتصعيد:

جاء في الفصل التاسع من المقالة الأولى:

« إن من قدر على تصعيد الأجسام، وجعلها روحاً طائراً، فقد ملك الصناعة».

وهذا القول مستمد مما جاء في اللوح الزمردي لهرمس:

«اللطيف أكرم من الغليظ، فهو برفق وحكم يصعد من الأرض إلى السماء، وينزل

إلى الأرض من السماء».

وكنا قد رأينا حين الكلام عن نظرية العالم الأكبر والعالم الأصغران كل ما في الكون من كواكب ونجوم وظواهر وأحداث طبيعية لها ما يقابلها في جسم الإنسان. فمهمة الدواء هي تأمين الإنسجام ما بين الكوكب العلوي، وما يناسبه من كوكب داخل جسم الإنسان، ولذا فإن أفضل العناصر هي الخفيفة والطيارة لاستطاعتها، بجوهرها الخامس، الصعود من الأسفل إلى الأعلى والرجوع من الأعلى إلى الأسفل وذلك بقصد إعادة التوازن ما بين الأعلى والأسفل في حالات المرض[٥٩].

ولذا فقد أعطى براكلسوس أهمية كبيرة للتقطير بقصد الحصول على الأرواح والمياه والأدهان الطيارة، كما أعطى أهمية خاصة للحرق والتكليس والتصعيد والتعفين والتخمير. وهذا ما سنعود إلى ذكره بعد قليل.

٢ـ تنقية المواد من سميتها:

كان براكلسوس يولي أكبر اهتمامه للمركبات المعدنية في شؤون المعالجة. ومن الواضح أن المركبات المعدنية التي كان يستطيع الحصول عليها آنذاك، كانت بالشكل المتوفر في الطبيعة، أي بشكل فلزات فيها كثير من الشوائب المعدنية وغير المعدنية. وقد لاحظ براكلسوس بالتجربة ، تجربته وتجربة من سبقوه،ان لهذه المركبات المعدنية آثاراً سامة في المعالجة. فقاده تفكيره إلى أن تنقية هذه الفلزات من شوائبها تجرد المعدنيات من آثارها السامة، أو تخفف إلى حد كبير من هذه الآثار، مع الإحتفاظ بفوائدها الدوائية. وهذا ما ذكره براكلسوس بوضوح في مقدمة هذا الكتاب موضوع البحث.

ولهذا السبب فقد اهتم براكلسوس بكل الأعمال الكيميائية والصيدلانية التي

(٥٩) انظر كتاب «براكلسوس: مؤلفات طبية»، قسم كتاب براغناني (بالفرنسية) إعداد برنارد كوركس ص' ٧٣، ٨٢ (سبق التعريف بالكتاب في هوامش سابقة).

تؤمن مثل هذه التنقية : كالغسل، والحل، والعقد (أي البلورة)، والتصعيد والحرق والتصفية.

والجدير بالذكر، أن هذه الأعمال الكيميائية في تنقية الفلزات من شوائبها ما زالت متبعة حتى اليوم.

٣ـ السحق والنقع والحل:

انطلاقاً من إيمان براكلسوس بما جاء على لسان هرمس مثلث العظمة من أن «اللطيف أكرم من الغليظ»، فقد أفاض في البحث عن السحق وخاصة بالنسبة للمواد المعدنية، فهو يقول :

«المراد من السحق تصغير الأجزاء إلى الغاية لتظهر قوى المسحوق الكائنة فيه، وليسهل امتزاجه بغيره...وإن المعدنيات تحتاج إلى أفضل سحق، وكلما بولغ في سحقها وتهبيتها [٦٠] ظهرت قوتها».

وتمتد فكرة براكلسوس عن «اللطيف أكرم من الغليظ»،إلى الحل والنقع :

فالحل بتعريف المؤلف هو : «تسييل المنعقد الجامد كالمعدن والنبات وأجزاء الحيوان».

وأما النقع فهو : «اعلم أن الغاية من النقع والطبخ هي استخلاص اللطيف من الكثيف».

٤ـ التعفين والتخمير:

يقول ابن سلوم نقلاً عن براكلسوس :

---

(٦٠) استعمل المؤلف كلمة التهبية بمعنى جعل المسحوق ذرات دقيقة جداً كالهباء.

«التعفين عند هذه الطائفة نضج طبيعي، ويقال له عند قوم التخمير».

ويستند براكلسوس على هاتين العمليتين كمقدمة للتقطير. ويرى في عملية التخمير والتعفين اخراجاً لخصائص المواد العلاجيةمن القوة إلى الفعل، «بإعانة الحرارة الخارجة الغريبة، كما يفعل الخمير بالعجين». ويقصد بهذه الخصائص القوى الخفية.

وهو ما ينسجم أيضاً مع نظريته في أن للأجسام هيولى أسماها بالعنصر الخامس وهي خفية عن الحس الظاهر ولكنها تملك القوة، إذا أحسن توجيهها، على ضمان التوازن والإنسجام ما بين العالم الأكبر (الكون) والعالم الأصغر (الإنسان).

٥ ـ الحفظ والتربية:

هما عمليتان من الأعمال الصيدلانية، وقد عرف المؤلف عملية الحفظ «بوضع الزهور أو الأفاوية في العسل أو السكر لتحفظ قواها ويلذ طعمها».

فهذا التعريف مطابق لما هو متعارف عليه منذ عصور تسبق عصر براكلسوس. أما عملية التربية، فيعرّفها المؤلف بأنها عملية يقصد منها كسر حدة الدواء كتربية الأنزروت بلبن الأتان، وتربية الصبر بماء الهندباء وعصير الورد. أو زيادة قوته وحدته، كتربية الصبر في الأفاوية. وإذا قارنا ما جاء هنا مع ما كان موجوداً في الطب التقليدي، وخاصة في الكتب الطبية العربية، نجد أن العملية الأولى «الحفظ» يقابلها عمل الشرابات وهي فعلاً وضع الزهور أو الأفاوية أو الأثمار في العسل أو السكر. وأما عملية «التربية» فهي بالمفهوم الصيدلاني التقليدي، تربية الفاكهة في السكر لعمل ما يسمى بالمربّى، وإن الفرق بين المربيات والشرابات هو بقاء قسم من عين الفاكهة في المربّى، وعدم وجوده في الشرابات[٦١].

(٦١) انظر كتاب «منهاج الدكان ودستور الأعيان» تأليف العطار الهاروني، مصطفى البابي الحلبي وأولاده / القاهره / ص ٦٤.

المقالتان الخامسة والسادسة

تتضمن هاتان المقالتان الأخيرتان من كتاب «الطب الكيميائي الجديد» لابن سلوم الحلبي ثمانية عشر فصلاً، تدور كلها حول التقطير ونواتجه من مياه وأرواح وأدهان. ونلاحظ فيها ما يلي:

١- المياه والأرواح والأدهان:

يقول المؤلف ان نواتج التقطير (القُطارات)[٦٢] هي:

مياه وأرواح وأدهـــــان

فعندما يطبق التقطير على القرنفل مثلاً، يمكن الحصول على ماء القرنفل، وروح القرنفل ودهن القرنفل.

ويربط المؤلف بين هذه النواتج الثلاثة فيقول:

«الروح هو جسم لطيف بين الماء والدهن»

وهذا يعني أن الأرواح تجمع بين الصفة المائية وبين القوام الدهني اللطيف القابل للإنحلال في الماء.

ويقول المؤلف ان ناتج التقطير إذا غلبت عليه الصفة المائية سمي ماء، وإذا غلبت عليه الصفة الروحية سمي روحاً.

ويقول إن الدهن هو ما تغلب على قوامه الأجزاء الدهنية، ويكون غير قابل للإنحلال في الماء. ولذا فإن من السهل عزل الدهن عن نواتج التقطير، لأنه يطفو على

---

(٦٢) القُطارة: قُطارة الشيء ما قَطَر منه (قاموس لسان العرب لابن منظور).

السطح، ففصله سهل. أما فصل الروح عن الماء فأمر عسير يحتاج إلى تكرار التقطير على نار هادئة.

ويطلق براكلسوس قاعدة عامة هي:

«إن جميع الأشياء من المعدن والنبات والحيوان، يؤخذ منها هذه الجواهر الثلاثة: الماء والروح والدهن».

وهي قاعدة صحيحة بالنسبة للنبات ولبعض أجزاء الحيوان، ولكنها غريبة بالنسبة للمعدن. ومتى كان للمعدن دهن؟! كل شيء ممكن بالنسبة لمفاهيم براكلسوس وسنرى بعد قليل ما هو الدهن المعدني.

آ- المياه وطرق استخراجها:

بالرغم من القاعدة العامة التي ذكرناها قبل قليل وهي أن للمعدن ماء وروحاً ودهناً فإن براكلسوس لم يورد أي مثال عن ماء لأحد المعادن، ولا أدري إن كان ذلك سهواً من ابن سلوم أم أن براكلسوس نفسه لم يذكر شيئاً من هذا القبيل.

وبالنسبة **لمياه النباتات والحشائش والزهور**، يعتمد المؤلف في استخراجها على تخميرها قبل تقطيرها، وهي طريقة معروفة منذ القديم.

ويقول المؤلف أن مدة التخمير للزهور الرطبة والحشائش لاتتعدى يوماً وليلة، أما في الأفاوية كالدارصيني (القرفة) والأزهار حادة الرائحة، فقد تصل مدة التخمير إلى أسبوعين. ولتسهيل التخمير وتسريعه، يضاف إلى المواد المراد تقطيرها قليل من الخميرة أو الطرطير أو الملح.

وفي بعض الحالات، كما هو الحال في استخراج ماء العسل بالتقطير، يوضع بدلاً من الملح قبل التقطير، نشارة من خشب العرعر ويتم التقطير بعد ذلك في حمام مائي.

وإذا اعتبرنا العسل ناتجاً حيوانياً، فهو المثل الوحيد الذي أورده المؤلف في مجال المياه الحيوانية .

ب ـ الأرواح وطرق استخراجها:

١ـ **الأرواح النباتية**: ويكون استخراجها بأن تأخذ مياهها وتقطرها مرة أو مراراً بنار معتدلة الحرارة لئلا يصعد الروح مع الماء. ويقول المؤلف أن أفضل جهاز لاستخراجها هو الجهاز المسمى «أنبيق الحية»

٢ـ **الأرواح الحيوانية**: لم يذكر المؤلف في هذا المجال سوى مثالين **أولهما** روح قرن الايل، وذلك بأن يبرد قرن الايل بالمبرد، ثم ينقع في الشراب (الخمر) مدة، ثم يقطر مراراً فيخرج روح قرن الايل. **وثانيهما** روح العسل، وهو ناتج حيواني، وذلك بتكرار تقطير ماء العسل الذي سبق ذكره.

٣ـ **أرواح المعدنيات**: والمقصود هنا بالمعدنيات المركبات المعدنية وشبه المعدنية. وقد تكلم براكلسوس عن طرق تحضير أرواح العديد من هذه المركبات: كروح الكبريت(٦٣)، وروح الزاج(٦٤)، وروح الملح، وروح الملح المركب، وروح النشادر، وروح الطرطير.

وقد أورد لاستخراج روح كل من هذه المركبات طريقة خاصة من حيث المواد المضافة إلى القابلة في جهاز التقطير. ومن هذه الطرق ما يمكن تعليله وشرحه بمفاهيمنا الكيميائية الحديثة ومنها مايصعب علينا تفسيره. وسأورد فيما يلي مثالين مما أورده براكلسوس في هذا المجال:

---

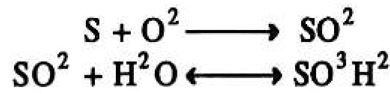
(٦٣) روح الكبريت هو حمض الكبريتي Acide Sulfureux تركيبه الكيميائي SO^2 ينحل في الماء ويدعى محلول حمض الكبريتي (Esprit de Soufre) .

(٦٤) روح الزاج هو حمض الكبريت وصيغته الكيميائية SO_4H_2 (Esprit de vitriol) .

المثال الأول: استخراج روح الكبريت:

«يؤخذ من الكبريت ما شئت ويوضع في فنجان كبير ويوضع الفنجان في صحن كبير مزجج، ويعلّق فوق الصحن قبة من الزجاج بحيث لا يصل لهب الكبريت إلى القبة، ثم يشعل الكبريت بفتيلة من الكبريت تكون في وسط الكبريت الذي في الفنجان فإذا اشتعل وصعد دخانه إلى القبة انعكس قاطراً من أطراف القبة إلى أطراف الصحن الذي فيه الفنجان. ويجب أن يكون عملك أيام الشتاء في رطوبة الهواء، في مكان رطب مرشوش بالماء، ومالم يكن كذلك، لايقطر منه شيء. ثم يجمع القاطر وهو ماء الكبريت، فإذا أردت استخراج روحه، قطرته حتى يبلغ الإنتهاء كما علمت فيما سبق».

وتعليل هذه العملية هو أن حرق الكبريت داخل الزجاج يعطي غاز بلا ماء الكبريتي (أو حمض الكبريتي اللامائي) ينحل في الماء مشكلاً حمض الكبريتي المحلول في الماء وذلك حسب المعادلتين التاليتين:



$$S + O^2 \longrightarrow SO^2$$
$$SO^2 + H^2O \longleftrightarrow SO^3H^2$$

وهذا الناتج هو «روح الكبريت» الذي قصده براكلسوس.

ومما يسترعي الإنتباه، أن براكلسوس ذكر القاطر في بدء التفاعل على انه ماء الكبريت، ولكنه عندما استمر بحرق الكبريت مع ثبات نسبة الرطوبة، فإن القاطر أصبح يحتوي على نسبة أعلى من حمض الكبريتي، وتكون حصيلة ذلك محلولاً فيه نسبة كبيرة من الحمض فاعتبره روحاً أي روح الكبريت.

المثال الثاني: استخراج الروح المعرق

أطلق براكلسوس تسمية «الروح المعرق» على الناتج من تقطير مزيج من روح الطرطير مع ماء الترياق الكافوري. والترياق الكافوري، يحتوي في تركيبه على مزيج من المرّ والزعفران والكافور مضافاً إليه محلول كحولي. وهنا لانستطيع أن نفسر تركيب هذا

الروح، وكل ما نستطيع استنتاجه أن ما يسميه براكلسوس «روحاً» هنا إنما هو قطارة تتألف من مزيج مركبات وعطور الجرفت مع بخار الماء والكحول أثناء التقطير.

جـ ـ الأدهان وطرق استخراجها:

١ ـ الأدهان النباتية:

يقول المؤلف إن استخراج أدهان النباتات يكون بتخميرها أولاً، ثم تقطيرها ثم يكرر التقطير فيتم الحصول على الدهن ويكون الدهن طافياً فوق الماء فيعزل إما بالترشيح على الورق أو بواسطة قطعة من الصوف.

على أن هنالك نباتات لاتحتاج إلى التخمير وإنما تسحق وتنقع بمحلول كحولي، فينحل دهنها في الكحول، ثم يقطر الكحول فينفصل الدهن ويكون في أسفل جهاز التقطير.

أورد المؤلف طريقة استخراج أدهان عدد وافر من النباتات منها **ما تحتاج إلى تخمير** كأدهان القرنفل والبسباسة، والورد، والعرعر، والأنيسون، والرازيانج والكمون، والدارصيني، والفلفل، والكافور، والحلبوب، والبابونج، ومنها **ما لا تحتاج إلى التخمير** وإنما تكون بنقع جريشها في الكحول ثم التقطير كأدهان السرو، والحنطة، واللوز، والجوزبوا، والمر، والجاوي.

وسأورد فيما يلي مثالاً لكل فئة:

المثال الأول: **طريقة استخراج دهن القرنفل:**

«أن تأخذ من القرنفل ما شئت، وتأخذ لكل رطلين من القرنفل أوقية من الملح، وإن وضعت عوض الملح أوقية من الطرطير كان أجود. وينقع في مكان حار لكل رطل من

القرنفل ستة أرطل من الماء، ويخمر مدة في مكان حار أو في بطن الفرس[٦٥]، ثم يقطر بالقرعة والأنبيق ثم يعزل الدهن عن الماء ويرفع».

المثال الثاني: **طريقة استخراج دهن الجاوي**

«خذ من الجاوي ما يراد، ويسحق بصاعد الشراب أجزاء متساوية، ويقطر بمائل الرقبة. فيقطر الماء أولاً ثم يقطر الدهن، والباقي في أسفل القرعة يستعمل في الطيب».

وهنا نلاحظ أن دهن الجاوي لم يبق في أسفل جهاز التقطير، بل تبخر وقطر،وبقي في جهاز التقطير مسحوق الجاوي بعد تجريده من أكثر دهنه. أما في استخراج دهن اللوز والجوزبوا فيعزل المحلول الكحولي للدهن ويقطر، «فيصعد العرق قاطراً ويبقى الدهن في أسفل القرعة».

٢ـ الأدهان الحيوانية:

لم يورد المؤلف طريقة استخراج أي دهن حيواني، بالرغم من أنه سبق أن ذكر في المقالة الخامسة «إن جميع الأشياء من المعدن والنبات والحيوان، يؤخذ منها: الماء والروح والدهن».

٣ـ الأدهان المعدنية:

إن التفكير بدهن للمعادن هو أمر مستغرب بالنسبة لما هو معروف عن الدهن. والمؤلف هنا لايعطي تعريفاً محدداً لهذه الأدهان، إلا أن الملاحظ ان ما يسميه المؤلف دهناً معدنياً، لا يعدو أن يكون ملحاً معدنياً منحلاً في الماء، جرد من قسم من مائة بالتقطيرمما

(٦٥) بطن الفرس هو ما يسمى بالفرنسية Fumier de Cheval . وهي حفرة أو وعاء مجوف يوضع فيه زبل الخيل، ويوضع الإناء المحتوي على ما يراد تخميره في الحفرة أو الوعاء محاطاً بالزبل. وفائدة الزبل هنا مابنشره من حرارة معتدلة ومنتظمة بسبب اختماره بتأثير العضويات الدقيقة الهوائية وغير الهوائية فيه.

أكسبه قواماً لزجاً فأسماه المؤلف دهناً.

وقد أورد المؤلف طرقاً لاستخراج أدهان العديد من المعادن، كدهن الأسرب، والأنتموان، والذهب، والفضة، واللؤلؤ، والمرجان، والملح، والكبريت، والزاج، والطرطير، والنحاس، والحديد، والزئبق، والطلق، وحتى انه لم يبخل على البلور المعدني بدهن!

وسأقدم فيما يلي أحد الأدهان التي ذكرها المؤلف، وذكر طريقة تحضيرها محاولاً تفسيرها، وهي طريقة تحضير دهن الأنتموان.

يقول المؤلف:

«يؤخذ من الأنتموان رطلان، ومن الكبريت ثلاث أواق، يسحق الجميع ويوضع في بوط على النار حتى يحترق الكبريت. وتشدّ عليه النار حتى لا يبقى به من الكبريت شيء ثم يخرج من البوطة ويسحق ويقطر بالخل المقطر في القرعة والأنبيق حتى يقطر جميع الخل، ويبقى الأنتموان في أسفل القرعة، ثم يخلط بمثل نصفه سكراً ثم يغمر بصاعد الشراب ويقطر حتى لا يبقى فيه شيء من صاعد الشراب.

وكلما كرر التقطير كان أجود. وإذا أضيف إلى العرق حين التقطير قليل من العنبر أو ماء الدارصيني كان ألطف، والباقي في أسفل القرعة هو الدهن».

ويبدو أن الأنتموان الذي استعمله المؤلف هو كبريت الأنتموان ($Sb_2 S_3$) لأنه هو المتوفر في الطبيعة. أضاف إليه الكبريت لتسهيل السحق. وأما حرق هذا المزيج فيعني أكسدة الكبريت المضاف والكبريت الموجود في الفلز الأنتموانى المذكور.

وبهذه الأكسدة ينطلق غاز أكسيد الكبريتي (SO^2) ، ويتحرر معدن الأنتموان. ثم أضاف المؤلف إلى معدن الأنتموان هذا، حمض الخل فتشكل ملح خلات الأنتموان

المنحل في الماء. أما حمض الخل الزائد عن التفاعل فتخلص منه Acétate d'Antimoine بالتقطير. وبعد ذلك أضاف إلى محلول خلات الأنتموان كمية من السكر، فأعطاه قواماً لزجاً فسماه:

«دهن الأنتمـــــــــــــون»!!

إن إضافة العنبر أو «ماء الدارصيني» هي لتطيب الرائحة والطعم، أما إضافة المحلول الكحولي «صاعد الشراب»، ثم التخلص منه بالتقطير، فأمر تصعب معرفة القصد منه.

وهنا لابد من القول أن هذا الشرح الكيميائي الذي أقدمه لهذه العملية يحتمل الخطأ، فأكثر المواد المعدنية التي كانت تستعمل في عصر براكلسوس كانت بشكل فلزات غير نقية وفيها الكثير من الشوائب المعدنية وغير المعدنية، ولكني حاولت أن أعطي تعليلاً معقولاً لهذه العملية على ضوء المعطيات الكيميائية الحديثة.

مصـــادر المخطــوط

ختم ابن سلوم الحلبي مخطوطه «الطب الجديد الكيميائي» بما يلي:

«وهذا آخر مااخترناه ونقلناه من كتاب سنارتوس الجرماني الذي ألف في صناعة الطب، ومن قــراباذين واقـــريوس في تقطيـــر الأرواح والأدهان، وبذا تم الكتـــاب آميــــــــن».

وهذا يعني أن كل مــاأورده ابن سلوم الحلبي في مــخطوطه من آراء براكلســوس ومفاهيمه الطبية، كان مختارات من كتاب لسنارتوس. وأما فيما يتعلق بالأدهان وتقطير الأرواح فقد أخذها من أقرباذين لواقريوس. ولمزيد من التوضيح أضيف الشرح التالي:

سنارتوس:

هو Daniel Sennert والمعروف باسم Senartus، وكان طبيباً ألمانياً، ولد عــام ١٥٧٢م وتوفي عــام ١٦٣٧ م، أصـدر عـــام ١٦١١م كـتــابه المطول بعنوان INSTITUTIONUM MEDICINAE (القوانين الطبية) واستمر بعد ذلك بتأليف كتب في المجالات الطبية، كان آخرها كتابه المسمى PRACTICAE MEDICINAE (الممارسة الطبية) في ستة أجزاء نشرها عام ١٦٣٦م أي قبل وفاته بعام واحد، وكانت كل كتبه باللاتينية وهي اللغة العلمية في أوربا آنذاك. وقد اعتمد ابن سلوم الحلبي على الكتاب الأول، أي كتاب (القوانين الطبية) فيما نقله عن براكلسوس.

واقريوس:

أمّا واقريوس Johann Jacob Wecker المعروف باسم Waqryus فقد ولد عام ١٥٢٨م وتوفي عـام ١٥٨٦م. له مؤلفات طبية وكيميائية عديدة، ألّف باللاتينية اثنين من

الأقرباذينات:

الأول هو الأقـرباذين العـام Antidotarium generale نشـر عـام ١٥٧٦م في مـدينة بال في سويسرا.

والثـاني هو الأقـرباذين الخـاص Antidotarium Speciale نشـره بعـد عـام واحـد من الأقرباذين الأول.

ثم جُـمع الإثنان في مـجلد واحـد لاقى رواجاً كـبيـراً، وهذا الأقـرباذين الموحـد هو الذي ألمح إليه ابن سلوم الحلبي في ختام مخطوطه.

القسم الثاني

مخطوط صالح نصر الله بن سلوم الحلبي

« الكيمياء الملكية »

متن المخطـــــوط

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي(١)

وبعد فقد ألّف في صناعة الطب الكيميائي قروлليوس كتاباً مختصراً مفيداً للملك زمانه وهو يشتمل على مقالتين، فأردنا أن ننقله من اللاتينية إلى العربية ليكون عام(٢) النفع. وسمّي هذا الكتاب كيميا باسليقا(٣) أي(٤) الكيمياء الملكية.

المقالـــة الأولـــى

اعلم أن معالجات الأمراض:

منها ماهو كلي عام غير مختص(٥) بمرض. فالعلاج الكلي هو قطع سبب الأمراض وأصلها وتمييز الرديء عن الجيد. وأنت قد علمت أن الأمراض منها ما هو موروث ومنها ما هو عارض عن الأسباب الظاهرة، وهو تغيّر الأسباب الستة الضرورية(٦).

---

(١) هذه البسملة تنفرد بها نسخة (م) دون باقي النسخ التي تبدأ الكلام بـ: «وقد ألّف في صناعة...»

(٢) تمام (م).

(٣) كيميا باسليقا: Chymica basilica.

(٤) يعني (م.غ).

(٥) غير مخصوص (م).

(٦) الأسباب الستة هي: الهواء، مايؤكل ويشرب، حركة البدن وسكونه، حركة النفس وسكونها، النوم واليقظة، الإستفراغ والإحتباس (انظر كتاب: تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة، تأليف الاستاذ الدكتور محمد زهير البابا، مطبعة طربين / الطبعة الثانية/ ١٩٧٩، ص/ ١١٨.

العارضة للبدن متشعبة من هذه الامراض
الاربعة فان الله سبحانه وتعالى لم يخلق داء
الا وخلق له دوا لطفا وكرما منه على النوع
الانساني وقد خلق الله سبحانه وتعالى
لجميع الامراض دواء واحدا كافيا في معالجاتها
لكن لما كانت معرفته عسرة على اكثر الناس
لعزته ذكرنا في هذا المختصر ما يسهل
معرفته وعمله لحل الامراض ومنها ما هو جزئي
وهو العلاج الذي لا يقطع اصل المرض
ولا يزول بل يسكن اعراض ذلك المرض ويقطع
ثمرته دون اصله ويزيل نوبته ويسكن اوجاعه
ويمنع زيادته ونموه ومن العلاجات الجزئية
العلاج بالادوية المقوية للاعضاء الرئيسة
السبعة وقد علم الانسان ما لم يعلم من
لطفه وكرمه باسرار الطبيعة وما يعرض
عن العناصر الاربعة باعتبار زيادتها ونقصانها
وتغيرها عن الصلاح الى الفساد وقد
احسن الينا سبحانه وتعالى بان اطلعنا على
خواص الادوية المخصوصة بعضو دون عضو

مخطوط الكيمياء الملكية

من نسخة مكتبة الكونغرس (الولايات المتحدة) (غ)

والمعالجات الكلية أنواع فمنها ما يكون المطلوب منه حفظ البلسان الطبيعي وتقويته، ومنها ما يكون المطلوب به تمييز الرديء عن الجيد، وهو متنوع إلى أمور متعددة. فمنه مايكون بالقيء أو بالاسهال أو بالإدرار أوبالعرق. وبهذه المعالجات تعالج الأمراض الأربعة العظيمة[٧]، وهي الصرع والإستسقاء وأمراض المفاصل والجذام. وجميع الأمراض العارضة للبدن متشعبة من هذه الأمراض الأربعة.

وإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق داء إلاّ وخلق له دواءً، لطفاً وكرماً منه على النوع الإنساني. وقد خلق الله سبحانه وتعالى لجميع الأمراض دواء واحداً كافياً في معالجتها، ولكن لما كانت معرفته عسيرة على أكثر الناس[٨] لعزته، ذكرنا في هذا المختصر ماتسهل معرفته وعمله لأجل[٩] الأمراض.

ومنها ماهو جزئي وهو العلاج الذي لايقطع أصل المرض ولابزره، بل يسكن أعراض ذلك المرض ويقطع ثمرته دون أصله، ويزيل نوبته، ويسكن أوجاعه، ويمنع زيادته ونموه. ومن العلاجات الجزئية، العلاج بالأدوية المقوية للأعضاء الرئيسية السبعة. وقد علّم (الله) الإنسان من لطفه وكرمه أسرار الطبيعة وما يعرض من العناصر الأربعة باعتبار زيادتها ونقصانها وتغييرها من الصلاح إلى الفساد. وقد أحسن إلينا، سبحانه وتعالى[١٠] بأن أطلعنا على خواص الأدوية المخصوصة بعضو دون عضو. فلهذا قسمنا العلاج[١١] إلى قسمين، فمنه كلى ومنه جزئي.

والعلاج الكلي يشتمل على :

---

(٧) كلمة «العظيمة» غير واردة في (غ) .

(٨) الأطباء : (أ) .

(٩) لحل : (م، غ) .

(١٠) سبحانه (م، أ) أي بدون كلمة تعالى .

(١١) قسمناها (م) .

الإنضاج والإسهال، والإدرار والقيء والتعريق والتقوية وتسكين الوجع بالمخدرات وإصلاح الهواء بالمشمومات.

والعلاج الجزئي :

هو علاج الأعضاء الرئيسية، والعلاج لما لايختص بعضو من الأعضاء كالجراح، فنذكر الأشياء النافعة للرأس وهي ما ينفع السكتة والصرع ومايتفع العين والأسنان، ومنها الأدوية النافعة للصدر والقلب والمعدة والرحم ومنها ما ينفع الحميات والوباء، ومنها ما ينفع وجع المفاصل والنقرس، ومنها ماينفع الكلى والإستسقاء، ومنها ماينفع الدوسنطاريا والسيلانات، ومنها مايزيد في المني، ومنها ما ينفع القروح والجراح(١٢) وغيرذلك(١٣).

الفصل الأول: في الإنضاج والمنضج

اعلم أن الأمراض العارضة عن الأخلاط الفاسدة لايتأتى قطع أصلها بغير انضاج، فإنها ثابتة راسخة. والمقصود من الإنضاج تعديل قوام المادة ليسهل خروجها بالقيء والإسهال أو غير ذلك.

وأما الأمراض التي هي غير ثابتة الأصول وهي بعض الحميات والنوازل والسعال فقد لاتحتاج إلى منضج بل يكفي في ذلك الإستفراغ والتنقية. وقد نبه على ذلك أبقراط وجالينوس(١٤). فإن أبقراط صرح بلفظ المنضج وجالينوس بلفظ التعديل وبراكلسوس بلفظ التغيير والمراد واحد. وقد قال قروليوس الإنضاج هو حل المنعقد وعقد المحلول

---

(١٢) الجراحات : (أ).

(١٣) انفردت نسخة (أ) بتعبير : وغير ذلك.

(١٤) قال جالينوس (م).

وحصول[١٥] استعداده للخروج. وأكثر ما يستعمل المنضج في الأمراض المزمنة كالصرع وحمى الربع والقولنج ووجع الكلى والمفاصل وجميع الأمراض الطرطيرية. وأما الأمراض التي تذهب بالتحليل والتهبيه[١٦] فلا تحتاج إلى المنضج[١٧].

صفة طرطير الزاج المستعمل في الإنضاج:

يؤخذ من ملح الطرطير الأبيض مقدار[١٨] ويحل بماء الغافث ويعقد[١٩] مراراً ثم يحل بحل الرطوبة ثم يوضع في فياشة ضيقة الفم. ويقطر على كل جزء من ملح الطرطير المحلول نصف جزء من روح الزاج تدريجياً فإنه ينعقد في الفياشة ويبقى على وجهه رطوبة قليلة فيقطر[٢٠] على رماد حار حتى يجف ويخرج ما فيه من الملح المنعقد مع روح الزاج ويرفع لوقت الحاجة.

واعلم انه إذا غلب روج الزاج على الملح صار مقيئاً[٢١]، وإذا غلب الملح على الزاج صار مدراً مفتحاً منضجاً.

واعلم انه كما يعرض من تقطير روح الزاج على ملح الطرطير غليان، كذلك يعرض لروح الإنسان عند ملاقاة الماني[٢٢]، حركات غير منتظمة كما يعرض في حالة الصرع[٢٣] وهذا الملح الزاجي يعطي لانضاج المواد بما يناسب العلة في المياه والمطابيخ.

---

(١٥) لحصيل: (م،أ).

(١٦) الهياجة (غ، أ) ولم أستطع فهم هذه الكلمة، كما لم أستطع معرفة مدلول كلمة «تهبية».

(١٧) انضاج (غ).

(١٨) ما شئت: (أ).

(١٩) ويصعّد: (غ).

(٢٠) فتطيّر: (م).

(٢١) مقبضاً: (م).

(٢٢) المنافي: (غ) واعتقد أن كلمة الماني تعني المانيا بنظر المؤلف. والمانيا مرض يصيب الجملة العصبية المركزية.

(٢٣) كما يعرض في حالة الصرع من الحركات غير المنتظمة (ل).

مثال ذلك يؤخذ من هذا الطرطير الزاجي أوقية ويحل في رطلين من طبيخ الزبيب بالدار صيني ويعطي[٢٤]، وهذا القدر يكفي لثلاثة أنفار ثلاثة أيام[٢٥] وهو يحلل[٢٦] الطر طيرالذي في بدن الانسان، وهو من العجائب في الأمراض الطرطيرية.

وفوائد هذا الطرطير الزاجي انه ينفع في الشقيقة واليرقان وأنواع السدد بما يناسب من المياه، أو بالشراب فيسقى منه[٢٧]أياماً كثيرة. ويفتت الحصا بماء البطر اساليون أو بماء حشيشة الزجاج أو بالشراب الأبيض ويسقى منه لضعف الكلى وسددها بشراب الورد مقدار سدس درهم، وفي سدد[٢٨]الماساريقا وسدد العروق ثماني حبات بماء الدار صيني وطبيخ الزبيب، ويدر العرق إذا سقى بماء كاردو نماري[٢٩] أو بالشراب الأبيض، ويسقى للإستسقاء قدر ثلث درهم[٣٠] بماء العسل أو بشراب الراسن. ويدر الحيض إذا سقي منه ثلث درهم[٣١] بماء العسل والشراب الريحاني أو شراب البتونيكا[٣٢] ويسقى لأنواع الحميات بما يناسب. وإذا خلط مع الأدوية المسهلة قوى فعلها وفتح السدد ولانظير له في أمراض الطحال والأمراض السوداوية ومقدار الشربة منه لجميع الأمراض من سدس درهم إلى ثلث درهم بماء العسل إذا لم يوجد غيره.

صفة قريمو طرطير يستعمل لانضاج المواد وتفتيح السدد:

---

(٢٤) ويقطر: (أ).

(٢٥) يكفي لملاقات المرض آنفاً وثلاث أيام (م).

(٢٦) يحلّ: (غ)، (أ).

(٢٧) يسقى منه: (م)، إذا سقى (أ).

(٢٨) سدس (م).

(٢٩) كاردوسارين: (م).

(٣٠) ثلث دراهم (م).

(٣١) ثلث دراهم (م).

(٣٢) التبويكا: (م).

يؤخذ طرطير أبيض مدقوق جريشاً ما يراد ويغسل بماء حتى يذهب ترابه ووسخه ثم يطبخ بالماء العذب مقدار ساعة. ثم يوضع في مكان بارد فإنه ينعقد فيه قطع كالملح يؤخذ من الماء بالمصفاة ثم يطبخ مرة أخرى ويوضع أيضاً في مكان بارد ويؤخذ ما انعقد فيه. يفعل ذلك مراراً حتى لا ينعقد في الماء شيء فيرمى به ويجفف ذلك المنعقد كالملح ويرفع فإنه دواء شريف في انضاج المواد وتفتيح السدد والشربة منه نصف درهم بالماء القراح أو ببعض المياه المناسبة. وهذا دواء سهل المأخذ لاضرر فيه مقبول عند الطبع وإذا خلط بالمسهلات قوى فعلها وسرّع عملها وإذا سقى منه درهم بحبتين من السقمونيا كان دواء مسهلاً كافياً(٣٣).

الفصل الثاني : في القيء، والمقيّء

المقيئات ثلاثة أقسام منها أنتيمونية ومنها زاجية ومنها زئبقية(٣٤) ويحتاج إليها في قطع أصول الأمراض التي يكون(٣٥) مبدؤها في المعدة.

صفة الزاج الأبيض المقيّء:

يؤخذ من الزاج ما شئت ويحل بماء المطر ويصفى ويعقد مراراً ثم يحل بماء الورد ويعقد ويحفظ لوقت الحاجة. وهو دواء ينفع في أمراض الدماغ التي مبدؤها المعدة، وجميع أمراض المعدة المزمنة.

---

(٣٣) وردت بعد هذه الكلمة في (غ) جملة غامضة مشوشة من ثلاثين كلمة ولم يرد لهذه الجملة ذكر في كل النسخ الأخرى، ولذا أهملت تثبيتها في المتن المحقق.

(٣٤) في ترجمة فرنسية لكتاب قرولليوس موضوع التحقيق (ف) لم يذكر ما يفيد معنى «الزئبقية» بل الخربقية "Héllé bore s"

(٣٥) انفردت (أ) بهذه الكلمة لمزيد من الوضوح.

صفة الزاج الجلا المقيء للأخلاط الغليظة :[٣٦]

يؤخذ ملح الزاج المذكور عمله في باب المعدة ويحل بماء الزاج المستخرج بالتقطير ثم يوضع في آلة التقطير الدوري ويوضع على النار ليصعد وينزل ويدور ثمانية أيام ثم يؤخذ من الآلة ويحفظ. والشربة من ذلك ثلث درهم إلى ثلثي درهم، ويسقى منه ثلث درهم بالشراب فينقى ويخرج الأخلاط من المعدة. ويسقى في الحميات وأمراض المعدة والنوازل والطاعون ووجع المفاصل والظهر. وإذا سقى منه ثلث درهم بالشراب[٣٧] سرّع في التحام الجراح. وقد يسقى بالسكر وماء الرازيانج وكذلك بالماء القراح أو بماء اللحم. ومن لم تقبل قوته فيعطى مع قليل من الكلبشكر ويعطى منه للصبيان[٣٨] لقتل الديدان مقدار خمس حبات بملعقة من الشراب.

الفصل الثالث: في المسهل

اعلم أن لكل مسهل أفعالاً ثلاثة: استفراغ زائد، وتعديل المزاج، وتقوية الأعضاء. وأما الأدوية المسهلة التي فيها سمية فيجب اجتنابها. والمسهل الجيد الحق[٣٩] يعلم من اخراجه الزائد وتقوية القوة وليست جودة المسهل بكثرة عمله أو قلته فإنّ من المسهلات ما يخرج أخلاطاً كثيرة من غير أن يضعف القوة. ومن المسهلات ما يكون عمله ضعيفاً مع أنه يضعف القوة والأعضاء.

واعلم أن عمل الدواء المسهل ليس بكيفيته بل بخاصيته وصورته النوعية يجذب

---

(٣٦) في النسخة الفرنسية (ف) ورد العنوان كما يلي: Sel de Vitriol Ou Gilla TheO Phrasti وترجمتها: ملح الزاج أو الجلا تيوفراستي، وتيوفراستي تعني براكلسوس.

(٣٧) نوع الشراب هو في (ف) مشروب كحولي يسمى السيرفواز Cervoise .

(٣٨) كلمة الصبيان تعني «الأطفال» .

(٣٩) كلمة «الحق» ساقطة من (غ، أ) .

الخلط المخصوص من عضو مخصوص. ويجب في الأمراض التي تنقضي بالتحليل أن لا يسقى في الأول دواء مسهلاً قوياً، بل يبدأ بالضعيف ثم ينضج ثم يسقى الدواء القوي.

واعلم أن سقي الدواء القوي الإسهال[٤٠] غير جائز. قال أفلاطون في طيماوس[٤١] الأدوية القوية الإسهال لا بد وان توجب ضرراً[٤٢] في الأعضاء والقوى[٤٣]. ولقد أحسن الشيخ الرئيس ابن سينا حيث قال[٤٤]: «الدواء المسهل وإن لم يكن سمياً إلا أنه ثقيل على الطبيعة، لكن إذا كان المرض ثابت الأصل (فإنه) يحتاج إلى الدواء القوي ليقلعه كالأدوية الزاجية والأنتيمونية والزئبقية. واتباع جالينوس لايقدرون على استعمال مثل هذه الأدوية، فإنهم لا يعرفون طريق اصلاحها وتدبيرها ولا كيفية استعمالها[٤٥]. وقد قال أغريبا[٤٦] الطبيب قولاً حقاً «يجب على كل عاقل اجتناب الطبيب الجاهل، وأعظم النعم توفيق الإنسان بالطبيب الحاذق يحفظ صحته إلى شيخوخته».

عمل التربذ[٤٧] المعدني:

وهو يتكون عن تدبير الزئبق، ولكونه كثير الإستعمال عام النفع بد أنا به. ولكونه كالخميرة للمعدنيات فإن الذي يقدر على تثبيته هو الفيلسوف حقاً. وإذا دبّر كان علاجاً للأمراض من غير ضرر. ولكونه عام النفع سموه «بناكيا» ويعني العلاج الكلي. وقد وجد

---

(٤٠) واعلم أن سقي الدواء المسهل جداً (أ).

(٤١) «إلى طيماوس» كتاب منسوب لأفلاطون.

(٤٢) مرضا (غ).

(٤٣) في الأعضاء القوية: (م).

(٤٤) هذا القول من ابن سينا ورد في (ف) ص/ ١٣، وربما كان هذا المديح هو الوحيد من مدرسة براكلسوس لابن سينا.

(٤٥) كيفية سقيها (م، أ).

(٤٦) هو هنريك اغريبا H. Agrippa عالم ألماني معاصر لبراكلسوس ولد بألمانيا ١٤٨٦ وتوفي بفرنسا ١٥٣٥م طبيب وفيلسوف متأثر بالأفلاطونية الحديثة.

(٤٧) التبريد: (غ).

أرباب الصناعة لذلك تدابير شتى. فبعضهم يحلّه بروح البارود، وبعضهم بروح الملح[48] وبعضهم بالمياه الحادة، وبعضهم بدهن الزاج، وبعضهم يحلّه بالحصا المسحوق وبطول الزمن[49]. وأما نحن فقد اخترنا لذلك هذا الطريق فوجدناه نافعاً مجرباً بلا ضرر.

وطريقه: أن يؤخذ من الزئبق المنقى نصف رطل، ويغمر برطل من دهن الكبريت، ويوضع في مكان حار حتى يتكلس الزئبق في أسفل الإناء[50]، ثم يوضع الإناء على رمل حار (مدة) يومين ثم يطين الإناء بطين الحكمة، ويقطر عنه دهن الكبريت، ثم يوضع دهن كبريت آخر، ويفعل كالأول. ويكرر ذلك أربع مرات فتراه حينئذ أبيض مكلّساً في أسفل القرعة، ويغسل بالماء القراح أربع ساعات حتى لايبقى فيه أثر من دهن الكبريت، ويجفف، فتراه كالتراب الأصفر ثم تضعه في قنينة طويلة العنق، ويسدّ فم القنينة بقطعة من القطن، ثم توضع القنينة على رمل حار ثمانية أيام. فإن الزئبق يصعد الحيّ منه إلى جانب عنق القنينة، ويبقى الثابت في أسفلها وهو المراد. فتكسر القنينة ويؤخذ مافي أسفلها ويحذر أن يقع فيه[51] شيء من الصاعد إلى جانب القنينة ويغسل بصاعد الشراب ثلاث مرات ويرفع لوقت الحاجة.

وبعض الناس يملغم العبد[52] بالذهب ويغمره بدهن الكبريت، ويكمل كالعمل الأول. ويملغمه بعضهم بالفضة ويغمره بدهن الكبريت ويفعل كما تقدم. وعلامة ثبات مافي أسفل القرعة من الزئبق انه إذا وضع على الذهب لم يبيضه ولايخالطه.

---

(٤٨) روح الأملاح : (غ).

(٤٩) المسحوق بطولي الزمان (غ).

(٥٠) في الإناء أسفل (م).

(٥١) كلمة «فيه» ساقطة من (م).

(٥٢) «العبد» يفيد معنى الزئبق وقد ورد في (ف) ص/ ١٤ أن الفلاسفة يعتبرون الزئبق عبداً شارداً.

فوائد هذا الزئبق:

اعلم أن الزئبق بلسان[٥٣] طبيعي فيه قوة النمو، فهو يجدد المزاج الطبيعي، وينقي[٥٤] بدن الإنسان عن كل فساد، ويصفي الدم خصوصاً في الحب الإفرنجي، ويقطع أصول الأمراض وثمارها. فإن فيه قوة نارية لطيفة، شديدة[٥٥] النفوذ إلى جميع الجسم، وليست تلك القوة توجد في غيره. وهو علاج كليّ لأمراض العفونة، يخرج جميع الأخلاط الرديئة، ويمنع النوازل وينقى الدم الذي في العروق، والمخ الذي في العظام. وهو علاج كليّ للإستسقاء. وكذلك ينفع وجع[٥٦] المفاصل، والنقرس[٥٧] إذا سقى مع الحب الإلهي ودهن العسل. ويسقى لذات الجنب بما يناسب، ويسقى للجرب والحكة وأنواع القروح الخبيثة والسمومات. ويسقى في الحميات الملازمة والدائرة مع روح الزاج والحب الإلهي. وهو يقطع أصول القروح والحب الأفرنجي، ولانظير له لليرقان. ويسقى للطاعون بالحب الإلهي. ويخلط بالمراهم ويوضع على القروح الخبيثة الرديئة المتعفنة.

وبراكلسوس يعالج الحب الإفرنجي بأن يسقي من هذا الزئبق مع صوكر الروزاتم[٥٨] وتطلى القروح من خارج بهذا الزئبق مع دهن الطرطير فيبرأ (المريض) بذلك العلاج من ذلك المرض الرديء.

وقال قروليوس[٥٩]: «قد جربنا ذلك مراراً[٦٠] فلم نر له ضرراً لأحد، لكن بعض

---

(٥٣) «البلسان» ترجمة لكلمة Baume التي تفيد معنى «البلسم».

(٥٤) ويصفي (غ، ح١).

(٥٥) سريعة: (أ).

(٥٦) «ينفع جميع وجع» (م).

(٥٧) النقريس: (غ، ح١).

(٥٨) صحيحها سوكس روزاتوس Succus Rosatus وفي النسخة (ف) Suc de rose أي عصارة الورد.

(٥٩) الأستاذ قروللیوس (أ).

(٦٠) «قدجربنا ذلك كثيراً»: (غ).

الصفراويين يعرض لهم منه حرقة في الحلق من كثرة القيء، وتذهب بسرعة ببعض الفراغر اللينة، أو يسقى قليلاً من الطين المختوم). ومقدار ما يسقى منه ثلاث حبات إلى ست. ويعطى للصداع بحب القوقايا، وللمفاصل بحب السورنجان، أو ببعض الربوب المسهلة[٦١]

وإن سقي برب السوس[٦٢] كان أجود، وقد يخلط بالكلبشكر[٦٣] أو بالخبز ويؤكل ويشرب فوقه شيء من الشراب.

وله[٦٤] طريق آخر، ويسمى الزئبق المرجاني الحلو[٦٥] وهو من صنعة براكلسوس رئيس أرباب هذه الصناعة:

يؤخذ من الزئبق رطل، وينقى بماء متخذ من الجير[٦٦] والرماد، ثم بالملح والخل، مراراً كثيرة حتى ينقى عن السواد. ثم يؤخذ هذا الزئبق مع مثله من الملح الأندراني الصافي، وبقدر الجميع زاج محرق، ويسحق الجميع ويخلط بالخل المقطر في إناء من خشب، ثم يوضع الجميع في قرعة معتدلة الطول، مطينة بطين الحكمة، ويقطر على الرماد حتى تخرج المائية، ثم تشدّ النار يوماً وليلة حتى يصعد إلى القبة ثم يقطع الوصل، ويؤخذ الصاعد الأحمر والأصفر ويبقى شيء أسود في أسفل القرعة[٦٧] ثم يؤخذ لهذا الصاعد مثله ملح أندراني ومثله شبّ محرق ثم يخلط بالمائية الخارجة بالتقطير ويوضع في القرعة وتقطر الرطوبة[٦٨] ثم تشدّ عليه النار حتى يتصعد، ثم يقطع الوصل، ويؤخذ

---

(٦١) أو ببعض الربوب (م).

(٦٢) بزيت السوسن : (م).

(٦٣) وقد يخلط بالسكر : (م). وكلمة كلبشكر تعني بالتركية سكر الورد / في (ف) Sucre rosat.

(٦٤) ومنه (ك).

(٦٥) ويسمى زئبق الزجاجين الحلو (م، ك، ح١) وقد جاء العنوان في (ف) ومرجان براكلسوس Coralline de Paracelse، والزئبق المصعد غير الكاوي Mercure non Corrosif (ص/ ٢١).

(٦٦) ورد في (ف) أن الجير (الكلس) يجب أن يكون حياً ص/ ٢١.

(٦٧) في وسط القرعة أسفلها : (م).

(٦٨) وتقطع الرطوبة: (غ)، (أ).

الصاعد الأحمر والأصفر ويرمى ما يتبقى في أسفل القرعة. والأصفر منه يوضع في بوط على النار، فإنه يحمر فيجمع مع الأوّل ويغسل ببعض المياه المفرحة، أو بالعرق[٦٩] مراراً، ويسقى لجميع الأمراض التي تقدم ذكرها، خصوصاً في الإستسقاء والحب الإفرنجي من ثلاث حبات إلى خمس حبات.

طريق آخـــــــــر :

يؤخذ من الزئبق المصعّد مقدار يخلط بروح الزاج وروح البارود بأجزاء متساوية، ويقطر عنه الروح، وتشدّ عليه النار حتى يصعّد، فإنه يصعّد أبيض شفافاً كالبللور، فيقطع الوصل ويخرج الصاعد ويحفظ، إلى وقت الإحتياج إليه[٧٠]. فإنه مسهل وحده، أو مع غيره من الأدوية المسهلة. وهو كثير الإستعمال عند أصحاب الصناعة، وفوائده، وشربته[٧١] كالأول .

طريق آخر لتدبير الزئبق، ويسمى بهذا التدبير زئبق الحياة:

يؤخذ أنتيمون وزئبق مصعّد، من كل واحد رطل. يسحق الجميع، ويوضع في مائل الرقبة[٧٢]، ويوضع على رمل حار، ويقطر بنار معتدلة، فإنه يقطر ماءاً أبيض غليظاً. فإذا انسد فم الأنبيق بسبب وقوف نقطة من القاطر، قربت إليه جمرة من النار، فإنه ينفتح. واحذر أن ينكسر الأنبيق[٧٣]. ويقطر ثم يوضع فوق القاطر ماء حار، فيرسب في أسفل

---

(٦٩) بالعرقي: (أ)، (ح١) .

(٧٠) جملة: إلى وقت الإحتياج إليه، وردت فقط في (أ) وقد ثبتها في المتن لأنها تزيد في توضيح المعنى.

(٧١) يقصد بكلمة « شُربَتُه »: مقدار الجرعة منه .

(٧٢) جملة: ويوضع في مائل الرقبة: لم ترد في (م) ، (ح١) .

(٧٣) واحذر أن لا ينكسر الأنبيق (م)، (ح١) -واحذر من أن ينكسر الأنبيق : (أ) .

الإناء تربة بيضاء، فيصفى عنها الماء، وتغسل بماء آخر. يفعل ذلك مراراً حتى لا يبقى فيه من الحدة شيء، ويجفف ويرفع. ويسقى لأصحاب الأمزجة القوية، ويسقى منه ثلاث حبات إلى أربع بالكلبشكر أو بخميرة البنفسج أو بشراب السفرجل أو بصفار النيمبرشت. ويجب على من سقي هذا الدواء أن لا يتحرك في ذلك اليوم، (وأن) يشرب فوقه بيضتين نيمبرشت وقليلاً من الشراب. وبعض أصحاب الصناعة يأخذ من هذه التربة البيضاء مقداراً ويغمره[٧٤] بالذهب المحلول الأصلي مثلاً بمِثْل، وهو عندهم يسمى ذهب الفيلسوف. وهذا الزئبق المسمى بزئبق الحياة ينفع جميع أمراض الدماغ والحميات والجذام والإستسقاء والحب الإفرنجي والطاعون.

طرق تصعيد الأنتيمون :

يؤخذ من الأنتيمون ماشئت، ويسحق ويوضع في آلة متخذة من الخزف، قوية صابرة على النار، ويوضع على نار معتدلة. فإنه بالنار الخفيفة لا يصعّد، وبالنار القوية يذوب[٧٥] ولايصعّد، فيجب أن تكون النار معتدلة حتى يصعّد.

طريق آخـــــــر:

يؤخذ من الأنتيمون أربعة أجزاء ، ومن النشادر ثلاثة أجزاء، ومن الملح جزء واحد. ويسحق الجميع في آلة التصعيد، ويصعّد كالأول، والباقي يسحق بالنشادر والملح كالأول، ويصعّد أيضاً، ويرفع لوقت الحاجة.

---

(٧٤) ويخمره (غ)، (أ)، (ح١).

(٧٥) يذوب (م)، (غ)، (ح١).

طريق آخر في تدبير الأنتيمون المصعد يستعمل في علاج الأمراض:

يؤخذ ملح الطرطير ويغمر بمثله من الخل المقطر، ثم يوضع في حمام ماريه اليابس حتى يطير الخل المقطر ويجفف ويغمر بمثله من الخل المقطر ويطير عنه كالأول. ويكرر ذلك ثماني مرات، ثم يؤخذ من هذا الملح أوقية ونصف، ومن الأنتيمون المصعّد أوقية، ويوضع الجميع في بوط ويوضع على النار حتى يحترق ويذوب ويصير أحمر كالدم، ثم يبرد فيخرج رمادي اللون فيسحق ويغمر بهذا الماء **وصفعه**: يؤخذ خولنجان وقرص غاليه وقرنفل ودار صيني وبسباسة من كل واحد نصف أوقية، وزعفران ثلاثة دراهم، يسحق الجميع وينقع بصاعد الشراب في مكان حار حتى يخرج لونه في العرق، ويصفى عنه العرق،ويغمر الثفل بعرق آخر، ويترك في مكان حار، حتى يخرج اللون ويصفى عنه العرق. يفعل ذلك حتى لايبقى في الثفل لون. ثم يوضع على رماد حار يومين، ثم يقطر عنه العرق أو يطير عنه حتى يجف، ثم يرفع في إناء مسدود لا يصيبه الهواء لئلاً ينحل. وهذا الأنتيمون من العجائب، يسقى من غير خوف وضرر فيه، وهو ينفع للطاعون والحميات الحارة[٧٦] والصرع وأنواع الماليخوليا، ومانيا، والأمراض العارضة عن احتراق الصفراء، وهو يسهّل ويقيّء ويجلب العرق. الشربة منه سبع حبات إلى عشر حبات[٧٧].

طريق عمل زجاج الأنتيمون:

خذ من الأنتيمون ما شئت، واسحقه بمثله بارود، وضع الجميع في إناء من خزف يوضع على النار، حتى يحترق ويطير البارود ثم يبرد. فإذا برد فإن رأيته قد صار أبيض فبها، وإلا أخذته وسحقته وحرقته مرة أخرى حتى ينقطع الدخان الصاعد منه ويبرد أيضاً. فإن رأيته أبيض أو أحمر فقد تم العمل، وإلاّ كرر السحق والحرق حتى يبيضّ أو

---

(٧٦) الحادثة: (م).

(٧٧) من الواضح أن الموكب الأنتموني المقصود في هذا المقطع هو طرطرات الأنتمون والبوتاسيوم
Tartrate de Potassium et d' antimonyl (Tartre Stibié)

يحمرّ. وعلامة كماله أنه إذا ذرّ منه قليل على النار، لم يدخن. وحينئذ[78] يؤخذ بوط ويوضع على النار حتى يحمرّ البوط ويصير كالنار فيوضع فيه حينئذ الأنتيمون فيذوب. فإذا ذاب يقلب على رخامة مبسوطة حتى يبرد، فينتظر: فإن رأيته جوهرياً شفافاً كالزجاج لاسواد فيه فقد تم عمله، وإلاّ سحق وحرق وغسل وحرق أيضاً، ثم يوضع في بوط على النار حتى يذوب ويقلب على الرخامة. ويكرر العمل إلى أن يخرج شفافاً زجاجياً لاسواد فيه.

وبعض الناس يحرق الأنتيمون من غير بارود. وبعضهم يضمّ اليه في الحرق قليلاً من النوشادر وبعضهم يلقى عليه عند ذوبه بعد تمام الحرق لكل عشرة دراهم من الأنتيمون درهماً من بورق الصياغة ويقلب على الرخامة. والكل جيد مجرب. وهذا الأنتيمون مسهّل مقيء يخرج الأخلاط الغليظة بالقيء والإسهال. والشربة منه أربع حبات. ويجب أن يصلح إذا سقي، بأن يؤخذ من زجاج الأنتيمون أوقيتان ويسحق ويقطر عليه حين السحق درهمان من روح الزاج ويجفف أيضاً على رماد حار، ويسحق أيضاً ويقطر عليه من روح الزاج درهمان أيضاً ويجفف أيضاً على رماد حار. يكرر ذلك ثلاث مرات أو أربع، ثم تؤخذ أوقيتان من المصطكي وتسحقان وتغمران برطل من صاعد الشراب، ويوضع (الخليط) على نار لينة حتى تخرج قوة المصطكي في العرق[79] ثم يصفى ذلك العرق وينقع فيه الأنتمون المجفف ثلاثة أيام، ثم يطيّر عنه العرق، حتى يشتعل العرق ويذهب، ثم يجفف ويحفظ. الشربة منه من ثلاث حبات إلى ست. وبهذه الطريقة لاضرر فيه أصلاً.

صفة معجون الأنتيمون:

يؤخذ من زجاج الأنتيمون، ويسحق، ويغمر بالخل المقطر، ويجفف على النار حتى يطير الخل المقطر. ثم يؤخذ من هذا الأنتيمون أوقيتان، ومن الترياق الجيد أوقيتان، ومن

(٧٨) اختُصِرَت كلمة «حينئذ» بحرف ح (م)، (ح١) - لم (غ).

(٧٩) إلى العرق (م).

الجوزبوا والبسباسة وقشر النارنج والمرجان المسحوق من كل واحد درهمان، وقرنفل ورازيانج وكزبرة من كل واحد أوقيتان. يسحق الجميع ناعماً ويعجن بالنشاء[٨٠] ويعمل منه حبوب[٨١] بقدر اللوبيا[٨٢] وهو من العجائب للطاعون وحمّى الربع والإستسقاء، والأمراض المزمنة الثابتة، والحميات العفنية الرديئة الأخلاط[٨٣]، والماليخوليا، والمانيا، والصرع، والأمراض الدماغية[٨٤]، ويدفع ضرر السموم القتالة. والشربة منه حبة أو حبتان.

قانون استعمال الزئبق والأنتيمون :

اعلم أن هذين الدوائين يجب أن يحذر سقيهما لمن في كبده[٨٥] أو رئته جراح أو قروح. ويجب الحذر قبل شربه بأيام وبعد شربه بأيام من الفصد. ولا يعطى بعد الطعام مالم يمض (عليه) ثلاث ساعات، وبعد سقيه لا يؤكل شيء من الطعام[٨٦] إلى أن تمضي ثلاث ساعات. وإذا بطؤعمله حرّك بسقي شيء حار كمرق الفروج. ويجتنب سقيه ليابس المزاج وللصفراوي، ولايسقى لمن يعسر عليه القيء، ولأصحاب الصدور الضيقة. وإن سقي للطاعون يجب أن يوضع على محل الطاعون دواء جاذب[٨٧]، وإن عرض لمن شربه[٨٨] اسهال أو قيء مفرطان متجاوزاً الحد، سقى الترياق الجديد برب السفرجل، ويوضع على المعدة بعض الضمادات المقوية للمعدة، وتوضع الرجلان في الخل الحار[٨٩]، وإن عرض من

---

(٨٠) في (ف) ص / ٢٩ يعتمد معجون السفرجل بدلاً من النشاء .

(٨١) ويعمل حبوباً (غ) .

(٨٢) بقدر حب اللوبيا (م).

(٨٣) الرديئة الأخلاط: ساقطة من (أ) .

(٨٤) ولأمراض الدماغ (غ) .- الأمراض الكائنة في الدماغ (أ) .

(٨٥) لمن في « طحاله » حسب الوارد في (ف) ص/ ٣٠ .

(٨٦) لا يؤكل الطعام (م) .

(٨٧) في النسخة الفرنسية (ف) وصف كرولليوس هذا الدواء « بالمنضج الجاذب » Maturatif attractif .

(٨٨) « وإن عرض من شرب هذه » (غ) .

(٨٩) الخل الخالص (غ) .

ذلك صداع، طلي الرأس بالخل ودهن الورد.

صفة عمل الدياقاتيليقون[٩٠] المسهّل لجميع الأخلاط:

يؤخذ سفوف (ديارونيد)[٩١] وسفوف دواء العنبر من كل واحد أوقية، ويخرج لون المجموع بصاعد الشراب، ويحفظ ذلك العرق في موضع ثم يؤخذ من شحم الحنظل سبعة دراهم، ومن التربذ خمسة دراهم، ومن الخربق الأسود والفاريقون من كل واحد أوقية، ومن السقمونيا ستة دراهم، ومن السنا أربع أواق[٩٢]، ومن الراوند ثلاثة دراهم، ومن أصل قثاء الحمار درهمان، ومن بزر خاما أقطي ثلاث أواق ومن السورنجان ثلاثة دراهم. يسحق الجميع ناعماً وينقع بالعرق المحفوظ المذكور ثمانية أيام في مكان حار ثم يجر بالعلقة[٩٣] ثم يوضع على الثفل عرق آخر، ويوضع في مكان حار حتى يخرج لون الأجزاء، ويصفى أيضاً ، ويكرر العمل حتى لايبقى في الأدوية لون. ثم يجمع العرق الأول والآخر، ويوضع على نار معتدلة في حمام مارية اليابس حتى يطير جميع العرق، ويبقى في أسفل الإناء شيء غليظ كالعسل، وهو لون الأجزاء وربّها وخلاصتها، ثم يقطر عليه من دهن الدار صيني ودهن القرنفل ودهن الجوزبوا: من كل واحد عشر قطرات، ويضاف إليه ملح المرجان، وملح اللؤلؤ من كل واحد درهمان. وإن أحرقت الثفل الباقي من الأجزاء، وأخرجت ملحه كما تعلم، وأضفت ذلك الملح إلى هذه الخلاصة، كان أجود. وهذا التركيب لا نظير له، يستعمل في جل الأمراض وأكثر الأمزجة. الشربة منه من ثلث

(٩٠) دياغاتليقون (ل) وقد وردت في (ف) ص / ٢٣ باسم كاتوليكون Catholicon وهودواء مسهل يدخل في تركيبه السقمونيا والحنظل. أما « ديا » فهي سابقة تضاف على كثير من المركبات الأقرباذينية ومدلولها: بواسطة .... أو مع...

(٩١) الكلمة مصحفة في كل النسخ، وقد أخذت صحيحها من النسخة الفرنسية (ف) . زيا الزردون (م) ـ ديا الرورزون (أ، ح١) ـ دواء الردون (غ) ـ دياء الروذون (ل) .

(٩٢) ربع أوقية (م) .

(٩٣) تذكر النسخة الفرنسية (ف) أن الجرّ يكون بالمَيْل Par inclination وربما كانت الكلمة الواردة في المتن تصحيفاً لكلمة « بالميلة » حسب التعبير العامي الدارج.

إلى ثلثي درهم[94] بما يناسب العلة والمزاج. وبعض الأطباء يجعله حبوباً، وبعضهم يحلّه برب السوس ويسقى كالمعجون.

صفة تدبير[95] السقمونيا:

تأخذ من السقمونيا ماشئت، ويسحق وينخل، ثم يغمر بعصير الورد ويقطر عليه قطرات من روح الزاج، ثم يوضع في الشمس أو في مكان حار حتى يجف. ثم يوضع عليه عصير آخر، ويجفف وإن غمر بعصير الورد مع مثله من عصير السفرجل كان أجود، ثم يكرر العمل مراراً ثم يجفف ويرفع. والشربة منه خمس حبات إلى عشر حبات إلى عشرين حبة[96]، وقد يعمل حبوباً، وقد يسقى بمكرر الورد.

صفة تدبير آخر:

يؤخذ من السقمونيا المدبرة بعصير الورد، أو من السقمونيا الخام ما شئت وتسحق وتغمر بصاعد الشراب الذي نقع فيه شيء من الرازيانج والأنيسون والدار صيني بمقدار ما يعلو القرعة[97] أربع أصابع، ثم يوضع في حمام ماريه ثلاثة أيام أو أربعة، ثم يصفى عنه العرق، ويوضع فوقها عرق آخر حتى يخرج اللون ويصفى أيضاً. ويكرر ذلك حتى لا يبقى فيه شيء من اللون. ويجمع العرق جميعه ويوضع على رماد حا ر معتدل في حمام ما ريه[98] حتى يطير العرق، وتبقى السقمونيا في أسفل الإناء كالعسل. ثم يضاف إلى كل أوقية من السقمونيا أوقية[99] من عصير الورد، وأربع أواق من عصير السفرجل ثم يطير

---

(٩٤) ثلاثة دراهم (غ).

(٩٥) صفة عمل السقمونيا (أ).

(٩٦) من خمس حبات إلى عشر حبات (م).

(٩٧) العرق (م)، (أ).

(٩٨) فيوضع على نار معتدلة (غ) - ويوضع على نار معتدلة في حمام ماريه (أ).

(٩٩) أوقيتان (م).

عنه العصير في حمام ماريه، ويجفف، ثم يضاف لكل أوقية من هذا المجفف درهم من ملح اللؤلؤ، ودرهم من ملح المرجان، ويسقى منها لمن أردت من غير حذر ولاضرر. والشربة منه خمس حبات إلى عشرين حبة.

صفة تدبير الخربق:

يؤخذ من قشر أصل الخربق الأسود ما شئت، وينقع في ماء الأنيسون يوماً وليلة في مكان حار، ثم يطبخ طبخاً خفيفاً، ويصفى ويعصر الثفل حتى لا يبقى فيه شيء، ثم يوضع الصافي على نار معتدلة في حمام ماريه مع قليل من شراب الورد المكرر حتى يغلظ ويصير كالعسل، ثم يرفع[١٠٠] لوقت الحاجة. والشربة منه من ثلث إلى ثلثي درهم من غير خوف ولاضرر. وهو مسهل لأنواع الأخلاط السوداوية، وكذلك ينفع لجميع الأمراض السوداوية[١٠١].

طريق آخر:

يؤخذ من قشور أصل الخربق الأسود رطل، وأصل لسان الثور وأصل الرازيانج من كل واحد ستة دراهم، أنيسون نصف أوقية، قرنفل ثلاثة دراهم.

يؤخذ الجميع ويغمر بالعرق بحيث يعلو الأدوية أربع أصابع، ويوضع في مكان حار سبعة أيام، ثم يصفى ويعقد في حمام ماريه بنار معتدلة حتى يصير رباً.

طريق آخر:

يؤخذ من قشور أصل الخربق الأسود رطلان، ويطبخ بماء الأنيسون في حمام ماريه، في إناء مسدود الفم. ثم يصفى ويوضع على الثفل الباقي صاعد الشراب، ويترك في موضع حار حتى يخرج اللون في العرق، ويصفى ويكرر العمل حتى لا يبقى في الخربق شيء من

---

(١٠٠) لم يوضع (غ).

(١٠١) « وكذلك ينفع لجميع الأمراض السوداوية » ساقطة من (غ).

القوة، وإذا وضع عليه العرق لم يتغيّر .ثم يجمع العرق مع الماء الأول، ويقطر في القرعة حتى يخرج الماء والعرق، ويبقى الخربق في أسفل القرعة كالعسل. والشربة منه ثلث درهم. وهو يخرج جميع الأخلاط وينفع أمراض الدماغ كالصرع والمانيا والماليخوليا والدوار والسدد والفالج بماء البتونيكا أو ببعض المطابيخ الدماغية. ويصفي الدم ويخرج الأخلاط المحترقة والفاسدة[١٠٢] فلذلك ينفع القروح الخبيثة والغنفرينا والآكلة والجذام والسرطان والقوباء والحكة والجرب.

صفة دياقاتليقـون:[١٠٣]

يؤخذ من شحم الحنظل[١٠٤] ست أواق، غاريقون وسقمونيا مدبرة وخربق أسود من كل واحد أربع أواق، صبر أوقية. يسحق الجميع ويغمر بعرق خال عن المائية فيه (ديارونيد)[١٠٥] وإن وضع معه مثله من ماء الدار صيني كان أجود. ثم يوضع في موضع حار ثمانية أيام، ثم يصفى ويعقد الصافي على نار معتدلة حتى يبلغ مرحلة التجفيف[١٠٦] والشربة منه سدس درهم بما يناسب العلة.

صفة عمل المسهل الجامع من صنعة براكلسوس :

يؤخذ من الزاج ويحل بالماء الحار، ثم يوضع لكل ثلاثة أرطال من الزاج أربعة أواق من دهن الطرطير، فإذا برد رسبت في أسفل الإناء الأجزاء الكبريتية فيرمى بها، ويؤخذ الماء الصافي ويطبخ على نار معتدلة حتى يذهب نصف الماء، ثم يوضع الإناء في مكان بارد

---

(١٠٢) المحرقة الفاسدة (م) .- المحترقة والفاسدة (ل) .

(١٠٣) دياقيليقون (غ) - دياقاتيليقون (م) .

(١٠٤) يقصد بذلك « لب الحنظل » .

(١٠٥) فيه لون ربا الرزون (غ) - ربا الزردون (م) - دباء الروزون (ل) .

(١٠٦) التحبب (غ)، (ح١)، (أ)، (ل) .

فإنه ينعقد فيه قطع كقطع الملح، فيرفع المنعقد ويحفظ.

ثم يستخرج روح الطرطير بهذه الطريقة: يؤخذ من الطرطير الأبيض الخام رطلان، ويسحق ويغمر بمثله عرق، ويوضع في مكان حار أربعة عشر يوماً ثم يقطر. فإذا بدأ القاطر يصفّر رفعت القابلة، وشددت النار على الباقي في أسفل القرعة حتى يسودّ ثم يرد القاطر على الأرض السوداء، ويوضع في مكان حار ثلاثة أيام، ثم يقطر بنار معتدلة، ثم تشد النار حتى ينقطع القاطر. ويرفع القاطر ويحفظ. ثم يؤخذ الثفل الباقي في أسفل القرعة ويضاف إليه مثله من الزاج المدبر المحفوظ. ويوضع فوق الجميع روح الطرطير المحفوظ(١٠٧)، ويوضع في مكان حار أربعة عشر يوماً، ثم يقطر بنار معتدلة حتى يقطر روح الطرطير ويحفظ. والباقي في أسفل القرعة يخرج ويسحق ثم يوضع في آلة التقطير ويقطر كما يقطر روح الزاج، ثم يجمع القاطر مع روح الطرطير، ثم يؤخذ ما في أسفل القرعة ويستخرج منه الملح كما علمت، ثم تضع الملح في قرعة طويلة العنق وتغمره بالأرواح المذكورة بمقدار ما يعلوه أربع أصابع، ويوضع في مكان حار عشرة أيام، ثم تصفى عنه الأرواح، ومابقى في أسفل القرعة من الملح، يغمر بالأرواح أيضاً كالأول ويوضع في مكان حار حتى ينحل جميع ذلك الملح في الأرواح، ثم يقطر بالأفلاطوني بواسطة الرمل الحار أولاً ثم ترفع الواسطة(١٠٨) وتشد عليه النار حتى ينقطع القاطر. ثم يؤخذ القاطر ويوضع في حمام ماريه، ويوقد تحته بنار خفيفة حتى يغلظ قوامه ويصير كالفضة المحلولة، ويرفع، وهذا هو المسهل الجامع(١٠٩).

وإن أخذت ملح الطرطير وملح الزاج، وسحق الجميع وغمر بروح الطرطير وروح الزاج وقطر كالأول كفى. وهو طريق أسهل من الطريق الأول. وكيفية استعماله أن يؤخذ

---

(١٠٧) « ويوضع فوق الجميع روح الطرطير المحفوظ» هذه الجملة غير واردة في (م).

(١٠٨) « ويرفع من الرمل الواسطة » (ل).

(١٠٩) « وهذا يكون هو المسهل الجامع » (أ).

منه جزء، ومن رب الزعفران نصف جزء. وبعض الناس يجوّز استعماله وحده. وينفع لجميع الأمراض التي تحتاج إلى تنقية. وهو ينفع لجميع الأمراض المزمنة والنوازل، والأمراض العفنية ويسقى بالشراب أو بماء الفروج أو بشراب الورد. ويسقى لمن جاوز سنه عشرين سنه إلى خمسين سنه أربع حبات، ولمن سنه عشر سنين إلى عشرين سنة ثلاث حبات، وللصبيان الصغار من حبة إلى حبتين.

ويجب على من يسقى هذا الدواء أن يحذر من البرد، ويجلس في مكان دافىء مقدار ساعة ثم ينهض ويتمشى قليلاً. وبعد مضي ساعتين إن أثر الدواء فبها ونعمة(١١٠). وإلاّ سقي شربة أخرى منه أيضاً. وفعل هذا الدواء يكون تارة بالقيء، وتارة بالإسهال، وتارة بالتعرق، وتارة بالإدرار. وفي اليوم الثاني لا يعطى العليل شيئاً من الأدوية. وفي اليوم الثالث يسقى من الدواء المذكور شربة أيضاً. ويكرر العمل كذلك ثلاث مرات أو أربع أو أكثر، بحسب قوة المرض وإزمانه(١١١) وهذا الدواء إن وجد في البدن شيئاً من الأخلاط اخرجها بالإسهال(١١٢) أو بغير ذلك. وإن لم يجد شيئاً من الأخلاط لم يظهر له أثر أبداً، فإنه ليس كباقي المسهلات التي إذا لم تجد شيئاً من الأخلاط، جذبت رطوبات البدن الصالحة.

الفصل الرابع: في الإدرار والمدر

اعلم إن الإسهال والقيء لا يكفيان في تنقية جميع الأعضاء، فاحتيج إلى اخراج بعض المواد من الأعضاء عن طريق آخر وهو طريق البول المجذب لسوائل الكبد والكلى والمثانة.

---

(١١٠) تعبير «بها ونعمة» كان تعبيراً دارجاً باللهجة العامية أيام الحكم العثماني ومعناه (كان هو المراد).

(١١١) «بحسب قوة المريض وزمانه» (أ).

(١١٢) بالإسهال أو بالقيء (أ).

صفة روح الملح المستعمل في الإدرار:

يؤخذ ملح معدني ويسحق ويرش عليه قليل من ماء المطر، ثم يعجن بمثله من طين الخزف، ويعمل منه حبوب مستطيلة[١١٣] كاللوز، ثم يجفف بالفرن ثم يوضع في الأفلاطوني إلى نصفه، ولتكن القابلة واسعة كبيرة، ويوقد تحته نار خفيفة حتى تخرج المائية، ثم تشد النار تدريجياً حتى يخرج الروح.

واعلم أن تقطير روح الملح كتقطير المياه الحادة[١١٤] ثم يحفظ الروح القاطر، وهو من العجائب. فإن بين روح الملح، والملح، غاية البعد في الأفعال. فإن الملح معطش، وروح الملح مسكن للعطش. وهذا ظاهر إذا سقيته لمن فيه استسقاء. والملح لاذع حاد، وروح الملح مسكن للذع[١١٥] مزيل للعفونة، ويفني اللحم الفاسد من غير لذع ولاوجع. وطعم الملح حاد لاذع للسان، وطعم روح الملح عذب لاحدة ولاملوحة فيه، لكن فيه قليل مرارة. وطعم روح الملح قريب من طعم عصارة التفاح ورائحته كذلك. قال براكلسوس: «الملح جوهر يزيل العفونة حافظ للأشياء من التعفن»[١١٦]. وإذا كان الأمر كذلك، ففي روحه أضعاف هذا الفعل، ولذلك إذا استعمل منه ثلاث مرات، في كل مرة ثلاث قطرات، حفظ البدن عن العفونة وأزال ما حصل منها، خصوصاً إذا حلّ فيه ورق الذهب. وإذا سقي بماء حشيشة الزجاج أو بماء كاردو نماري[١١٧] كان كافياً في الإدرار. وإذا سقي بالشراب صفى الدم ونفع من الجذام والبرص. ويسقى للإستسقاء بماء الأفسنتين في كل يوم فيظهر نفعه ظهوراً بيّناً. وإذا سقى بماء المرزنجوش أو الخزامى أو السالوبا نفع في أمراض الدماغ. ويقوي القلب إذا سقي بماء الورد أو لسان الثور أو البادرنجويه. ويقوي المعدة وينبه الشهوة إذا

---

(١١٣) متطاولة (غ).

(١١٤) المياه الحارة (غ).

(١١٥) وروح الملح لايلذع (غ)، (ك)... «وروح الملح غير لاذع» (ح١).

(١١٦) العفونة (م).

(١١٧) كارلناديني (غ)، كاردونيناديتي (م).

سقي بماء النعنع. وينفع أمراض الكبد إذا سقي بماء الهندباء أو بماء (الكاردون بني)[118] أو بماء الخس. وينفع أمراض الطحال إذا سقى بماء سقولوفندريون أو بماء البقلة الحمقاء. وإن طلي به على الطاعون جذب السمية إلى خارج، وإن سقي للطاعون دفع سميته وجلب العرق. وينفع للحمى العرقية إذا سقي بقليل من الخل. ويفتت الحصاة وينقي الكلى إذا سقي بما يناسب[119] ويقتل الديدان بماء البرنجاسف. ويطلى على الفتق الحديث[120] ويسقى صاحبه[121] مراراً فيبرأ. (وهو) بالشراب للقولنج علاج قوي ويسقى للحميات المزمنة بالعرق. ويزيل اليرقان إذا استعمل أسبوعاً (وهو) مجرب لاشبهة فيه. ويسقى للدوسنطاريا[122] والفالج والسكتة والنقرس بما يناسب من المياه. ويبرىء القروح الباطنة والشربة منه أربع قطرات إلى سبع بملعقة من الشراب أو بماء الدار صيني. وإن طلي على المفاصل[123] بما يناسب سكن أوجاعها. ويزيل القروح الخبيثة طلاء في البواسير والسرطان والآكلة وخصوصاً إذا لوزم الطلاء به فإنه يبرىء تلك القروح بإذن الله تعالى[124].

صفة روح البارود المدر للبول:

استخراج[125] روح البارود مثل استخراج روح الملح، لكن يجب أن يكون البارود جزءاً واحداً، والطين[126] ثلاثة أجزاء، وهو من العجائب[127] للقولنج وذات الجنب

---

(١١٨) الكاردونيطر (غ) - كاردوسنطو (أ) - كردوسنطو ا (م) . وفي (ف) Chardon benit)

(١١٩) بما يناسب (غ) .

(١٢٠) الحادث (غ) .

(١٢١) ويسقى منه صاحبه (م) .

(١٢٢) للظنطاريا (غ) .

(١٢٣) في كل النسخ جاء ، وإن طلي على أوجاع المفاصل ، فحذفت كلمة (أوجاع) ليستقيم المعنى.

(١٢٤) ، بإذن الله تعالى ، وردت في (م) فقط ولم ترد في النسخ الأخرى .

(١٢٥) اخراج (غ) .

(١٢٦) ودقيق الخزف (أ) .

(١٢٧) وهو عجيب (غ، ك) .

والحمى المحرقة ويخرج الأخلاط[128] البورقية واللزجة بالبول. وينفع المفاصل، وإذا طلي به على الأوجاع سكنها وحلل الأورام. الشربة منه ثلث إلى ثلثي الدرهم بما يناسب من المياه والأشربة.

صفة عمل سال برونيلا[129] ويعني ملح الجمر[130]:

يؤخذ من البارود ما شئت ويذاب في بوط، ويلقى عليه من الكبريت المصعّد لكل ثمانية دراهم من البارود درهم لاغير من الكبريت المصعّد ويلقى فيه تدريجياً حتى يشتعل وينقطع الإشتعال. ويقلب على[131] رخامة مبسوطة. وإذا حلّ بماء الورد وصفي وعقد كان أجود. الشربة منه من ثلث درهم إلى ثلثي درهم. فإنه يدر البول والعرق ويقطع العطش، وهو عظيم النفع للحمى المحرقة لانظير له. وإذا تغرغر به في الخنّاق كان حاضر النفع.

ومن المدرات القوية ملح الكهرباء وستأتي كيفية عمله، الشربة منه من خمس حبات إلى ست بماء البطراساليون.

الفصل الخامس: في المعرق

اعلم أن المعرق علاج عظيم للطاعون والحمى العرقية ويدفع السم بالعرق بالأدوية البادزهرية المعرقة وهو استفراغ كلي ولذلك قال براكلسوس: «يمكن علاج ثلث الأمراض العارضة للإنسان بالتعريق».

---

(١٢٨) الأخلاق (م).

(١٢٩) سالبورنيلا (غ) - وهو مايقابل بالأجنبية Sel Prunella، وكلمة Pruna باللاتينية تعني الجمر.

(١٣٠) ملح الحديد (ح١).

(١٣١) «وينقلب على» (غ).

صفة أنتيمون ديافوريتكو[١٣٢] وهو البادزهر المعدني:

يؤخذ من الزئبق المصعد عن الزاج (رطل)، و(من) الملح رطل، ومن الأنتيمون الخام ثلاثة أرطال ويخلط الجميع بالسحق ويوضع في مائل الرقبة ويقطر في الرمل الحار. وإن انعقد في فم مائل الرقبة شيء قربت إليه جمرة من النار حتى ينحل وينفتح الفم. فإذا انقطع القاطر، قطع الوصل، ورفع القاطر ووضع في قنينة طويلة العنق ويقطر عليه من ماء الرزين قليلاً قليلاً مع تَوَقٍّ وحذر، فإنه يغلي ويفور، ويكفي لكل رطل من القاطر أوقية من ماء الرزين[١٣٣].

أو يقطر عليه روح البارود كذلك فإنه يرسب في أسفل القنينة تربة بيضاء، ثم يؤخذ لكل رطل من هذه التربة أوقية من الذهب المحفوظ[١٣٤] بماء الرزين. ويخلط الجميع ويوضع في مائل الرقبة ويقطر على النار الخفيفة وتشدّ (النار) تدريجياً حتى يقطر الماء جميعه، ثم تشدّ النار حتى يحمر مائل الرقبة، ويبدأ منه شيء في الصعود، فحينئذ تقطع النار وتبرّد القرعة وتكسّر، فتجد فيها تربة مائلة إلى الصفرة وهي تلذع اللسان من غير فساد، ويبقى من الرطل نصف رطل ثم توضع تلك التربة في بوط على النار مقدار نصف ساعة حتى يحترق ما فيها من الأجزاء الغريبة، وينضج ما هو خام، ثم يخرج مافي البوط[١٣٥] بعد التبريد. وهذا عند[١٣٦] أصحاب الصنعة يقال له[١٣٧] الأرض العطشى، والثابت القابل. وهوأمر عظيم عندهم فإن بين الأنتيمون والذهب مناسبة تتولد عنها خاصة خفية.

---

(١٣٢) « أنتيمون ديافوريتكو » تعبير يعني « الأنتمون المعرق» ويقابله بالأجنبية Antimoine diaphorétique وهو مركب يحتوي على الأنتمونيت، والأنتمونات، ونترات البوطاسيوم (معجم دورفولت Dor vault) .

(١٣٣) يلاحظ من (ف) ص/ ٥٦ ان ابن سلوم استعمل تعبير « ماء الرزين » بدلاً من تعبير الماء الملكي Eau Régale الحالّ للذهب. ومن المعلوم ان الماء الملكي هو مزيج من حمض كلور الماء وحمض الآزوت .

(١٣٤) يقصد بذلك الذهب المحلول بماء الرزين.

(١٣٥) ثم يخرج من البوط (م، غ) .

(١٣٦) وهذا عن (غ) .

(١٣٧) «يقال له» ساقطة من (م) .

وليس كلامنا الآن في ذلك بل ذكرناه لفوائده الجليلة لبدن الإنسان، ولكونه كثير الإستعمال في أمراض شتى وهو من الأسرار التي لايباح بها، وقد ذكرناه في هذا الكتاب لوجه الله تعالى، وهو علاج كاف لكل مرض يحتاج إلى التعريق والإدرار، وهو شديد التعريق جداً من غير[١٣٨] إضعاف للقوة لما فيه من الذهب الحافظ للبلسان الطبيعي المقوي للأعضاء الرئيسية. وكذلك[١٣٩] يدر بقوة من غير إضعاف. والأمراض التي جُرِّب فيها هذا الدواء فأبرأها بإذن الله تعالى هي هذه : الحب الإفرنجي والطاعون ، والنقرس، ووجع المفاصل، والإستسقاء، وجميع الحميات العفنية، ووجع الأحشاء، وسددها، ويفتت الحصى من الكلى والمثانة. وكثير من الناس عولجوا بأنواع من العلاج ولم يخلصوا من أمراضهم ولما استعملوا هذا الدواء المبارك خلصوا من أمراضهم الرديئة. الشربة منه ثلاث حبات إلى خمس إلى ثمانية بما يناسب العلة[١٤٠] من المياه أو الأشربة[١٤١].

وللأنتيمون تدابير[١٤٢] شتى، وهذا التدبير أفضل تدابيره وأشرفها، لأنه بهذا التدبير يخلص من جميع الشوائب الفاسدة ويثبت، ويكتسب بادزهريه ويصير بها بادزهراً معدنياً صالحاً لجميع الأمراض السمية، قالعاً قاطعاً لأصول الأمراض وبذورها[١٤٣].

صفة أنتيمون معرق ساذج:

يؤخذ من الأنتيمون ما شئت، ومثله من البارود، يسحق الجميع ويوضع في بوط على النار حتى يحترق البارود، ثم يخرج الأنتيمون ويسحق ويغسل بالماء ويجفف ثم يضاف إليه مثله بارود ويحرق في البوط، ويكرر العمل مراراً، حتى يبيض الأنتيمون ثم

---

(١٣٨) كلمة «غير» لم ترد في نسخة (غ) .

(١٣٩) ولذلك (غ) .

(١٤٠) بما يناسب الداء (غ) .

(١٤١) «الأشربة» ساقطة من (م) .

(١٤٢) فوائد (غ) .

(١٤٣) وبزرها (م) .

يغمر[١٤٤] بالعرق بعد سحقه، ويطيّر عنه العرق بالنار ويحفظ. فإنه بادزهر معرق يسقى في الأمراض المحتاجة إلى التعريق. الشربة منه ستة حبات إلى ستة عشر حبة بالترياق أو بالكلبشكر[١٤٥] أو بما يناسب من المياه.

صفة روح الطرطير المجلب للعـــرق:

يؤخذ من الطرطير الأبيض ستة أرطال، ويدق جريشاً، ويغسل بماء المطر مراراً حتى ينقى[١٤٦] عن الأدران، ثم يجفف ثم يسحق ناعماً ويحلّ بالماء الحار ويصفى ويوضع في مكان بارد، فإنه ينعقد فيه قطع ملحية. ودرهم من هذا المنعقد إذا سقي بماء اللحم كان مسهلاً كافياً، وهذا يقال له عندهم الطرطير النقي. ثم يؤخذ هذا الطرطير ويوضع ويقطر في مائل الرقبة، كما تقطر المياه الحادة، وتشدّ عليه النار تدريجياً حتى يقطر الروح والدهن، ثم يعزل عنه الدهن بالصوف كما علمت، وهذا الروح الباقي بعد أخذ الدهن منتن الرائحة. فبعض الناس يضع فيه قليلاً من القرنفل ويقطره ليزول نتنه. وبعضهم يضع عليه ماء الورد ويقطره أيضاً. وبعضهم يأخذ الثفل الباقي من الطرطير المحلول بالماء الحار، ويسمى عند هذه الطائفة رأس الميت[١٤٧]، ويحرقه ويستخرج ملحه، ويحلّ الملح[١٤٨] في الروح ويقطر الجميع. وهو دواء مبارك في دفع العفونة واخراج الأخلاط العفنة بالإدرار والعرق. وإذا لوزم على سقيه للفالج والسكتة والأمراض الدماغية والعصبية، كان علاجاً كافياً. وإذا سقى للمستسقي، بماء الكبريت البحري[١٤٩] أو بماء الأقطى، أو بقليل من روح

(١٤٤) « لم يغمر » ساقطة من (م).

(١٤٥) بالكلبة سكرا (م).

(١٤٦) ينظف (غ).

(١٤٧) في النسخة الفرنسية (ف) وردت هذه التسمية بمعنى « الكتلة الميته » Masse morte.

(١٤٨) ويلج الملح (م).

(١٤٩) ماء الكبريت البحري (م، ح١)، ماء الكرنب البري (غ). وفي النسخة الفرنسية (ف) ورد مقابلاً لهذا النبات، نبات « السولدنيلا» Soldanella (من فصيلة الربيعيات Primulqcées ص ٦١/ ٦٢ من (ف).

الزاج، أخرج الأخلاط المائية بالإدرار وفتح السدد وابرأه من علته. وهو مدر للحيض، معدل للدم، مصلح لفساده. وإذا سقي في بداية الجذام، كان علاجاً كافياً. ويسقى للحمرة والجمرة والأورام السمية درهم منه بمثله من الترياق قبل الفصد فيكون علاجاً كافياً. وإذا سقي مع التربذ المعدني للحب الإفرنجي، لم يحتج إلى دواء غيره. وينفع جميع الأمراض الجلدية كالجرب والحكة والقوباء والبهق. وينفع لذات الجنب والخناق ويبرىء اليرقان. وهو للحميات العفنية[150] نعم الدواء، فإنه يدر البول والعرق ويدفع العفونة وينفع وجع المفاصل، ويسكن وجعها شرباً وطلاء. الشربة منه من ثلث درهم إلى درهم بما يناسب العلة.

قال قرولليوس: « عرض لإمرأة قولنج صعب، ثم انحلّ قولنجها، وانتقل إلى بطلان حركة اليدين والرجلين، وعولجت بأنواع العلاج والأدهان البلسانية فلم يفدها شيء من ذلك فسقيتها من هذا الدواء وطليت منه على أعضائها مراراً فكان به خلاصها من علتها.

الفصل السادس : في التقوية وحفظ البلسان الطبيعي[151]

اعلم أن التقوية وحفظ البلسان الطبيعي والأرواح واستقصات الإنسان لاتكون بالحرارة ولابالبرودة، بل بالخاصة الخفية الكامنة[152] في الدواء. ويجب استعمال الأدوية المقوية الحافظة للأرواح والقوى في جميع الأمراض، فإنه إذا قويت الطبيعة أعانت الدواء على فعله المطلوب منه، وربما كفت لأنها تنهض[153] لدفع المرض بالإسهال أو بالعرق أو بغير ذلك، وتكون سبباً لجودة البحران وغلبة الطبيعة.

---

(١٥٠) « وهو للحميات نعم الدواء » (غ).

(١٥١) هذا العنوان كما هو ورد في (ك) .« فصل في التقوية والحفظ » في باقي النسخ.

(١٥٢) الكائنة (م)، (غ)، (ك)، (أ).

(١٥٣) لأنها تنفع (م).

نعلم مما ذكر أن الدواء المقوي، إذا ضم إلى المسهل أو المعرق أو المدر أو المحلل(١٥٤) كان ذلك أجود.

صفة ملح اللؤلؤ:

يؤخذ من ملح اللؤلؤ مقدار يوضع في قنينة ويغمر بالخل المقطر بقدر مايعلوه أربع أصابع، وتوضع القنينة على رماد حار أياماً حتى ينحلّ. وإذا لم ينحلّ الجميع وبقي في القنينة بقية من اللؤلؤ صفي ماانحل وغمر الباقي بخل مقطر آخر ووضع على الرماد الحار أيضاً. ويجمع المحلول الأول والثاني، ويقطر بالقرعة والأنبيق حتى يقطر الخل المقطر، ثم يغسل الباقي في أسفل القرعة مراراً حتى لايبقى فيه شيء من السواد. وذلك بأن يطيّر عنه الماء مراراً كثيرة بعد التصفية. وهذا هو ملح اللؤلؤ. وهو من الأدوية القلبية الشريفة، وأفعاله تقارب أفعال الذهب، وهو نافع لجميع أمراض الدماغ، والعصب كفرانيطس، ومانيا، والفالج والتشنج، ويحفظ البدن عن جميع الأمراض، ويرده إلى الصحة ويقوي الدماغ والفكر، ويزيل النسيان، ويفرح القلب، ويزيل الغشي والخفقان ويجفف الرطوبات الفاسدة(١٥٥) ويمنع تولد الأمراض الناشئة عنها كالمفاصل والحميات(١٥٦) المتطاولة، ويسقى لحمى الدق، ودق الشيخوخة، والدبول مع الأشياء المرطبة المناسبة. ويسقى في الإستسقاء بعد العلاج الكلي، وهو كاف وحده في تفتيت حصى(١٥٧) الكلى والمثانة، ويحفظ الرطوبة الأصلية ويجددها، ويحفظ الشباب والقوى، ويزيد المني واللبن. وهو بادزهر للحب الإفرنجي إذا سقي منه ستة عشر يوماً متوالية بعد التنقية،في كل يوم عشر حبات. وعلى هذا المنوال يسقى للصرع والنقرس، ووجع المفاصل، ويحفظ الجنين من السقوط والآفات. الشربة منه من عشر حبات إلى ثلث درهم بماء الدارصيني أو بماء

---

(١٥٤) أو الدواء المحلل (م).

(١٥٥) الرطوبة اليابسة الفاسدة (م).

(١٥٦) والحميات والخناق (م).

(١٥٧) حصاة (غ).

لسان الثور.

صفة ملح المرجـــــان:

يؤخذ من المرجان مقدار[158] ويسحق ويغمر بالخل بقدر ما يعلوه أربع أصابع ويوضع [159] في مكان حار عشرة أيام ويصفى عنه المحلول ويغمر الباقي بخل آخر مقطر، ويترك عشرة أيام ويصفى عنه المحلول، ويوضع فوق المحلول الأول، ويكرر العمل كذلك حتى لايبقى من المرجان شيء، ثم يجمع المحلول، ويقطر، ويؤخذ ما في أسفل القرعة، ويطيّر عنه الماء القراح مراراً حتى يبيض، ويرفع، وهو ملح المرجان.

وبعض الناس يحل المرجان بروح الملح، ثم يقطر عليه دهن الطرطير، فيرسب الملح في أسفله.

وهو من الأدوية المقوية الشريفة. يقوي الدماغ، وينفع المانيا، ويزيل الوسواس، ويصفي الدم، وينفع لجميع الأمراض العارضة عن فساد الدم، ويمنع السيلانات كنزف دم البواسير[160] والحيض، والدوسنطاريا، والرعاف وخصوصاً بماء لسان الحمل، ويصفى الدم بماء الهندباء أو بماء الشاهترج ويقوي المعدة والقلب والأرواح ويفتح السدد ويقوي الأعضاء الرئيسية. وهو علاج كاف في اختناق الرحم. ويسقى أياماً متوالية للإستسقاء والتشنج والصرع والفالج بماء الدارصيني، ويفتت الحصى. الشربة منه تسع حبات إلى ثلث درهم بصفار البيض النيمبرشت أو بمرق الفروج أو ببعض المعاجين المناسبة.

كيفية استخراج أملاح الجواهر النفيسة كالياقوت والزمرد والبلور المعدني وغير ذلك:

يؤخذ من هذه الجواهر ما شئت، ويسحق بمثله من الكبريت، ويحرق في بوط على النار حتى ينقطع الدخان ويفنى الكبريت. ثم يسحق مرة أخرى ويحرق بمثله من البارود

(١٥٨) يؤخذ من المرجان مثقال (غ) - يؤخذ من المرجان ما شئت (أ).

(١٥٩) ويترك (غ).

(١٦٠) كنزف الدم والبواسير (م).

ثم يغسل بالماء الحار حتى تذهب ملوحة البارود، ثم يوضع في قنينة، ويغمر بالخل الأصلي المذكور سابقاً، ويحرك دائماً لئلاً ينعقد في أسفل القنينة، حتى ينحل، ويقطر حتى يخرج الخل الأصلي، ويؤخذ ما في أسفل القرعة، ويطيّر عنه الماء القراح بعد التصفية مراراً ويرفع. وهذه الأملاح فوائدها كفوائد الأملاح السابقة.

ومن الأدوية المقوية للأعضاء الرئيسية: دهن القرنفل، ودهن الدارصيني، وذهب الحياة[١٦١] وسيأتي عمله.

صفة الأكسير ذي الخواص الكثيرة:[١٦٢]

يؤخذ من المر والزعفران والصبر أجزاء سواء.[١٦٣] ويسحق الجميع ناعماً ويرطب بروح الشراب، ثم يغمر بدهن الكبريت بقدر ما يعلوه أربع أصابع، ويوضع في مكان حار شهراً كاملاً، بحيث يكون فم الإناء مسدوداً سداً محكماً ثم يصفى[١٦٤] المحلول منه، ويغمر الثفل الباقي بصاعد الشراب، ويوضع أيضاً في مكان حار مقدار شهر ويصفى. ويجمع المحلول الأول والثاني، ثم يقطر الثفل الباقي ويؤخذ القاطر وهو الأكسير ذو الخاصة يسحق ويجفف. فهو يمنع العفونة، وفيه قوة البلسان الطبيعي، وينفع المشايخ الكبار منفعة بالغة. وهو من العجائب لأمراض الصدر والرئة، ويجفف رطوبة المعدة الفاسدة، ويقوي المعدة والأمعاء، ويحلل الرياح، ويمنع النوازل والسعال، وينقي الصدر، ويسخن المعدة الباردة، والدماغ البارد. وهو علاج للسكتة والدوار والسدد، ويزيل ضعف البصر، ويقوي القوة الباصرة، ويقوي القلب، ويحد الذهن، ويسكن الأوجاع، ويفتت حصاة المثانة. وهو علاج كاف لحمى الربع، ويحفظ المفاصل من الأوجاع وانصباب المواد إليها.

---

(١٦١) دهن الحياة (م)، (أ).

(١٦٢) «صفة الأكسير ذي الخاصة»: في كل النسخ فيما عدا (م) وهذا الأكسير منسوب إلى براكلسوس (ف) ص / ٧٤.

(١٦٣) كلمة سواء يستعملها المؤلف كثيراً بدلاً من كلمة: متساوية.

(١٦٤) «يؤخذ المحلول منه» (غ) - «يضع المحلول منه» (م).

ويفرح القلب ويزيل الماليخوليا، وينفع الأمراض الباردة والحارة بالخاصة. والشربة منه ستة قطرات إلى اثنتي عشرة قطرة.

الفصل السابع : في مسكنات الوجع والمنومات

اعلم أن بعض الأمراض، مالم يسكن الوجع فيها، لايتمكن من علاجها كما ينبغي، وقد يحتاج إلى المنومات عند شدة السهر والضعف. ولهذا قال الأستاذ أبقراط : « الراحة صديقة للطبيعة»[١٦٥]. وأتباع جالينوس يستعملون المخدرات المنومة[١٦٦] لكنها باقية على سميتها لعدم معرفتهم بتفريق السمية عنها. وأما نحن فنستعمل من هذه الأدوية أيضاً لكن بعد التدبير وتفريق السمية عنها.

صفة لودانو لتسكين الوجع وجلب النوم من صنعة براكلسوس:

يؤخذ مقدار ثلاث أواق أفيون مدبر، ورب أصل البنج أوقية ونصف، سفوف دواء العنبر وسفوف دواء المسك[١٦٧] من كل واحد أوقيتان ونصف، موميا نصف أوقية، ملح لؤلؤ وملح مرجان من كل واحد ثلاث دراهم، كهرباء وعظم قرن الايل[١٦٨] وبادزهر وقرن الكركدن من كل واحد درهم، مسك وعنبر من كل واحد ثلث درهم، دهن أنيسون ودهن كراويا ودهن قشر النارنج ودهن قشر الأترج ودهن الجوزبوا ودهن القرنفل ودهن الدارصيني ودهن الكهرباء من كل واحد اثنتا عشرة قطرة. يخمّر الجميع بالصناعة حتى يمكن التحبيب.

كيفية تدبير أجزاء[١٦٩] لودانو وعملها :

يؤخذ أصل البنج، والقمر في الميزان أو في الحمل، ويدق في هاون من حجر

(١٦٥) الراحة صديقة إلى الطبيعة (م) .

(١٦٦) يستعملون المخدرات المنومات (غ) .

(١٦٧) « سفوف دواء المر » (م)، (ك)، (ج١) .

(١٦٨) « عظم قلب الايل » (غ)، (ك)، (أ) .

(١٦٩) كلمة « أجزاء » ساقطة في (م) .

ويعصر، ثم تعقد تلك العصارة بالشمس أو برماد حار. وكذلك يفعل باصل اللفاح إذا أريد استخراج ربّه.

وأما الأفيون فيجب أن يغمر بصاعد الشراب أربعة عشر يوماً في مكان حار، ثم يصفى ويعقد على رماد حار حتى يصيّر رباً. وكذلك بسفوف دواء العنبر وسفوف دواء المسك. فإذا أردت التركيب فاجمع أولاً بين رب الأفيون ورب البنج، وتخمره مقدار عشرة أيام ثم تضيف إليه باقي الأدوية ويخمر شهراً. وبعض الناس يرفع المسك والعنبر ويضعه حين الحاجة.

وإذا أريد سقيه لمن به اختناق الرحم ضم إليه عوض المسك والعنبر، الجندبيدستر(١٧٠) وبعض الناس يحرقون الأثفال الباقية ويخرجون منها ملحاً يضمونه إلى هذا التركيب.

صفة معجون لودانو:

يؤخذ أفيون مدبر، ورب أصل البنج من كل واحد أوقية، ورب أصل اللفاح ستة دراهم، سفوف دواء العنبر أربع أواق، ملح مرجان وملح لؤلؤ من كل واحد درهمان، كهرباء ومومياء من كل واحد درهم وثلث، بادزهر ثلث درهم، طين مختوم درهم، عسل صافي اثنتا عشرة أوقية. يعمل معجوناً غليظ القوام.

اعلم أن هذا الدواء منوم مسكن للوجع ممدوح كاسمه لأن معنى لودنو ممدوح(١٧١) ولأنه لم يبق في أجزائه شيء من السمية بهذا التدبير. وليس للمتقدمين تركيب يبلغ في

---

(١٧٠) وردت في (ف): Castoréum وترجمتها: البيدستر، (معجم الشهابي).

(١٧١) الكلمة لودنو مشتقة من الكلمة اللاتينية Laudandus ومعناها: الممدوح، واستعمل كرولليوس كلمة Laudanum إلاّ أن ابن سلوم ترجمها إلى لودنو.

الفضيلة هذا التركيب لا الترياق[172] ولا المترديطس[173] ولاالأفلونيا[174] ولاالأثانسيا[175] ولاغير ذلك وهو يسكن جميع الأوجاع الحارة والباردة والداخلة والخارجة وخصوصاً القولنج بماء النعنع مع تليين[176] الطبع وخروج الأثفال. ويمنع النوازل وخصوصاً الكائنة من مواد رقيقة. ويقطع جميع السيلانات كالإسهال الذريع، والدوسنطاريا، وإفراط عمل الدواء المسهل بالمصطكي والطين الأرمني. ويزيل السهر المفرط شرباً وطلاء. ويقطع الرعاف إذا حبب ووضع في الأنف. ويسقى لجميع الحميات بماء الأفسنتين أو بماء السذاب. ويسقى للسل والربو بماء الزوفا. وينفع السعال المزمن المقلق المانع من النوم بماء الفراسيون أو بالسكنجبين. ويقوى الحرارة الغريزية ويحفظها عن التحلل ويدفع أعراض الماليخوليا. وينفع أمراض القلب. ويسقى للقيء، والفواق، وضعف المعدة فيؤثر أثراً جميلاً. ويسقى بزعفران الحديد لنزف[177] دم الحيض والبواسير. وينفع فرانيطس، ومانيا شرباً وطلاء على الصدغين. ويسقى للصرع بروح الزاج ودهن اللوز الحلو. الشربة منه من حبتين إلى أربع بما يناسب من المياه. والشربة من معجونه من نصف درهم إلى درهم ونصف.

الفصل الثامن : في المشمومات

اعلم أن للروائح الطيبة المستنشقة تقوية للروح واعانة للطبيعة، ويدل على ذلك فعلها حين الغشي والخفقان. قال فيلاغريوس[178] : « الرائحة الطيبة غذاء للروح والقلب

(١٧٢) إلاّ الترياق (م، غ)، حتى ولا الترياق (أ).

(١٧٣) متروديطوس (أ)، متريديطوس (غ،ح١)، وهي بالأجنبية Mitridat Andromachi ويدخل في تركيبها الأفيون، وقد وردت في أقراباذين نيكولا من القرن الرابع عشر تحقيق درقو مطبوع في باريس / ١٨٩٦.

(١٧٤) هي الفيلونيو Philonio ويدخل في تركيبها الأفيون.

(١٧٥) الأثاناسيا هي الـ Athanasia Magna ويدخل في تركيبها الأفيون.

(١٧٦) لين الطبع (م، غ).

(١٧٧) لنفث (غ).

(١٧٨) فيلاغريوس Philagrius هو من علماء القرن الخامس الميلادي.

ولذلك كانت علاجاً كلياً خصوصاً في الحميات الوبائية، وأيام الطاعون، وبعض الأمراض المحتاج إليها في تقوية القلب والروح.

صفة شموم لبراكلـــوس:

يؤخذ بسباسة، وقرنفل، ودارصيني من كل واحد درهمان. عنبر وصمغ عربي من كل واحد درهم. مسك نصف درهم. زباد درهمان. كثيراءدرهمان.

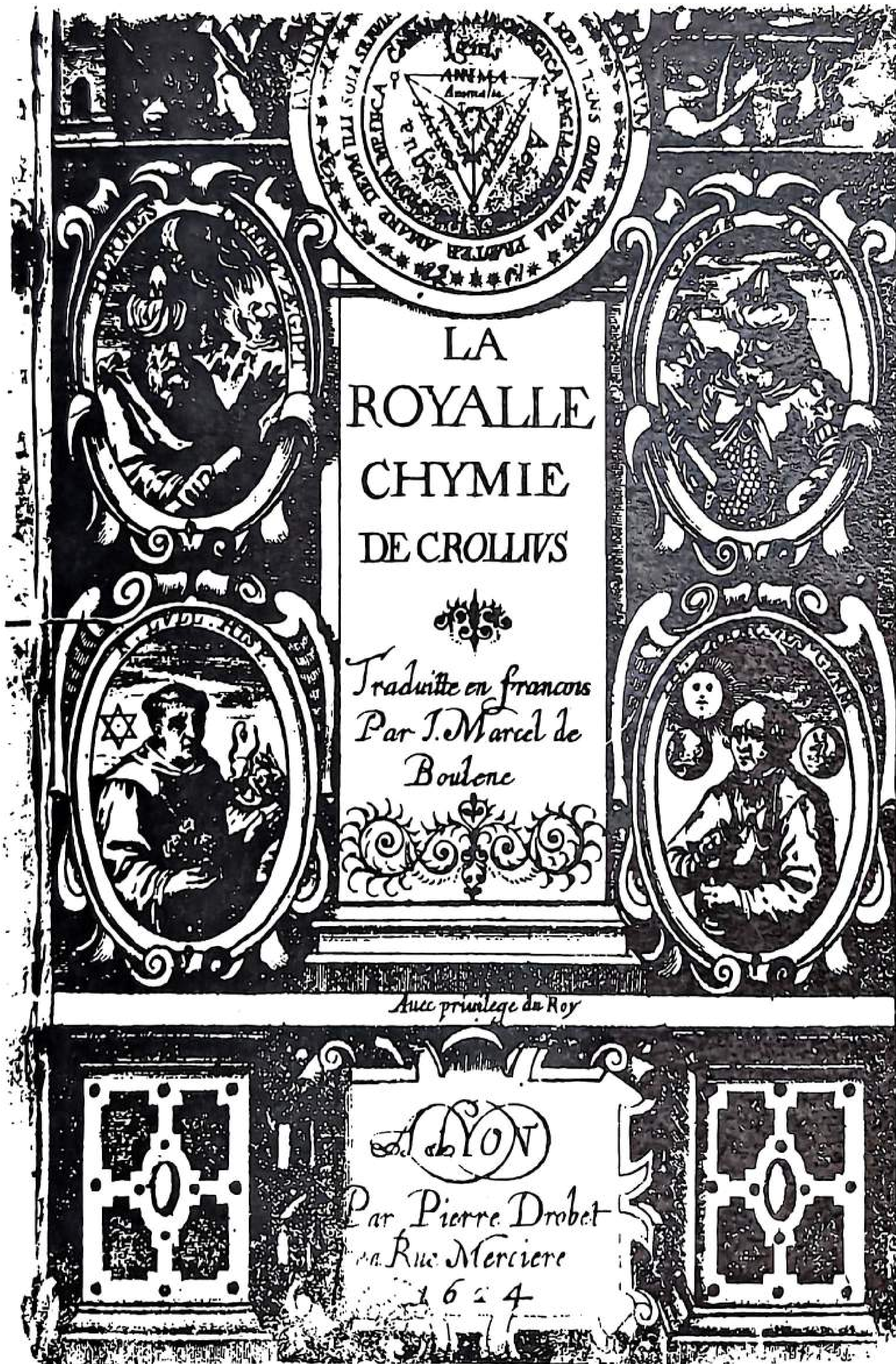
يسحق ما يجب سحقه، ويحل ما يجب حله بماء الورد ويعجن ويجعل شمامة. وهذه الشمامة نافعة للصداع(١٧٩) والسكتة والغشي وأيام الوباء والطاعون. وتنفع للقولنج(١٨٠). وتقوي الباه تقوية عظيمة إذا حل منها قليل بدهن الجوزبوا ودهنت به آلات التناسل(١٨١).

---

(١٧٩) نافعة للصرع (ك)، (ل)، (ح١).

(١٨٠) « وتنفع للقولنج » ساقطة من (غ).

(١٨١) الجملة بكاملها وردت في (م) بنص مختلف ولكن بنفس المعنى.



الكيمياء الملكية لقروللیوس
ترجمة فرنسية مطبوعة بفرنسا عام ١٦٢٤ ، الغلاف
وتظهر عليه صور : جابر بن حيان ،هرمس ريموندلول ،وبراكلسوس
(ف)

المقالــــة الثانيــــة

في العلاجــــات الجزئيــــة

صفة دواء يقوي الأعضاء الرئيسية السبعة:

قال براكلسوس ما لم تقوَ الأعضاء الرئيسية لم يمكن[1] علاج الأمراض، فاحتجنا[2] إلى دواء مقوّ للأعضاء[3] الرئيسية ليعيننا في معالجة جميع الأمراض. وهذا الدواء مجرب من الأطباء الكيميائيين، يعطى في كثير من الأمراض وصفته:

يؤخذ من دهن الكهرباء درهمان، روح الزاج وملح قحف رأس الإنسان من كل واحد نصف أوقية، رب الزعفران ورب القرمز من كل واحد درهمان، وملح لؤلؤ وملح مرجان من كل واحد أوقية، دهن الدارصيني ودهن البسباسة من كل واحد نصف درهم، لبن الكبريت أوقية، طباشير أوقية ونصف، ملح الطرطير أوقية، أنتيمون معرق نصف أوقية، زعفران المريخ[4] ورب الخلدونيا ورب الراوند من كل واحد نصف أوقية، ملح البلور المعدني أوقية.

يـ ـحق ما يقبل السحق ويخلط مع الأدوية ويعجن بالترياق وسكر الورد بحيث يصير معجوناً معتدل القوام. وبعض الناس يزيد في هذه الأدوية درهمين من دهن زاج النحاس، ونصف درهم من دهن الجوزبوا لتدخل المعدة في الجملة ويعطى لكل مرض مع ما يناسب ذلك المرض. الشربة منه من خمس حبات إلى خمس عشرة حبة بماء (الكاردون

---

(١) لم يكن (م).

(٢) فاعلمنا (م).

(٣) مقوي الأعضاء (م).

(٤) زعفران المريخ يعني زعفران الحديد باعتبار أن الكيمائيين يطلقون أحياناً على الحديد اسم المريخ.

بني)[٥] أو بما يناسب العلة والمرض .

صفة دواء لأمراض الرأس المزمنة:

يؤخذ من الزاج المحرق رطل ونصف، ومن عظم قحف الرأس[٦] وخشب الدبق وحافر حمار الوحش وفاوانيا من كل واحد أوقية. يدق الجميع ويرطب بصاعد الشراب ويقطر، ويؤخذ من القاطر رطل، ومن الجندبيدستر[٧] وسفوف دواء المسك من كل واحد نصف أوقية، بلاذر ستة دراهم، عرق جيد خالص عن المائية أربعة أرطال، ملح فاوانيا وملح لؤلؤ وملح مرجان من كل واحد نصف درهم، دهن أنيسون ودهن كهرباء من كل واحد ثلثا درهم. يخمر الجميع شهراً كاملاً في حمام ماريه. ثم يرفع لوقت الحاجة. الشربة منه نصف ملعقة لجميع أمراض الدماغ وخصوصاً الصرع ويجب أن يسقى تسعة أيام متوالية، ويسقى للصرع المزمن بروح الزاج.

صفة دواء لأمراض العصب المزمنة وخصوصاً للفالج والسكتة:

يؤخذ زهر المسك الرومي وهو نوع من البلانتس وهو الأخلامور، وزهر فاونيا وزهر البوصير ومرزنجوش وبتونيكا وسالويا[٨] وخزامى واكليل الجبل وقراصيا سوداء: أجزاء متساوية ويوضع الجميع في خابية ويوضع فوقه رطل من الخردل المسحوق ومقدار من الخمير ثم يغمر بالماء القراح بمقدار ما يعلو الأدوية أربع أصابع. ويترك حتى يتخمر ثم يقطر ويرفع القاطر، ويسقى منه وقت الحاجة نصف معلقة بقطرة من دهن الكهرباء، ويطلى به

---

(٥) كاردوسنطو (أ) ـ كردوسنطرا (م)، كاردوليطر (غ) وصحيحه «كاردون بني» Chardon benit .

(٦) قحف رأس الإنسان (أ، ك) .

(٧) الجندبيدستر يقابله في النسخة الفرنسية Castoréum ويعني مفرزات عطرية تفرزها الأجهزة التناسلية لحيوان «القندس» Castor ويسمى هذا الحيوان أيضاً البيدستر والبادرستر (موسوعة لاروس الكبرى) .

(٨) نبات من فصيلة السالفيا Salvia يدعى «سواك النبي» أو «المريمية»، وبالأجنبية Sauge (ف/ ص٩٧)، أحمد عيسى ص/ ١٦٩

من خارج أيضاً على الأعصاب والفقرات.

صفة دهن الكهربـا ء:

يؤخـذ كـهـرباء أبيض، ويدق جـريشـاً ويغـسل مـراراً حتـى تذهب أدرانه، ثـم يوضع بقرعة ليست بطويلة. ثم يوضع فوقه ماء الورد وماء البتونيكا لئلا يحترق الدهن. ويجب أن تكون القابلة كبيرة واسعة. ولتكن النار معتدلة ليست بقوية محرقة ولاضعيفة توجب الجمـود. فـأول قـاطر هو الماء مع شيء من الدهن، ثـم يقطر الدهن ثـم ترفع القـابلـة، وتوضع قابلة أخرى، وتشد النـار قليلاً، فيقطر منه شيء أسود. ثم تشد النار حتى يصعد نوشادره، والباقي في أسفل القرعة كرأس الميت، ثم يعزل الدهن عن الماء، ويقطر عنه ماء المرزنجوش مراراً حتى تطيب رائحته. ويؤخذ النشادر ويحل ويعقد ثلاث مرات ويحفظ.

ويسـمى دهن الكهربـاء الدهن الشريف لكونه يقوي الأعـضاء الشـريفة وخصـوصاً الدماغ، وهو للصـرع والسكتة لانظير له، وكذلك يطلى على الطاعون ويسقى بماء الشـوكة المباركة. الشربة منه ثلث درهم[9] وهو لا نظير له للفالج والسكتة والصرع إذا سقى بماء الأخلامور أو بماء البتـونيكا أو بماء المرزنجوش أو بماء الخزامي أو بروح القراصيـا. ويطلى من خـارج على التشنج والفالج ببعض الأدهان المناسبـة. وإذا سقى بماء البطراسـاليـون فتت الحصى وأدر البـول ويسقى لعسـر الولادة بماء البرنجاسف. وينـفع جـمـيع النوازل البـاردة شرباً وطلاءً، وينفع في اختناق الرحم شماً وشرباً، ويقوي الأفعال الطبيعية إذا عمل منه جوارش بالسكر، وإذا سقى قبل نوبة الحمى بماء الشوكـة المباركـة منع النوبة، ويسكن وجع الأسنان إذا تمضمض به مع ماء لسان الحمل[10]، ويسقى لليرقان بماء الخلدونيا أو بماء الهندباء أو بماء الكشوث فيبرئه، ويحل عسر البول بصاعد الشراب[11]. ويدر الحيض إذا

(٩) من ثلث درهم (غ).

(١٠) مع ماء لسان الثور (م).

(١١) ويحل عسر البول بالشراب (غ، ك) - ويحل عسر البول بالشراب الصرف (أ).

سقى بماء البرنجاسف. ويسقى لقيء الدم وإسهاله بماء الطور منتلاً. ويقوي القوى الباصرة إذا اكتحل به بماء الرازيانج.

صفة دواء لأمراض العين:

يؤخذ من الشراب الصرف رطل، ومن الماء المقطر من بياض البيض المشوى رطل، ومن الماء المقطر من دم الإنسان أوقية، ومن ماء الورد ثلاث أواق، ومن ماء الخلدونيا ومن ماء السذاب ومن ماء الأفراجيا(١٢) ومن ماء الرازيانج ومن ماء الفوة ومن الفوتنج(١٣) ومن ماء الشاهترج من كل واحد أوقيتان، شب وسكر نبات وزاج أبيض من كل واحد نصف أوقية، كافور ثلاثة دراهم، ملح الإفراجيا وملح الرازيانج وملح الأسرب من كل واحد درهم ملح اللؤلؤ وملح المرجان من كل واحد ثلثا درهم، قرنفل وزنجبيل ومصطكي من كل واحد درهم، توتياء مدبرة بأن تحمى وتطفأ بماء الورد مراراً أوقية، صبر نصف أوقية. يسحق جميع(١٤) القابل للسحق ويخلط بالمياه ويوضع في إناء من النحاس الأحمر في الشمس الحادة مدة أربعين يوماً ويحرك في كل يوم مراراً، وهو ينفع جميع أمراض العين كالبياض والغشاوة والقروح والجرب(١٥) وضعف البصر. تقطر منه في العين قطرة أو قطرتان .

ويصنع من الخلدونيا والسرطان النهري ماء بالتقطير ينفع جميع أمراض العين وخصوصاً القروح فإنه يبرئها في يوم واحد وليلة .

صفة دواء لأمراض الأسنان:

يؤخذ من(١٦) دهن القرنفل نصف أوقية، ومن(١٧) روح الترمنتين نصف أوقية، يخلط

---

(١٢) الإفراجيا (غ) - يسمى بالفرنسية Euphraise وباللاتينية Euphrasia وهو نبات ذو أزهار صغيرة بيضاء، صفراء أو حمراء والمستعمل للعين هو Euphrasia Officinalis (موسوعة لاروس الكبرى) .

(١٣) ماء الفوتيمنج (غ) . ورد هذا النبات في (ف) ص/ ١٠٧ باسم فالمريان وهذا ما يقابل الفو وليس الفوه .

(١٤) كلمة «جميع» ساقطة من (غ) .

(١٥) الغرب (م، غ) - جرب العين يقابله في (ف) ص/ ١٠٧ كلمة Chassie أي سيلان سائل لزج يخرج من العين .

(١٦) ، (١٧) كلمة «من» لم ترد إلا في نسخة (أ) وقد أثبتها لسلامة الصياغة .

الجميع ويحل فيه نصف درهم من الكافور ويوضع منه على الأسنان الموجعة[١٨] قطرة في قطنة ويوضع في مكان تآكل الأسنان فيسكن الوجع ويشد الأسنان.

صفة ماء لذلك:

يؤخذ النمام والسعتر السالويا وفوتنج نهري وبرادة الغياقو[١٩] وبرادة شجر الطرفاء وبرادة البقس من كل واحد قبضة. ويوضع الجميع في إناء ويغمر بالعرق[٢٠] المحلول فيه قليل من الأفيون بحيث يعلو الأدوية أربع أصابع، ويوضع في مكان حار أياماً حتى يخرج اللون فيه. ثم يصفى ويرفع ويوضع منه عند الحاجة على السن الموجعة ويتمضمض به.

دواء أمراض الصدر:

وهذا الدواء يقال له لبن الكبريت[٢١] وصفته:

يؤخذ من الكبريت المصعّد جزء ومن ملح الطرطير ثلاثة أجزاء، يسحق الجميع ويوضع في إناء مطين بطين الحكمة ويغمر بماء المطر المقطر حتى يعلوه[٢٢] بستة أصابع ويكون ثلاثة أرباع الإناء للدواء والماء، والربع الباقي فارغاً. ويوضع الإناء على رمل حار حتى يغلي ويذوب ويحرك بعود دائماً فينحل في أربع ساعات أو خمس. ثم يصفى المحلول ويوضع في إناء آخر ويوضع عليه مقدار من الشراب ويرفع في مكان حار، والثفل الباقي يكرر عليه الغمر[٢٣] بماء المطر والطبخ على الرمل الحار حتى ينحل الجميع ولا يبقى شيء،

(١٨) الموجوعة (غ)، الوجعة (م، غ، ح١).

(١٩) العياقر (م).

(٢٠) العرق هو صاعد الشراب أي محلول كحولي مركز.

(٢١) دواء الكبريت (م) حليب الكبريت (أ).

(٢٢) يغلو (غ).

(٢٣) الكمر (غ).

ويجمع المحلول مع المحلول ،[٢٤] الأول ويوضع في مكان حار حتى يرسب في أسفله الكبريت ثم يصفى عنه الماء برفق، ثم يغمر بماء المطر ويحرك كثيراً ثم يترك حتى يرسب الكبريت ويصفى عنه الماء أيضاً. ولايزال يفعل ذلك[٢٥] حتى يبيض الكبريت ولا يتغير الماء الذي يغمر به. ثم يجفف في مكان حار ويرفع تربة بيضاء. وهو بلسان الرطوبة الطبيعية، ويصفي الدم ويبرىء الأمراض الحادثة من فساده فينفع الجذام والحب الإفرنجي والبرص وينفع التشنج والسكتة وأمراض العصب وينفع بالخاصة للرئة وللأمراض الصدرية كالربو وضيق النفس والسل والسعال الحادث، والسعال القديم، ويجفف الرطوبة النازلة، ويمنع النوازل ويقوي الدماغ ويحلل رياح المعدة والقولنج. وينفع حمى الدق، والدبول. وإذا حلّ بماء الدارصيني يصير كالحليب ويسقى فينفع الحمى بالخاصة[٢٦].

قال قرولليوس: جربنا ذلك مراراً فرأيناه نافعاً. وكذلك ينفع السل فإنه يجفف الرطوبة الفاسدة، ويزيد الرطوبة الطبيعية، ولانظير له لوجع المفاصل والنقرس، وعرق النسا، ويفعل بكيفيته الخفية[٢٧]وصورته النوعية في الأمراض فعل النار في الحطب. الشربة من ذلك ثلث درهم أو أقل أو أزيد بحسب المزاج والسن بماء الدارصيني أو بماء البادرنجبويه أو بماء المرزنجوش أو بصاعد الشراب.

صفة دواء أمراض القلب :

يجب في معالجات الأمراض تقوية القلب وحفظه، فإنه منبع الروح الحيواني ومحل الحرارة الغريزية، ومنه تستمد جميع الأعضاء القوى لأنه أشرف ما في بدن الإنسان.

---

(٢٤) مع المحلول ساقط في (م).

(٢٥) كذلك (م).

(٢٦) الخاصة (غ).

(٢٧) الخفية (غ).

ونسبته إلى بدن الإنسان كنسبة الشمس إلى العالم، ونسبة الذهب الحي إلى جميع المعادن، فإنه يكملها ويرقيها إلى مرتبة كمالها، وكنسبة التراب إلى جميع النباتات. واعلم أن الذهب إذا أمكن اخراجه من الحبس وإحياؤه[٢٨] بحيث ينمو ويتولد منه شكله، كان حافظاً للقلب مجدداً للبلسان الطبيعي، ويرجع الشيخ إلى شبابه ويبرىء كل عاهة ومرض أعيا الأطباء علاجه، لكن الوصول إلى هذه المرتبة أمر عسير دونه خرط القتاد. وما لا يدرك جله[٢٩] لايترك كله. فإذا الجائع لم يجد لحم الحجل[٣٠] ووجد لحم البقر، استغنى به في سد جوعته، لكن أين غذاء لحم الحجل من غذاء لحم البقر. ولما كان الذهب مفرحاً للقلب، مقوياً له لكونه نظيراً له في العالم فإن اظهار هذه القوة منه تحتاج إلى تدبير يلطف جسمه ويخلخله، ويزيل ثقله عن الأعضاء. وقد ذكرنا له هنا تدبيراً حسناً هو أشرف تدابيره بعد التدبير الكبير. قال قرولليوس: نحن جربنا هذا الذهب مراراً بهذا التدبير، فكان جليل النفع عظيم المقدار. ويقال لهذا الذهب :[٣١] المدبّر أو أورروم فولمينس[٣٢]، فإنه إذا أصابته النار ظهر منه[٣٣] صوت عظيم كصوت الرعد، واحترق وأحرق ما صادف، وكان أعظم من البارود بمراتب، حتى قيل أن سدس درهم منه، إذا أصابته النار فعل فعل رطل من البارود، ويقال له أورروم بوطابلا[٣٤] يعني الذهب القادر، لأنه يقدر على دفع المواد واخراجها بالعرق، ويدفع الأمراض الردية ويقال له أورروم

(٢٨) واحياه (م).

(٢٩) كله (غ، ح١، ك، أ).

(٣٠) العجل (ح١، ك).

(٣١) الدواء (م).

(٣٢) Aurum Fulmineus ومعناه الذهب الصاعق وقد ترجمه ابن سلوم بالذهب الرعد.

(٣٣) ظهر منه: ساقطة من (غ).

(٣٤) في النسخة الفرنسية (ف) وردت بتعبير Or Potable فنقلها ابن سلوم باللفظ نفسه ولكن بأحرف عربية.

ولاطيلا[٣٥] يعني الذهب النباتي .

وصفته :

يؤخذ من الماء الحاد المقطر عن الزاج[٣٦] والبارود نصف رطل ويحل فيه أوقية من العقاب[٣٧] الصافي على نار خفيفة أو رماد حار وحينئذ يسمى هذا الماء اكواريس[٣٨] يعني الماء الملكي، وتحل فيه ما أردت من الذهب كما علمت فيما سبق، ثم يوضع المحلول في إناء واسع من زجاج، وليكن المحلول إلى نصف الإناء، ثم يسد فمه بشيء مثقوب، ثم يقطر عليه دهن الطرطير من ذلك الثقب قليلاً قليلاً، فإنه يغلي ويفور فوراناً عظيماً، ولايزال يقطّر عليه من الدهن المذكور قطرةبعد قطرة حتى يرسب الذهب في أسفل الإناء تربة صفراء. وعلامة نقاء الذهب عن الماء أن يبيض ويصفو بعد صفرته. وإن لم يوجد دهن الطرطير، يقطر عليه ملح الطرطير المحلول، فهو كاف. ثم يصفى عنه الماء ويغسل الباقي في أسفل الإناء بالماء مراراً حتى لا يبقى فيه طعم ملوحة ولاحدة. ويجب أن تجففه بعيداً عن النار في حمام ماريه أو في مكان حار، فإنه يشتعل بأدنى سبب وتظهر عنه أصوات كأصوات الرعد، وصوت الطوب[٣٩]، والحذر ثم الحذر أن تقرب إليه الحديد، فإنه حين يلاقيه يشتعل من نفسه من غير نار، ولا تجد منه مقدار[٤٠] ذرة إن بقيت حياً ولم تصبك ناره.

---

(٣٥) هذا التعبير يقابل Aurum Volatile ومعناه الذهب الطيار، وقد فسره ابن سلوم بالذهب النباتي وربما قصد من كلمة « النباتي » معناها الفلسفي .

(٣٦) المزاج (غ) - والمقصود بالماء الحاد « الماء القوي» Eau Forte وهي تسمية قديمة لحمض الآزوت .

(٣٧) العقاب هو كلور النشادر، وهو ماذكر في (ف) ص/١٢٣

(٣٨) هو الاكواركس Aqua - Rex .

(٣٩) « الطوب » كلمة تركية تعني « المدفع » وكانت مستعملة في سورية ولبنان أيضاً .

(٤٠) مثقال (غ) - ذرة (م) .

قال قرولليوس :

وهذا الصوت أظنه للمضادة بين العقاب والطرطير، كما يكون بين البارود والكبريت أو أن روح البارود نفذ للطافته في أجزاء الذهب واختلط بكبريته فظهر منه هذا الصوت العظيم[41]. واعلم أن روح البارود ليست كالبارود، ولاكبريتية الذهب كالكبريت العادي، فإنهما لطيفان حاران يكادان يشتعلان من غير نار بأدنى حرارة تشعلها فيتخلخلان ويطلبان الصعود فيفرقان أجزاء الذهب بقوة فيظهر ذلك الصوت المهول. وإذا وضعت منه حبة على الحديد وقربت إليه النار اشتعل وغاص في الحديد، وخرقه وخرج من الطرف الآخر.

وهذا الذهب المبارك ينفع البدن الإنساني، ويجلب العرق، ويدفع أكثر الأمراض إذا استعمل منه حبتان[42].

ومن العجائب ا نه إذا وضع مع مثله من الكبريت المسحوق الممزوج به بالسحق، ووضع على النار، فإنه يشتعل من غير صوت، ويبقى منه في البوط تربة حمراء. وهذه التربة الحمراء إذا وضع عليها روح الملح انحلت وصارت كاالشمس المحلول[43] وزعم بعضهم أن هذا الحل هو الحل الأصلي، وليس الأمر كما زعم، فإنه يرجع أيضاً إلى الذهبية، ولأنه خالطه روح الملح اليابس فليس بحل طبيعي. ومن هذا الذهب[44] المبارك المسمى ذهب الرعد يصنع الذهب القادر، وهو من الأسرار التي لايباح بها، ولكن رجاء الثواب وأن ينتفع به النوع الإنساني نذكر تدبيره.

ونذكر أولاً الأمور اللازمة في تدبيره :

---

(٤١) فظهر منه هذا الصوت العظيم وردت في (أ) فقط.

(٤٢) حبات (م، ك، أ) واعتقد أن المقصود هو حبتان يومياً.

(٤٣) هو ما سبق أن أسماه (أوروم بتابيلا) أي الذهب المحلول

(٤٤) الدهن (م).

الأول : في استخراج روح البـــول :

يؤخذ عشرة أرطال من بول شاب [45] معتدل المزاج وقد شرب شراباً معتدلاً، ويقطر في حمام ماريه، ثم يعزل عنه المائية بالتقطير مرة أو مرتين أو أكثرفيبقى عشره. وبعد خروج الروح [46] تشدّ النار ليصعد مافي الأرض [47] من الملح النوشادري إلى قبة الأنبيق، ثم يؤخذ [48] الروح وله رائحة منتنة، فيقطر مع ماء المطر [49] مرتين، فيخرج في الأول الروح مختلطاً بالماء، وفي الثاني يخرج الروح أولاً ويبقى ماء المطر وفيه الرائحة المنتنة في أسفل القرعة، ثم يؤخذ من هذا الروح المطهر جزء مع مثله [50] من العرق الصافي [51] ويوضع في مكان حار يومين وليلتين، ثم يقطر ويرفع وهو روح البول.

الثاني : في استخراج روح الملـح:

يؤخذ من الملح المعدني ما شئت ويسحق ويوضع في مائل الرقبة ويكون فخاراً قوياً ويقطركما علمت، وإن رددت [52] القاطر على أرض جديدة من الملح وقطر أيضاً كان أجود. ثم تأخذ من ذهب الرعد ما شئت ويغمر بروح الملح فإنه ينحل، فإذا انحلّ طيّر عنه الروح. ثم يغمر أيضاً بروح الملح حتى ينحل ثم يطير عنه الروح أيضاً. يفعل ذلك مراراً حتى ينحل حلاً دهنياً.

ثم يؤخذ بقدر المحلول من روح البول ويقطر على المحلول في إناء كبير، قطرة قطرة

---

(٤٥) انسان شاب (غ) ، انسان مناسب (ح١ ، ك)

(٤٦) الروح : ساقطة في (غ) .

(٤٧) يقصد بذلك أسفل جهاز التقطير .

(٤٨) تأخذ (م) .

(٤٩) مع ما في المطر (غ) .

(٥٠) في مثله (م) .

(٥١) العرق هو سائل كحولي مركز ناتج من تقطير الخمر ويسمى ، صاعد الشراب، أيضاً .

(٥٢) وإن رد (غ) .

كما قطرت في أول حل الذهب، دهن الطرطير، فإنه يغلي ويفور، ولايزال يقطر عليه روح البول حتى ينقطع الغليان، ثم يوضع في التعفين أربعة أسابيع ثم يوضع في مائل الرقبة ويوضع على الرمل ويقطر بنار معتدلة حتى تخرج الأرواح، ثم تشد النار حتى يصعد أكثر الذهب. ثم يؤخذ الذهب الصاعد ويغمر بصاعد الشراب على حرارة لطيفة حتى يحمر العرق. ويجر عنه العرق ويغمر بعرق آخر حتى يحمر العرق ويجر أيضاً، ولايزال يفعل ذلك حتى لا يبقى في الذهب الصاعد شيء من اللون، وما بقي من الذهب في أسفل القرعة كرر عليه العمل بالغمر بروح الملح والتقطير حتى ينحل حلاً دهنياً، ثم يقطر عليه روح البول كالأول قطرة قطرة، وتقطر عنه الأرواح ثم تشد النار ليصعد الذهب، ثم يؤخذ لون الصاعد بصاعد الشراب حتى لا يبقى فيه شيء من اللون. ثم يجمع العرق الذي فيه اللون ويقطر فيبقى الذهب في أسفل القرعة محلولاً أحمر. وإذ شدّ على هذا المحلول النار قطر أيضاً دهناً أحمر كالدم، وهذا الحل الطبيعي.

وبعض الناس يحلون الذهب حلا غير طبيعي[٥٣] لونه أصفر ويدعون أنهم حلوه حلاً طبيعياً وليس الأمر كذلك، فإنه إذا وضع في إناء من قلعي أو فضة سوده بخلاف الذهب المحلول حلا طبيعياً، فإنه إذا وضع في إناء من قلعي أو فضة صبغه صبغاً كاملاً، وبهذا التدبير خرج عن الصورة الذهبية[٥٤] ولايمكن عوده إليها ولو دبر مهما دبر.

وقد ذكر سنارتوس لذلك طريقاً سهلاً فوجده غاية، قال:

يؤخذ من الذهب المكلس بالعرق ما شئت، ويغمر بروح البول المقطر مع العرق المتروك اثنى عشر يوماً في حمام ماريه حتى ينضج، ويوضع في الآلة الهرمسية شهراً كاملاً في التعفين ثم يخرج ويصفى أحمر كالدم، ثم يغمر بروح البول، والعرق النضيج ما بقي

---

(٥٣) ليس بطبيعي (غ، ح١).

(٥٤) خرج مخرج الذهبية (غ).

من الذهب ثم يوضع في التعفين اثني عشر يوماً ويصفى ويجمع مع الأول. ويفعل ذلك حتى لا يبقى من اللون شيء، ثم يقطر روح البول عنه بنار معتدلة، فيبقى في أسفل القرعة دهن أحمر كالدم. فيوضع الدهن في قرعة قصيرة أو في مائل الرقبة ويقطر بالنار حتى يقطر أحمر كالدم وتبقى الأرض سوداء كالإسفنج. ثم يرفع الدهن الأحمر في قنينة ويحفظ، فإنه يبرىء من جميع الأمراض والعاهات، ويعيد الشيخ شاباً. وهو ينفع الصرع والسكتة والبرص والإستسقاء والمفاصل والسرطان والحميات الوبائية وجميع الأمراض الحادثة عن الأخلاط الرديئة، لانظير له.

وستارقوس يقول أيضاً(٥٥) إنه ليس بحل طبيعي بل إنما هو تصغير أجزاء الذهب وهو يفرح القلب ويقويه لمشابهته الدم في اللون(٥٦) وبكيفيته الخفية. ونحن إنما صنعناه لعلاج الأمراض لا لشيء غير ذلك من الأشياء التي يزعمها أرباب صناعة الكيمياء الذين يغشون الناس ويغرونهم، عاملهم الله بعدله ..

دواء لأمراض المعدة:

صفة استخراج زاج الزهرة(٥٧) والمريخ(٥٨)

تؤخذ صفائح النحاس أو الحديد الرقيقة(٥٩) وتقرض بالمقراض قطعاً(٦٠) صغاراً، ثم توضع في إناء من خزف: ساف(٦١) منها وساف من الكبريت المسحوق ثم توضع على النار وتشدّ النار حتى يحترق وينقطع الدخان ويكون ذلك في ساعة زمانية، ثم يخرج ويبرد،

---

(٥٥) «أيضاً» ساقطة من (غ).

(٥٦) السكون (غ).

(٥٧) الزهرة تعني النحاس.

(٥٨) المريخ يعني الحديد.

(٥٩) مرققة (غ).

(٦٠) قطعاً: وردت في (أ).

(٦١) يبدو أن كلمة «ساف» عامية بمعنى طبقه.

فيخرج النحاس رماداً مائلاً إلى السواد، فيسحق ويحلّ ويوضع في إناء من خزف ويحرق حرق الأنتموان، ثم يخرج ويسحق ويوضع لكل رطل منه ثلاث أواق من الكبريت، ثم يحرق على النار مقدار ربع ساعة[٦٢] يكرر العمل كذلك خمس مرات أو ست. وفي كل مرة ينقص من مقدار الكبريت حتى يصل إلى الأوقية، ثم يسحق في إناء من خشب ويغمر بالماء الحار ويحرك حتى ينحل ماءً اسمانجونياً[٦٣] إن كان العمل من نحاس، وماءً أخضر إن كان العمل من حديد. ثم يصفى ويطبخ بنار خفيفة حتى يذهب نصف الماء. ثم يوضع في مكان بارد فإنه ينعقد فيه الزاج كقطع الشب الأزرق، والزاج النحاسي اسمانجوني، والحديدي أخضر، ثم استخرج روح الزاجين كما علمت. ولاتظنن أن روح زاج النحاس وروح زاج الحديد كروح الزاج الطبيعي، بل هو أقوى[٦٤] منه بمراتب.

وقال براكلسوس في كتابه المسمى بطول الروح والعمر:[٦٥]

إن في هذين الزاجين خلا ثقيفاً جائعاً يأكل كل ما يلقي فيه[٦٦] ولافساد في كبريتهما. وقال في كتاب العلاجات إن نصف عمل الشراباتي عمل روح الزاجات، وهو الأصل لجميع العلاجات وجل[٦٧] الأعمال. والشربة من روح هذين الزاجين خمس حبات أو ست بالشراب أو بماء النعنع أو بماء الفروج ويسقى لضعف[٦٨] المعدة وبرودتها وعدم هضمها. وهو نافع لجميع أمراض المعدة حارها وباردها بالخاصة. ويفتت حصى الكلى

(٦٢) مقدار أربع ساعات (ع).

(٦٣) أزرق (آ) - اسمانجوني هو اللون الأزرق السماوي.

(٦٤) أشرف (ع).

(٦٥) هذا الكتاب ورد في اللاتينية (ف) ص / ١٣٤ كما يلي De Vita Longa.

(٦٦) كلما لقي فيه (م)، والخل الثقيف هو المتناهي في الحموضة (القاموس المنجد).

(٦٧) واجلّ (م).

(٦٨) لضعيف (م)

والمثانة إذا سقي بماء حشيشة الزجاج[٦٩] . ويسكن لهيب الحميات بماء الورد أو بالشراب أو بماء القنطريون وينفع الرأس بماء الخزامى أو الفاونيا، ويسقى لليرقان بماء الخلدونيا وللطاعون بسكر النبات ومعجون حب العرعر. وإن سقي بالترياق جلب العرق ودفع الضرر الحادث عن شرب الزئبق أو الطلاء به[٧٠] وينفع داء الثعلب إذا طلي بماء الخلدونيا، ويطلى على الجمرة والجرب والحكة ويسقى لجميع الأمراض السددية[٧١] والعفنية، فإنه يفتح السدد ويمنع العفونة. والشربة منه لهذه الأمراض من حبتين إلى خمس حبات[٧٢] بما يناسب العلة.

وقد يسقى بمرق الفروج، ويجب أن يدثر[٧٣] المريض بعد سقيه، بالثياب في مكان حار حتى يعرق. ويجب اجتنابه في أورام المعدة والكبد لأنه شديد الحموضة. وقد يصلح روح الزاج بالبنفسج أو بالورد أو بشقائق النعمان أو بالقرمز ثم توضع معه قطرة من دهن القرنفل ويسقى لكل ما يناسبه.

دواء الرحم، صفة أكسير لأمراض الرحم :

يؤخذ نصف رطل جندبيدستر، ومن الزعفران أوقيتان، يعمل ربا بعد أخذ اللون بصاعد الشراب، ثم يضاف إليه أربع أواق من رب البرنجاسف وأوقية من ملح الصدف، ودهن ألجليقا ودهن أنيسون ودهن كهرباء من كل واحد درهمان. يخلط الجميع ويعقد على نار خفيفة. الشربة منه ثلث درهم إلى ثلثي درهم وهو يفتح سدد الرحم ويدر الحيض

---

(٦٩) ذكر ابن سلوم هذا الاسم ترجمة لنبات arrét de boeuf الواردة ذكره في النسخة الفرنسية بدلاً من شرش أو زوبعة ابليس. أما حشيشة الزجاج فهي تقابل بالفرنسية كلمة Pariétaire .

(٧٠) أو الصلابة (غ) .

(٧١) الصدرية (م) .

(٧٢) من أربع حبات إلى خمس حبات (غ، ك) ـ من خمس حبات إلى خمس حبات (ح١) ـ من ثلاث إلى خمس حبات (أ) .

(٧٣) يدبر (م) .

وينفع في اختناق الرحم ويصلح لجميع أمراض الرحم.

صفة ملح المشتري النافع لاختناق الرحم شرباً وطلاءً:

يحرق المشتري[٧٤] بالنار حتى يصير رماداً، ثم يغمر بالخل المقطر حتى ينحل. ثم يصفى ويوضع في مكان بارد، فإنه ينعقد فيه الملح. ثم يحلّ هذا الملح بالماء القراح ويعقد مرات[٧٥] حتى تذهب حموضته، وهو من الأسرار. إذا سقى منه ثلاث حبات أو أربع بماء البرنجاسف أبرأ اختناق الرحم. وكذلك يطلى به[٧٦] من خارج فينفع نفعاً بيناً.

صفة ماء مقطر لذلك:[٧٧]

يؤخذ مشكطرا مشيع ودوقو[٧٨] من كل واحد أوقية، ودارصيني وسليخه وبادرنجبويه من كل واحد ثلثا درهم، زعفران ثلاثة دراهم، جندبيدستر نصف أوقية. يسحق الجميع ناعماً وينقع في عصير السذاب[٧٩] أربعة أيام، ويقطر في حمام ماريه. الشربة منه ملعقة ولايؤكل بعده طعام إلى مضي ثلاث ساعات.

صفة دواء يفتح سدد الطحال ويدر الحيض

يؤخذ طحال البقر ويقطع قطعاً صغاراً وينقع في العرق المحلول فيه المر أربعة أيام. ثم يجفف في مكان حار، ثم يسحق ويغمر بالعرق حتى يخرج اللون، ثم يطيّر عنه العرق حتى يصبح رباً، وقد يقطر فيه قليل من دهن الأنجليقا لتطيب رائحته. الشربة ثلث درهم. لانظير له في تفتيح سدد الطحال وإدرار دم الحيض وهو من الأسرار.

---

(٧٤) المشتري يعنى معدن القصدير.

(٧٥) مراراً (ع، ح١).

(٧٦) وكذلك إذا طلى به (م، أ).

(٧٧) كذلك (ع، ح١).

(٧٨) ودقو (م).

(٧٩) عصير الشراب السذاب (م).

دواء الكلى[٨٠] والمثانة :

اعلم أن الحصى المتولدة في هذه الأعضاء أنواع كثيرة[٨١] في القلة والكثرة واليبوسة والرخاوة والموضع. وتتولد من فضلات الغذاء الطرطيرية المستعدة للإنعقاد. والعاقد لها الروح الحار المخصوص بذلك العضو، مع ضعف هضم العضو، وكثرة المادة الطرطيرية. واعلم انه إذا كانت القوة الدافعة ضعيفة، والقوة العاقدة قوية، كان الإنعقاد سريعاً.

صفة ملح يفتت حصى الكلى والمثانة من صنعة براكلسوس :

تؤخذ عيون السرطانات، وحجر مثانة الإنسان، وحجر اليهود وكهرباء، وحجر الإسفنج، وبللور معدني، والأحجار البيض المستديرة التي توجد بقرب الأنهار. ويحرق الجميع بالكبريت والبارود، ثم يحل في الخل المقطّر ثم يصفى ويستخرج الملح منه كما علمت. ويحلّ ذلك الملح ويعقد مراراً ثم يسقى لمن يتولد فيه الحصى[٨٢] في أي عضو كان فإنه يفتتها ويخرجها بالخاصة. الشربة منه ثلث درهم إلى ثلثي درهم بماء حشيشة الزجاج أو بماء الطراغيون[٨٣] أو بماء البطراساليون ويسقى للنساء بماء حب العرعر، أو بماء البادرنجبويه ويعطى في ربع دورة القمر[٨٤] وإذا سقي العليل نصف درهم من سال برونيلا مع قليل من الزعفران والبسباسة كان علاجاً كافياً.

دواء الإستسقاء :[٨٥]

اعلم أن الفضلات الحاصلة مما يؤكل ويشرب ثلاث :

---

(٨٠) دواء أمراض الكلى (غ) .

(٨١) كثيرة الأنواع (غ) ـ أنواعها كثيرة (أ) .

(٨٢) لمن تولدت فيه الحصى (غ) .

(٨٣) البطراغيون (غ) .

(٨٤) ويعطى في دورة القمر (غ، ك) .

(٨٥) دواء لمرض الإستسقاء (غ) ـ دواء للإستسقاء (أ، ح١) .

الأول : المائية ، والثاني: الكبريت ، والثالث : الملح

والفضلة الثالثة التي هي الملح، إذا عرض لها عارض أوجب انحلالها تولد الإستسقاء.

صفة دواء مسهل لمرض الإستسقاء :

يؤخذ رب الخربق أربع حبات تربد معدني حبتان، يعمل حباً ويسقى، فإن لم تحصل التنقية التامة كرر سقي الدواء، إلى أن تحصل التنقية التامة ثم يؤخذ ثلاثة أجزاء من الكبريت المصعد عن الزاج وجزء من زعفران الحديد المصنوع بماء الكبريت ويسقى منه نصف درهم في الصباح، ونصف درهم في أواسط النهار، ونصف درهم في المساء. ويستعمل ذلك أياماً متوالية ثم يعرق العليل بطبيخ الغياقو أو بماء الترياق، ويغذى بالأغذية المجففة ويستعمل شراب الأفسنتين المنقوع فيه[٨٦] الفولاذ المدبر.

دواء الإسهال :

إن كان الهضم قوياً وكانت القوة المميزة ضعيفة حدثت زنطارية، وإن كانت القوة المميزة قوية والهاضمة ضعيفة[٨٧] تولدت الهيضة، وإن كانت القوتان ضعيفتين عرض زلق المعدة والأمعاء .

صفة سفوف لذلك لانظير له :

يؤخذ كهرباء، ودم الأخوين، وشاذنج[٨٨] ومرجان وبزر البقلة الحمقاء وبزر لسان الحمل[٨٩] وطور منتلا وطين مختوم من كل واحد أوقيتان، جلنار أوقية، جوزبوا أربعة عدداً،

(٨٦) المنقوع في الفولاذ (م) وقد وردت تسميته بالأجنبية في (ف) Vin d'Absinth ferré .

(٨٧) الجملة من « حدثت زنطارية » ... حتى كلمة « ضعيفة » ساقطة من نسخة (م) .

(٨٨) ساذج (م)، شادنج (غ، أ)، وهو أكسيد الحديدي أو ما يسمى بحجر الدم Pierre hematite .

(٨٩) لسان الثور (م) .

دارصيني نصف أوقية، زعفران المريخ[٩٠] وطلق محرق وصدف[٩١] محرق، وعظم إنسان محرق من كل واحد أوقية. يسحق الجميع ناعماً ويعمل[٩٢] سفوفاً. وهو من العجائب لأنواع الإسهال ونزف الدم من أي نوع كان كالدوسنطاريا والرعاف[٩٣] والزلق وا فراط الطمث وغير ذلك. وهو قلما[٩٤] يسقى ثلاث مرات، فإنه ربما أبرأ من سقي مرة أو مرتين. الشربة منه درهم إلى درهم ونصف بماء لسان الحمل. وينفع الدوسنطاريا أن طلي به من خارج مع الترياق والطين المختوم.

صفة زعفران الحديد :

يؤخذ خبث الحديد الأزرق[٩٥] كثير اللمعان وهو يتولد في معادن الحديد ويسحق ناعماً على رخامة ويوضع في إناء من زجاج ويغمر بالخل المقطر بقدر ما يعلوه أربع أصابع ويوضع في مكان حار أربعة عشر يوماً ثم يصفى ويطير عنه الخل بالطبخ والباقي هو زعفران الحديد، ثم يغسل بالماء القراح مرات حتى تذهب عنه الحموضة ويجفف ويحفظ. وإن وضع في مكان بارد، انحلّ ماء ويسمى حينئذ دهن الحديد، وهوينفع جميع السيلانات، وإسهال الدم، وسيلان الرحم، وسيلان المني، وإفراط دم البواسير، وسلس البول، ويقطع نزف الدم من خارج ومن داخل. الشربة من ثلث درهم إلى نصف درهم بشراب السفرجل أو بالكلبشكر ويفتح سدد الكبد والطحال ويقويهما. وينبغي أن يعطى أولاً الملطفات والمسهلات ثم يسقى .

ويسقى لأمراض الكبد والطحال بماء سقولوفندريون أو بماء الطرفاء أو بماء

(٩٠) أي زعفران الحديد Crocus Martis .

(٩١) وصندل (م) .

(٩٢) يستعمل (م) .

(٩٣) الرعف .

(٩٤) قد (م) .

(٩٥) ورد في النسخة الفرنسية (ف) أنه خبث الحديد الأصفر .

برشاوشان. ويسقى لأمراض الكبد بماء الهندباء أو بماء الأغريمونيا أو بماء السكوريا[٩٦] ويسقى للإستسقاء بماء الأفسنتين، ويقوي المعدة ويمنع الغشيان إذا سقى بالكلبشكر، الشربة منه لهذه الأمراض من ثماني حبات إلى ثماني عشرة حبة.

دواء لتقوية الجماع :

اعلم أن الرأو ند إذا قلي فارقته القوة[٩٧] المسهلة. كذلك الساطريون وهو خصى الثعلب الكبير، إذا جف ذهبت تقويته[٩٨] للجماع. هكذا وجدنا بالتجربة، ويجب أن تؤخذ الملآنة وتترك الصغيرة الفارغة من خصية الثعلب.

يؤخذ خصى الثعلب الرطب ويسحق في هاون من حجر يوضع فيه من لباب الخبز ويخلط، ويوضع في قرعة يوضع عليها أنبيق أعمى بعد غمره بصاعد الشراب، ويعفن في بطن الفرس أو في حمام ماريه شهرين. ثم يخرج ويصفى عنه العرق برفق، ويوضع ذلك العرق في بطن الفرس شهرين أيضاً، فإنه يصير أحمر كالدم. والثفل الباقي يحرق ويستخرج ملحه ويوضع على هذا الأحمر. وقد يقطر عليه قطرات من دهن الدارصيني لتطيب رائحته. وهذا الدواء يقوي البدن ويعينه على الجماع لانظير له، ويزيد في المني ويرجع الشيخ إلى صباه[٩٩]. الشربة منه من ثلث درهم إلى درهم، ويسقى فوقه قليل من الشراب الريحاني[١٠٠] وقد يخلط بالكلبشكر ويشرب فوق الشراب.

---

(٩٦) خبث البراكين وهو مايسمى بالأجنبية Scoric أو Scoria .

(٩٧) اللـــذة (م) .

(٩٨) قوتـــه (م) .

(٩٩) ويرجع الشيخ شبا (م) .

(١٠٠) الشراب الريحاني تقابله في (ف) Vin muscat أي الشراب المسكي .

دواء المفاصل والنقرس :

علاج المفاصل في ابتداء العلة سهل يزول ببعض الأدهان البلسانية[١٠١] وإما إذا أزمن واستحكم فيعسر علاجه. فحينئذ يحتاج إلى المسهلات والمدرات والمعرقات.

وبراكلسوس جرب لذلك، الزئبق المرجاني والمسهل المجرّب لذلك. وقد خلّص به قوماً كثيرين من هذا المرض.

وصفته :

أن يؤخذ من السورنجان والتربذ ورب السقمونيا والسنا وعظم قحف الإنسان[١٠٢] وسكر أجزاء سواء[١٠٣] يسحق الجميع ويعطى منه نصف درهم كل صباح بماء الكمافيطوس. وهذا المسهل كاف في تنقية المفاصل والنقرس.

وأما الأدوية المقوية للمفاصل، المانعة لانصباب المواد إليها فهي روح الزاج وملح اللؤلؤ والشراب المطبوخ فيه الغياقو والوجّ والفرنجمشك.

صفة دهن بلسان[١٠٤] يسكن وجع المفاصل والنقرس :

يؤخذ زاج محرق رطلان، عسل بشمعه رطل، صاعد الشراب رطل، صمغ البطم أربع أواق، رعي الحمام ستة أواق، اكليل الجبل خمسة أواق[١٠٥]، ومن الحصى المستديرة التي توجد بقرب الأنهار والمحرقة نصف رطل. يجمع الجميع ويوضع في مكان حار ثلاثة أيام ثم يقطر، ويحرق الثفل الباقي في القرعة ويستخرج ملحه ويحلّ في القاطر ويقطر

---

(١٠١) فكرة سهولة شفاء داء المفاصل والنقرس في بدايته ببعض الأدهان : ينقلها كرولليوس عن العالم سيلميريوس (ق / ١٦٠) وقد سبق التعريف به في إحدى الحواشي.

(١٠٢) قحف الرأس الإنساني (غ).

(١٠٣) أجزاء سوى (م).

(١٠٤) هذه الكلمة ترجمة لكلمة Baume أي البلسم.

(١٠٥) الجملة الأخيرة ساقطة من (غ).

أيضاً. وهو من العجائب في تسكين وجع المفاصل والنقرس وتحليل موادها. تبلّ به الخرق وتوضع على محل الوجع، ولاترفع حتى تجفّ. ثم يكرر العمل حتى يزول المرض بالكلية، ويكون ذلك بعد تنقية المفاصل كما علمت.

دواء آخر :

يؤخذ دهن عظام الإنسان[١٠٦] أو دهن عظام رأس الفرس[١٠٧] المستخرج بالتقطير، ودهن الآجر من كل واحد أوقية، دهن صمغ البطم ودهن حب العرعر من كل واحد ثلاث أواق، يخلط الجميع ويقطر في حمام ماريه ويطلى به على الوجع فإنه يسكنه ويحلل المواد، خصوصاً ماكان عن برودة.

صفة مرهم للدلك :

يؤخذ من الورد عشر قبضات، ومن قشور أصل البنج الرطبة ستة قبضات، ويطبخ الجميع برطلين من الشراب طبخاً قوياً، ثم يصفى ويعصر مافيه ثم يطير الشراب بالطبخ، فيبقى في أسفل الإناء شيء كالعسل، يؤخذ ويخلط به رطلان من شحم الخنزير حتى يصير كالمرهم، ثم تخلط به أوقية من الأفيون المحلول بالشراب ودرهم من الزعفران، وأوقية من زهر البوصير، فإنه يصير مرهماً رمادي اللون لانظير له في تسكين وجع المفاصل.

في أدوية الحميات :

اعلم أن الحمى إما[١٠٨] أن تكون زئبقية أو كبريتية أو ملحية أو مركبة من ذلك. وجميعها تحتاج إلى الإستفراغ. ومما ينفع لذلك التربذ المعدني[١٠٩] والمسهل الجامع. وبعد

---

(١٠٦) في النسخة الفرنسية (ف) ص / ١٦٣ : عظام الإنسان الذي مات بنتيجة عنف كاختناق أو شنق وتعرض طويلاً للشمس والقمر .

(١٠٧) في (ف) ص / ١٦٣ : عظام الفكوك السفلى للفرس .

(١٠٨) اما ساقطة في (م) .

(١٠٩) التربذ المغذى (م) .

استفراغ المادة، يسقى هذا السفوف :

وصفتـــــــه :

يؤخذ من الحلزون[110] الذي يوجد في الأماكن الخربة والأبنية ما شئت وينقع في الخلّ ليلة، ثم يخرج ما فيه من اللحم ويرمى به، ثم يحرق[111] حتى يبيض، يسقى منه ثلثا درهم وقت النوبة بشيء من الشراب المسخن أو بالسمن ويدثر العليل بالثياب حتى يعرق، وهو قل أن[112] يحتاج إلى تكراره مرتين أو ثلاثاً وهومن العجائب .

دواء آخـــــر :

يسقى في جميع الحميات الدائرة واللازمة. يسقى في الدائرة وقت النوبة وفي اللازمة بكرة النهار. يؤخذ روح الزاج ثلث درهم، ملح الأفسنتين نصف درهم، ماء الهندباء أوقية ونصف، والمجموع شربة واحدة[113] وإن كان العليل ضعيفاً يجعل روح الزاج سدس درهم.

في دواء الطاعون والحمى الوبائية والأمراض الوافدة أيضاً[114] :

يؤخذ من الكبريت المصعّد ثلاث أواق، ويغمر بدهن حب العرعر بقدر ما يعلوه أربع أصابع، ثم يوضع على رمل حار ويحرّك إلى أن يذوب وينحلّ في الدهن ثم يرفع عن النار حتى يبرد. ثم يوضع عليه ربع جزء من دهن الكهرباء، ويحرك على النار أيضاً حتى يمتزج. ثم يؤخذ رطل من الترياق ويحلّ بالعرق ويستخرج ربه كما علمت. ثم يؤخذ راسن والجليقا وحب العرعر ويغمر بالعرق ويستخرج روحه بالتقطير. ثم تجمع هذه الأدوية الثلاثة التي هي الكبريت المدبّر، ورب الترياق وروح الأدوية الثلاثة في إناء وتوضع في

(١١٠) الحلزون (غ)، الحلدونيا (ح١) .

(١١١) أي لحرق قوقعته .

(١١٢) أنه (م) .

(١١٣) ضربة واحدة (م) .

(١١٤) أيضاً لم ترد إلا في (م) .

مكان حار أربعة عشر يوماً. وهذا الدواء من الأسرار للطاعون والأمراض الوبائية والوافدة. وإذا سقى منه أيام الطاعون والوباء في كل صباح قطرتان بالشراب أو الخل أو بمايناسب من المياه، حفظ الأبدان عن العفونة ومنع حدوث الطاعون والوباء. وأما الذين عرض لهم الطاعون والحمى الوبائية، فيسقون من ذلك ثلث درهم بالشراب أو الخل أو بما يناسب من المياه فيدر العرق إدراراً قوياً ويخرج السموم بالعرق.

صفة تصعيد الكبريت :

اعلم أن الكبريت لاينبغي أن يسقى منه ما هو عبيط غير مصعّد. اللهم إلاّ أن يكون صعّد في معدنه ووقع في طرف من المعدن كما في بلاد إيطاليا فإن فيها جبلاً دائماً يشعل ناراً، ويصعد بهذا الإشتعال كبريت كثير من معدنه ويقع في جوانب الجبل ويعلق على بعض الأحجار والجروف كالطل[115]. وأهل تلك الناحية يجمعونه وينقلونه إلى بعض البلاد، ولافرق بينه وبين الكبريت المصعّد بالصناعة .

وكيفية تصعيد الكبريت :

أن يؤخذ رطل من الكبريت ونصف رطل من الملح ونصف رطل من الزاج المحرق. يسحق الجميع ويوضع في آلة التصعيد في رمل في طنجرة من الخزف. وتوقد تحت القدرة النار حتى يصعد الكبريت، واحذر أن تسخن في الآثال فإن الصاعد يذوب بالحرارة ويسقط إلى أسفل. وإن كرر تصعيده على ملح وزاج جديدين ثلاث مرات[116] كان أجود. وبعض الناس يضع على الآثال أنبيقاً له خندق فإن ذاب منه شيء سقط في خندق الأنبيق ثم يرفع الكبريت المصعّد ويحفظ.

صفة دواء دهن الكبريت[117] لبراكلسوس :

---

(١١٥) كالظل (م) .

(١١٦) ثلاث امرار (م) .

(١١٧) زهر الكبريت (غ). وقد جاء في النسخة الفرنسية (ف) ص /١٤٨ ما يفيد أن كروللبوس في بحثه عن دهن الكبريت استند على ثلاثة كتب لبراكلسوس هي :

Livre de Paragraph - Livre de la Nature - Livre et Chapitre de Sulfure

يؤخذ من الكبريت المصعد أوقية ونصف، مرّ درهم، حبر وزعفران وطين مختوم من كل واحد ثلث درهم. يسحق الجميع ويعمل جوارشاً بالسكر المحلول بماء الورد.

دواء آخر لدهن الكبريت :

يؤخذ من الكبريت المصعد رطل ونصف، قلقطار[(١١٨)] ست أواق، صبر أربع أواق، مر وكندر ومستكة من كل واحد ثلاث أواق، ملح خمسة دراهم، زعفران نصف أوقية. يسحق الجميع ناعماً ويوضع في آلة التصعيد، ويصعد كما يصعد الكبريت. وإن كرر تصعيده كان أجود. ويجب أن تكون الآلة غير ملآنة لئلا يحترق، بل إلى نصفها. ولفوائد دهن الكبريت الساذج والمركب، إن المركب منه يسقى للطاعون والحميات الوبائية وذات الجنب والقولنج ولجميع[(١١٩)] أمراض الصدر والرئة، ويفتح سدد الكبد. الشربة منه ثلث درهم إلى نصف.

وأما زهر الكبريت الساذج فيسقى منه درهم للطاعون بماء الشوكة المباركة، أو بالترياق، أو بشراب الأترج أو بماء البادرنجبويه وكذلك يسقى لمنع العفونة وذات الجنب والأورام، وإن شرب منه في كل يوم قليل منع الأمراض الحادثة عن الرطوبة. وإن سقى للحب الإفرنجي والأمراض الجلدية والأمراض التي تحتاج إلى التجفيف كان علاجاً كافياً لانظير له. وينفع جميع أمراض الصدر والرئة كالربو وضيق النفس والسعال القديم الحادث والنوازل المزمنة. وكذلك يسقى للحميات والشربة منه لهذه العلل من نصف درهم إلى درهم بحسب قوة العليل وسنه. وقد يعمل جوارشاً بالسكر والكثيراء ويسقى. ولايجوز سقيه للحوامل خوف الإسقاط[(١٢٠)].

---

(١١٨) القلقطار Colcotar أو Colcothar هو ثالث أكسيد الحديد O^3Fe^2 ويسمى أيضاً أكسيد الحديد الأحمر، أو أحمر بروسيا أو أحمر انكلترا (كتاب Officine Dowault ص / ٩٩٢).

(١١٩) ويمنع (غ).

(١٢٠) لأجل خوف الإسقاط (م).

صفـــة مـاء التريـــــاق :

يؤخذ من الترياق الجيد خمس أواق، مرّ أوقيتان ونصف، دارصيني وزعفران من كل واحد نصف أوقية، كافور درهمان. يغمر بصاعد الشراب الذي نقع فيه الأنجليقا بقدر ما يعلوه أربع أصابع، ويوضع في مكان حتى يخرج اللون ويصفى ويغمر بعرق آخر في مكان حار حتى يخرج اللون، ثم يصفى ويوضع مع العرق الأول، ولايزال يفعل كذلك حتى لايبقى في الأدوية شيء من اللون. ثم يجمع الجميع ويقطر ويرفع أو يوضع عليه ست أواق من روح الطرطير ويوضع في الآلة الهرمسية ويقطر تقطيراً دورياً حتى يرد القاطرعلى الأرض ويصعد ويترك يفعل ذلك أياماً في حمام ماريه. وهذا الماء ملعقة منه بالشراب للطاعون يدفع السمية ويجلب العرق ويقوي الأعضاء الرئيسية وينفع جميع الأمراض ويسقى لمن تضرر بشراب الزئبق أو بطلائه فيخلصه ويصفي الدم وينفع الحب الإفرنجي ويمنع العفونة ويقتل الديدان ويحلل الرياح ويسكن وجع الأحشاء، ولانظير له في الحميات والخفقان واليرقان ويسقى بماء الشوكة المباركة أو بالشراب أو بما يناسب من المياه.

دواء السموم، صفة ترياق الموميا :

يؤخذ من الموميا الإنساني[١٢١] اليابسة غير كريهة الرائحة نصف رطل ويصنع منها رب بصاعد الشراب، ثم يؤخذ من الترياق أربع أواق، زيت صافي أوقيتان، ملح لؤلؤ وملح مرجان من كل واحد درهمان، طين مختوم أوقيتان مسك درهم. يسحق ما يجب سحقه ويخلط الجميع ويوضع في مكان حار شهراً كاملاً حتى ينضج[١٢٢] ثم يستعمل للسموم،

(١٢١) وردت التسمية في (ف) بالموميا البحرية Mumie Transmarine وذكرت طريقة تحضيرها كما يلي :

يؤخذ من جثث سمك الفريدي Pagel ، شرائح توضع في الشمس يوما وليلة وتشبع بالمر والصبر، تعطن وتغطس بصاعد الشراب، ثم تجفف الشرائح بالتعليق في الهواء، ثم يؤخذ صبغها الكحولي .

(١٢٢) ينطبخ (م) .

فإنه ترياق عظيم النفع، جليل المقدار، ينفع لجميع السموم[١٢٣] المعدنية والحيوانية والنباتية وينفع الأورام السمية والطاعونية. وإذا شرب منه في كل يوم ثلث درهم. أمن شاربه من ضرر السموم وحدوث الطاعون. ويسقى منه للأمراض السمية نصف درهم بماء الحشيشة المباركة. وقلما يحتاج إلى تكرار سقيه مرة أخرى. وإن كان السم قد سقى منه لإنسان، يسقى منه درهم مع دهن اللوز الحلو، فإنه يخرج السم بالقيء أو بالإسهال بعون الله تعالى.

صفة دواء نافع لجميع السموم[١٢٤] من صنعة براكلسوس :

وهو كاف لجميع السموم المعدنية والنباتية والحيوانية. يؤخذ من دم البط ما أردت، ويقطر في حمام ماريه، ويحفظ القاطر، ويرفع ما بقي في أسفل القرعة ويجفف. ثم تؤخذ قوانص البط[١٢٥] وتحرق حتى تصير رماداً، ثم يغمر الرماد بالقاطر من دم البط ويستخرج ملحه كما علمت. ثم يسحق الملح مع الدم المجفف الباقي في أسفل القرعة ويوضع لكل رطل من المجموع أوقية من الكهرباء. ومرجان وزبيب أسود مسحوق بعد التجفيف ورب الموميا وجدوار من كل واحد نصف أوقية، بادزهر[١٢٦] ثلاثة دراهم، ترياق جيد أوقية ونصف. يسحق الجميع ويخلط ويغمر بدهن حب الصنوبر بقدر مايعلو[١٢٧] الأدوية أربع أصابع، ويسد فم الإناء ويحفظ. وكلما عتق كان أجود، ويسقى منه نصف أوقية بالشراب أو بالحليب لمن سقي السموم، فإنه لايمضي[١٢٨] سدس ساعة إلا وقد خلص المسموم من السم بعون الله تعالى .

---

(١٢٣) كلمة السموم ساقطة من (م) .

(١٢٤) لجميع الأمراض السمية (ع) .

(١٢٥) كلمة « البط » ساقطة من (ع) .

(١٢٦) البادزهر هو ترجمة لكلمة Pierre Besoard أو Bezoar وهي من أصل فارسي وتعني تجمدات حجرية تحصل في معدة بعض الحيوانات، وكان القدماء يظنون أنها تطرد السموم أو تزيل تأثيرها في الجسم (معجم الشهابي، مكتبة لبنان، طبعة ثانية / ١٩٨٢ .

(١٢٧) ما تعلوه (م) .

(١٢٨) فإن ولا يمضي (م) .

فصل في أدوية الجراح والقروح[129]

صفة بلسان ينفع جميع الجراحات سواء كانت من التوفنك[130] أو من الطوب[131] أو من السيف أو من الرمح أو من غيـــر ذلك .

يؤخذ زهر هيوفاريقون رطل. زهر الخيري وزهر البوصير وورق الخلدونيا وقنطريون صغير وراوند ومشكطرا مشيع وزهر البابونج وسنفيطن من كل واحد نصف أوقية، ورد يابس أوقية ونصف، موميا وكندر من كل واحد أوقية ونصف مصطكي أوقية، وميعه سائلة أوقيتان. يسحق ما يجب سحقه ويحل الجميع برطلين من صاعد الشراب، ويوضع في الشمس الحادة أو في الفرن حتى يخرج اللون. ثم يصفى ويكرر العمل حتى لايبقى في الأدوية شيء من اللون. وإن لم يكرر العمل، يوضع على الثفل زيت صاف بقدر ما يغمره، ويوضع في مكان حار ثمانية أيام ثم يعصر ما فيه من الدهن، ثم يؤخذ من صمغ البطم خمسة أرطال ومن الراتنج أوقية ونصف، ويغسل بماء الهيوفاريقون. ثم يجمع الجميع في إناء ويوضع في مكان حار أو في شمس حادة حتى ينضج، ثم يطيّر عنه صاعد الشراب فيبقى في الإناء أحمر سائل كالعسل. وقد يصنع أيام الشتاء بأدوية جافة، والأجود أن يصنع بالأدوية الرطبة. وينبغي أن تغسل الجراح والقروح بالشراب قبل وضعه، ثم يوضع عليها. وإن انقطع عرق أو شريان أو عصب، فيطلى هذا الدهن ثم يضمد بضماد استركتوم فيبرأ من ألمه بإذن الله تبارك وتعالى[132].

---

(١٢٩) انفردت (م) بإضافة التعبير التالي بعد كلمة « القروح » : « وأيضاً غيرها » ، فلم أثبتها في المتن المحقق .

(١٣٠) التوفنك : البندقية باللغة التركية .

(١٣١) الطوب : المدفع باللغة التركية .

(١٣٢) بإذن الله تعالى (آ، ح١، غ) .

صفة ضماد اسعركتوم[١٣٣] من صنعة براكلسوس النافع لجميع القروح والجراح والفك والكسر والخلع واللوى وهو علاج جامع لانظير لـه :

يؤخذ سيليقون ومرقشيتا من كل واحد نصف رطل، مرداسنج فضي وذهبي من كل واحـد ثلاث أواق، دهـن بـزر كـتـان وزيت مـن كل واحـد رطل ونصـف، دهن حـب الغـار نصف أوقية، قلفونيا[١٣٤] وشمع من كل واحد رطل، صمغ العرعر وصمغ البطم من كل واحد نصف رطل[١٣٥]، جاوشير أوقية، مقل واشق وسكبينج من كل واحد ثلاث أواق، كهرباء وكندر ومر وصبر وزراوند طويل ومدحرج من كل واحد أوقية، ومغناطيس وموميا بحرية وشاذنج من كل واحد أوقية ونصف، مرجان أحمر وأبيض وصدف ودم الأخوين وزاج أبيض وطين مختوم من كل واحد أوقية ، أنتيمون مصعّد درهمان، زعفران الحديد وكافور من كل واحد أوقية.

وكيفية العمـــل :

أن تحلّ الصموغ الخمسة بالخل، وتصفى ويطيّر عنها الخل بنار خفيفة حتى تبقى كالعسل، ثم يطبخ المرداسنج بالزيت ودهن بزر الكتان حتى يتغير لون المرداسنج. ثم تذر عليه المرقشيتا مسحوقة ثم يلقى فيه السيلقون ثم يطبخ حتى ينعقد ثم يلقى فيه دهن حب الغار والقلفونيا والشمع وصمغ العرعر وصمغ البطم بعد حله على النار، ويحرك على نار خفيفة ثم تلقى الصموغ المحلولة بالخل تدريجاً، ويحرك دائماً لئلا يتقطع ويتدحرج، ثم تلقى عليه الأدوية الباقية مسحوقة، و آخر ما يلقى فيه الكافور محلولاً بدهن العرعر. وإذا

---

(١٣٣) وردت هذه الكلمة في نسخة (ل) ص / ١٨٩ باسم ستريكتيك Strictique .

(١٣٤) قلوفيا (م) .

(١٣٥) أوقية (م) .

رأيته يابساً[١٣٦] لابأس أن يلين بقليل من الزيت والشمع، وعلامة تمام طبخه أن لايعلق باليد ولايدبق .

ثم يلقى في الماء حتى ينعقد، ثم تدهن اليد بدهن البابونج ودهن الخراطين ويقطع قطعاً طوالاً ويرفع. وينفع هذا الضماد للقروح والجراح الحديثة والقديمة في أي عضو كانت، ويحفظ[١٣٧] ويقوي العضو وينقي القروح، وينبت اللحم في القروح والجراح ويلحمها، ويفعل في أسبوع ما يفعل غيره في شهر. ويمنع العفونة ويزيل اللحم الزائد، ويجذب الرصاص والنبال والنصال من الجراح، وينفع لنهش الحيوانات السمية ويحلل الصلابات وينضج ما يقبل النضج منها. وينفع السرطانات والخنازير والنواسير[١٣٨] منفعة بالغة ويسكن الأوجاع في أي عضو كانت. وهو للفتق من العجائب، وكذلك لوجع الظهر والبواسير وتمتد قوته إلى خمسين سنة لاتنقص أبداً.

صفة حجر يسمى حجر الجرائحية :[١٣٩]

يؤخذ من الزاج الأخضر رطل، ومن الزاج الأبيض نصف رطل، شب رطل ونصف، نطرون وملح من كل واحد ثلاث أواق، ملح الطرطير وملح أفسنتين وملح برنجاسف، وملح هندباء، وملح كاكنج، وملح لسان الحمل من كل واحد نصف أوقية. يسحق الجميع ناعماً ويوقد في قدر فخار مزجج ويغمر بخل الورد ويطبخ على نار لينة، ويدام تحريكه بعود، فإذا قارب الإنعقاد يلقى فيه رطل من الإسفيداج وأربع أواق من الطين الأرمني ويحرك دائماً

---

(١٣٦) في النسخة (ف) ص/ ١٩١ : « وإذا رأيته كثير السيولة » وهذا التعبير معقول أيضاً إذا كان المقصود تليين المستحضر (أو تشميعه) عندما يكون سائلاً .

(١٣٧) ويجفف (م، أ، ك) .

(١٣٨) البواسير (م) .

(١٣٩) صفة حجر لوضع الظهر يسمى ..(م).

حتى ينعقد حجراً[140] ثم يكسر القدر ويرفع لوقت الحاجة[141]. وفوائد هذا الحجر لاتعد ولاتوصف فإنه يبرىء القروح التي في الجسد ويحفظها ويمنع النوازل، ويقوي العضو، ويشد الأسنان، ويقوي اللثة، وينبت لحم الأسنان، ويمنع سيلان الدموع ويزيل الحمرة والوجع والبياض في العين إذا طلي به الجفن[142] وذر[143] على البياض. وينفع الرمد بماء (الأفرازيا)[144] أو بماء الورد أو بماء عصا الراعي. ويزيل الحمرة والجمرة إذا طلي به عليها في يوم وليلة. ويزيل الحكة والجرب طلاءً. وينفع السرطان وقروح الفم واسكربوط. ويزيل عفونة القروح ويفني لحمها الزائد. وينفع لحرق النار.

وكيفية الإستعمال :

أن تحل منه أوقية في رطل من الماء وتُبل به خرقة وتوضع على الجراح والقروح ويتمضمض به لقروح الفم واللثة وتآكلها[145].

صفة سكر زحل :[146]

يؤخذ سليقون أو اسفيداج نقي من الغبار والتراب، ويرطب بقليل من الخل المقطر ثم يجفف ثم يسحق ويوضع في إناء ويغمر بالخل المقطر بقدر ما يعلوه أربع أصابع

---

(١٤٠) « وينعقد حتى يصير حجراً » (م).

(١٤١) « ثم يكسر القدر الذي يحتاج ويرفع الباقي لوقت الحاجة » (م).

(١٤٢) على الجفن (غ).

(١٤٣) ولذّ به (غ).

(١٤٤) الأفراجيا (م، ك، ل) - افراجيا (غ).

(١٤٥) والتآكل (غ).

(١٤٦) زحل يعني معدن الرصاص.

ويوضع[١٤٧] في مكان حار أو على رماد حار أربعة أيام والحذر[١٤٨] من المكث في ذلك المكان، فإن بخاره رديء مضر بالإنسان، حتى يخرج اللون، ثم يصفى ويوضع عليه خل مقطر آخر، ويوضع في مكان حار كالأول حتى يخرج اللون، ويكرر ذلك حتى لايبقى فيه شيء من اللون. ثم يطيّر عنه الخل بالطبخ ثم يغسل بالماء[١٤٩] مراراً حتى تذهب حموضته، ثم يطبخ بالماء ويستخرج ملحه كما علمت. وإن وضعت الملح في مكان رطب انحل دهناً . وهذا الدواء ينفع ويدفع ضرر الزئبق في البدن، وجميع القروح الملحية المتعفنة. والسكر النباتي، كما إنه يعدل حدة الأدوية ومراراتها، فكذلك هذا السكر يعدل المعدنيات ويزيل حدتها ويمنع آفتها عن الأعضاء وهو علاج[١٥٠] تام للقروح المتعفنة والرديئة والخبيثة كالسرطان والغنغرينا والأكلة وجميع القروح الزحلية. وإذا حلّ منه في ماء لسان الحمل[١٥١] وماء عنب الثعلب وطلي به على الحمرة والجمرة والنملة أبرأها في زمان قليل. وإذا طلي به على الأورام بدهن البابونج حللها. وإذا طلي به مع دهن صمغ البطم على الجراح والقروح أبرأها. وهو لانظير له لقروح الثدى وسرطانه. ويزيل حمرة العين بماء الورد أو بماء (الأفرازيا)[١٥٢]. وإن سقي منه أربع حبات بالشراب سكن وجع القولنج. ويسقى لأورام الأحشاء الحارة ثلاث حبات بماء لسان الحمل، ويسقى لحمى الربع وأمراض الطحال بما يناسب، ويسقى لسيلان المني. ويطلى به من خارج بدهن الورد. وهذا السكر مشهور بين أرباب صناعة الكيمياء إذا قطر تقطيراً صناعياً لتخرج روحه، وتقوى تلك الروح بملحه، واذاجمع مع الذهب المكلس بعد حله بماء الرزين ظهر عنه الذهب

(١٤٧) كلمة : « ويوضع » ساقطة من (م) .

(١٤٨) « وليحذر من » (غ) .

(١٤٩) بالماء الحار (م) .

(١٥٠) علام (م) .

(١٥١) لسان الجمل (م) .

(١٥٢) الأفرانجيا (غ) ، الأفراحيا (م، ك، ل) .

النباتي. وبالتجربة يعلم ما قلناه.

صفة ماء بذر الضفدع المسمى باللاتينية اسبرنيولا[١٥٣]

وهو أن يؤخذ بذر الضفدع في آذار في آخر الشهر. وهو شيء يكون على وجه الماء كالطحلب لكنه أبيض لزج مخاطي، كريه الرائحة. ويقطر في حمام ماريه ويرفع ماؤه، ثم يؤخذ مّر وكندر من كل واحد أوقيتان، زعفران نصف أوقية، كافور ثلاثة دراهم. ويرطب بالماء المقطر المذكور ويجفف. يفعل ذلك عشرين مرة. وإذا سقي منه ثلث درهم بماء لسان الحمل حبس الدم من أي عضو كان، وكذلك إذا طلي به من خارج يسكن الحمرة والجمرة ووجع المفاصل الحار السبب إذا طلي به مع الخل. وهذا الماء وحده إذا حلّ فيه قليل من الشب وطلي به على المفاصل سكّن وجعها.

صفة زئبق مدبر يزيل الآثار[١٥٤] طلاءً :

يؤخذ من الزئبق ما شئت، ويغسل كما عرفت، ويؤخذ بقدر الزئبق سليماني. يسحق الجميع ويغمر بالخل المقطر في زجاجة بقدر ما يعلوه أربع أصابع، ويترك أربعة أيام ويحرك في كل يوم مرات. ثم يصفى عنه الخل المقطر، ويوضع الخل في مكان[١٥٥] فإنه يرسب فيه الزئبق والسليماني في المحلول. ويكرر العمل على ما لم ينحل من الزئبق والسليماني، ويفعل كالأول حتى يجتمع عندك من الزئبق ما أردت، ويطلى منه على الآثار

---

(١٥٣) هي بالأجنبية Spemiolle وهي كلمة نحتها قروللبوس (أو استاذه براكلسوس احتمالاً) من تعبير Sperme de Grenouille ومعناها نطفة الضفدع أو بذوره (ف) ص / ٢٠١ .

(١٥٤) يقصد بكلمة « الآثار » : البقع وماشابهها مما يطرأ على الجلد والوجه وقد جاء هذا العنوان في (ف) ص / ٢٠٤ كما يلي :

Cosmétique Contre Les macules de la face

(١٥٥) مكانة (غ) .

والجرب ويحفظ عنه الفم والعين.

صفة مرهم الكواكبي[156] من صنعة براكلسوس ويسمى مرهم أرمارليا[157]:

يؤخذ شحم الخنزير البري، وشحم الدب من كل واحد ثماني أواق ويطبخ الجميع بالشراب على نار لينة، ثم يفرغ في ماء بارد ليتجمد. ثم يؤخذ خراطين مغسول بالشراب أو بالماء رطلان، ويجفف على الطابق ويسحق. ثم يؤخذ دماغ الخنزير البري وصندل أحمر وموميا وحجر الدم من كل واحد أوقية، عظم قحف الإنسان وزن لوزتين. ويكون القمر زائد النور في بيت الزهرة،و إن كانت الشمس في الميزان كان أجود. ويسحق ما يقبل السحق ويخلط مع الباقي حتى يمتزج ويصير مرهما، ويحفظ لوقت الحاجة. وهذا المرهم يبرىء جميع الجراحات سواء كانت من السيف أو النصل أو التوفنك، والطوب، والحجر، في أي عضو كان. وهو من العجائب، فإنه يبرىء الجراحات من غير احتياج إلى مماسعها، بل يوضع هذا المرهم على خشبة[158] أو على خرقة عليها شيء من دم تلك الجراحة[159]. وإن وضع هذا المرهم على السيف الذي جرح به أو السكين أو النصل أو الرصاصة المخرجة[160] من الجراح، أو النشابة المخرجة منها، ووضع في مكان معتدل مصون عن الحر والبرد، فإن صاحـ الجراحة يبرأ. وإن كانت القرحة يابسة، أدميت بعود أو خشبة أو خرقة ثم يوضع المرهم ء ـ يها كانت. وإن كان عميقاً كرر العمل وغير المرهم على تلك الخرقة أو الخشبة، كما يغير على الجرح في العادة. ولايوضع على الجرح شيء من الأدوية غير خرقة نظيفة أو تبل الخرقة ببول المجروح وتوضع على الجرح. وقد ينكر هذا التأثير قوم ويقولون إن الطبيعة

---

(١٥٦) الكواكبي نسبة إلى الكواكب يقابلها بالفرنسية (ف) Constellé .

(١٥٧) التسمية التي وردت في (ف) لهذا المرهم هي : المرهم الودّي: (سامباثيا Sympathia) .

(١٥٨) خشيشة (م) .

(١٥٩) يقصد بذلك «المجروح» .

(١٦٠) المخرقة (م) .

تدبره وتبرئه، خصوصاً إذا انضم إلى ذلك اعتقاد أنه يبرأ من هذا الجرح بهذا الدواء الغريب العجيب فيحصل للطبيعة انتعاش فتصلح الجرح وتبرئه.

وليس الأمر كما زعموا، فإن خواص الأشياء لاتنكر. فإن فعل هذا المرهم (يكون) بخاصية فيه بتوسط روح العالم، كما يفعل الحديد بالمغناطيس(١٦١)، والله على كل شيء قدير. تم الكتاب بعون الملك الوهاب(١٦٢)

---

(١٦١) « كما يفعل بالحديد المغناطيس » (ح١، ح٢).

(١٦٢) خواتيم النسخ :

(م) كما ورد في المتن المحقق أعلاه.

(غ) والله اعلم. تمت بحمد الله آمين.

(ك) تمت الرسالة... بعون ونصرة الملك القدوس على يد ... جهان بخش سهراب في زمان قصير في خمس وعشرين من شهر ربيع الثاني سنة خمس وخمسين ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية عليه أفضل الصلاة والسلام.

(ل) تم وكمل بعون الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ـ راقم الحروف سيد شهرشاه.

(ح١) والله اعلم. تمت على يد كاتبها مصطفى السقى الشافعي مذهباً في يوم الجمعة من شهر شوال لثمانية عشر يوماً خلت منه والذي هو من شهود سنة ألف ومائتين وستة وأربعين صلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه، وسلم. تم.

(أ) الورقة الأخيرة غير موجودة (ناقصة من المخطوط).

(ح٢) تمت، تم.

دراســـــة تحليليـــة

للقسم الثاني من مخطوط ابن سلوم الحلبي

« الكيمياء الملكيـــة »

Les vertus & vsage de l'onguent Sympathetique ou constellé.

CEste façõ de curer n'est pas magique noire co̅me croyent quelques sots,& ignorants, ains par vne certaine vertu attractiue & aymantine, causée par les Astres, laquelle par la mediation de l'air est attirée sur la playe, & se conioinct auec elle,à fin que l'operation spirituelle monstre son effect.

Elle se faict,di,ie, à cause de la conionction des Astres & elements: car comme la chaleur du Soleil s'accorde auec la terre, de mesme le persicaria, ou persicaire auec la maladie, & lors que le Soleil s'en va, la chaleur se perd aussi : il n'est pas donc mal faict de croire que le mesme puisse arriuer en cecy.

Il y a donc trois choses lesquelles sont causées par cest onguent d'vn effect si admirable.

Premierement la Sympathie de la nature.

Secondement l'influence des corps celestes, laquelle paracheue ses operations par la mediation des elements.

Tiercement le bausme naturel qui est à vn chascun des hommes.

Par cest onguent toute sorte de playes (de quelle façon qu'elles soient,ou de quel instrument qu elles ayent esté faictes, & en quel sexe que ce soit, pourueu que les nerfs,ou arteres, ou quelqu'vn des trois membres princi-
paux

مقدمـــة:

بدأ هذا المخطوط، بعد البسملة، بما يلي:

« وبعد، فقد ألف في صناعة الطب الكيميائي قرولليوس كتاباً مختصراً مفيداً لملك زمانه، وهو يشتمل على مقالتين، فأردنا أن ننقله من اللاتينية إلى العربية ليكون عام النفع، وسمي هذا الكتاب كيميا باسليقا أي الكيمياء الملكية ».

من هذه المقدمة يتبين بوضوح أن ابن سلوم الحلبي قام بترجمة كتاب محدد من اللاتينية إلى العربية هو كتاب « الكيمياء الملكية » الذي ألفه قرولليوس[1] وقدمه إلى ملك بلاده[2]، وإن هذا الكتاب يدخل مضمونه في نطاق الطب الكيميائي، وإنه مؤلف من مقالتين.

ولدى تصفح هذا المخطوط، نرى أن المؤلف خصص المقالة الأولى للكلام على المعالجات الكلية، والمقالة الثانية للكلام على المعالجات الجزئية.

فالمعالجات الكلية[3]: هي التي لاتختص بمرض معين، وإنما قد تنفع في جميع الأمراض. وقد ذكر منها:

الإنضاج والمنضجات، القيء والمقيئات، المدرات، المعرّقات، المقويات، مسكنات الألم، المنومات، والمشمومات.

والمعالجات الجزئية: هي التي تختص بعضو محدد من الأعضاء الرئيسية في بدن الإنسان. وقد أدخل المؤلف معالجة الجروح في نطاق المعالجات الجزئية، لأن الجروح، وإن كانت تصيب أعضاء عديدة، تبقى ذات موضوع جزئي متعلق بالعضو الجريح.

---

(١) هو الطبيب الألماني اسفالد قرولليوس (١٥٦٠-١٦٠٩ م)، مؤلف المخطوط، موضوع البحث، وقد سبق التعريف به في مقدمة الكتاب.

(٢) هو الإمبراطور رودلف الثاني (١٥٥٢-١٦١٢م).

(٣) تسميتا « العلاج الكلي » و « العلاج الجزئي »، وردتا في كتاب القانون لابن سينا. طبعة دار صادر، بيروت، بالأوفست عن طبعة بولاق، الجزء الأول ص/ ١٨٧.

Les vertus & usage de l'onguent [illegible]
[illegible] contient [illegible]

Comme croyent quelques [illegible] les parties de [illegible] de l'une [illegible] vantine, causée par les Astres, laquelle par la mediation de l'air est attirée sur la playe [illegible] vantine, auec elle [illegible] quelle monstre son effect.

[illegible] des Astres & elements; car comme la [illegible] du Soleil s'accorde auec la terre, de mesme la persicaria, ou persicaire auec la maladie, & lors que le Soleil s'en va, la chaleur se perd [illegible] le mesme puisse arriuer en cecy.

Il y a donc trois choses lesquelles sont [illegible] par [illegible] effect si admirable.

Premierement la Sympathie de la mumie. Secondement l'influence des corps celestes, laquelle paracheue ses operations par la mediation des elements.

[illegible] chascun des hommes.

Par cest onguent toute sorte de playes [illegible] ment qu'elles ayent esté faictes, [illegible]

[illegible] res, ou quelqu'vn des trois [illegible]

من مخطوط «الكيمياء الملكية»

المقالـــــة الأولـــى
فــي المعالجــات الكليـــة

دراســة تحليليـة

١ - الحجــر المكـــــرم:

يذكر المؤلف أن الله خلق دواءً واحداً كافياً لشفاء جميع الأمراض، وإن هذا الدواء: «معـرفتـه عسـيرة على اكثـر الناس»، ولذا فلا بد من اللجوء إلى العلاجات التي يمكن تحضيرها ومعرفتها لوصفها للمرضى.

وبالرغم من أن ابن سلوم لم يورد، في ترجمتـه تسـمية محـددة لهذا الدواء الواحد الشـافي لجميع الأمـراض[١]، فمن المرجح أنه هو «الحجـر المكرم» الذي ذكره براكلسوس، والذي أورده ابن سلوم في القسم الأول من مخطوطه،وفيه:

«اعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الحجر المكرم وجعل فيه شفاء جميع الأمـراض»[٢]
ونجد هنا قرولليوس يستشـهد، في كلامه على هذا الدواء العام الواحد، بأقوال عن العالم سيفيرينوسSeverinus . .P[٣] من أنصار مدرسة براكلسوس، وعن العالم ريموند لول[٤].

(١) جاءت التسمية في (ف): الدواء العام أو العلاج العام La Cure Universelle .

(٢)انظر الجزء الأول من المخطوط «الطب الجديد الكيميائي»، الفصل السابع من المقالة الأولى .

(٣) هو عالم دنمركي ولد عام ١٥٤٠م وتوفي عام ١٦٠٩، وهو معاصر لبراكلسوس .

(٤) هو Reymond Lulle من خيميائيي العصور الوسطى (١٢٣٥ - ١٣١٥م) وكان متأثراً بالعلماء العرب إلى حد كبير .

وبالنسبة لي، فإني أميل إلى الإعتقاد أن ماأسماه ابن سلوم، عن لسان براكلسوس بالحجر المكرم مرتبط نظرياً بحجر الفلاسفة الذي بواسطته يمكن تحويل المعادن إلى الذهب والفضة، والذي كان هدف الكيمياء القديمة.

فالكيميائيون القدامى (الخيميائيون)، ما داموا يعتقدون بوجود حجر يحيل المعادن من طبيعة خسيسة إلى طبيعة نبيلة، فما الذي يمنع، بالنسبة لهم، من وجود مادة تشفي جميع الأمراض، لاسيما وإن الكيمياء ا رتبطت، بشكل أو بآخر، بالطب منذ عصور موغلة في القدم؟

شيء آخر يثير التساؤل: ذلك هو قول قروليوس، الوارد أعلاه، من أن معرفة هذا الدواء الواحد الشافي لكل الأمراض، عسيرة على أكثر الناس .وهو قول سبق أن سمعناه من استاذه براكلسوس، وردده غيره. والتساؤل هو:

أين القلّة التي عرفته؟! سؤال يبقى بدون جواب موضوعي.

٢ـ الإنضاج:

يقول المؤلف:

«ان الأمراض العارضة عن الأخلاط الفاسدة، لايتأتى قطع أصلها بغير انضاج»

ثم يحدد مفهوم الإنضاج فيقول:

«هو حل المنعقد، وعقد المحلول، وحصول استعداده للخروج»

فالإنضاج، بمفهوم قروليوس، يعني التدابير التي تهدف إلى اخراج الأخلاط الفاسدة المسببة للمرض، من الجسم. وذلك إمّا بجعل الجامد منحلاً قابلاً للخروج من الجسم أو بجعل السائل منعقداً للغرض نفسه.

ويقول قروليوس أن خروج هذه الأخلاط الفاسدة من الجسم يكون بالقيء أو

بالإسهال أو بالتبول أو بالتعرق.

إن فكرة الإنضاج معروفة منذ أيام أبقراط في القرن الخامس قبل الميلاد وقد تبناها الأطباء العرب الأقدمون. إلاّ أن هنالك فرقاً واضحاً بين مفهوم الإنضاج لدى هؤلاء، وبين مفهومه لدى ڤروللپوس.

ففي الطب التقليدي كان الإنضاج ينصب على الأخلاط الطبيعية الأربعة، عندما ينحرف واحد منها أو أكثر عن نسبته الطبيعية أو عن قوامه الطبيعي. وكان الأطباء القدامى غالباً ما يلجأون في هذا الإنضاج إلى تدابير مختلفة لإتاحة الفرصة لطبيعة الإنسان (أو ما نسميه الآن بالمناعة الطبيعية، أو الدفاع الذاتي) لإعادة التوازن المطلوب(٥).

أما بالنسبة لڤروللپوس، فالأخلاط التي تخضع للإنضاج، هي تلك التي تتشكل عرضاً في الجسم، فتسبب المرض، أو تساعد على حدوثه، وهدف الإنضاج هنا، يكون بطرحها خارج الجسم. ويكون الإنضاج عن طريق المعالجة بالمواد الكيميائية، كما سنرى بعد قليل.

٣ ـ الأمراض الأساسية والفرعية:

يقول ڤروللپوس أن الأمراض العظيمة هي: الصرع والإستسقاء، وأمراض المفاصل، والجذام، وإن جميع الأمراض الأخرى التي تصيب الإنسان، تتفرع عن هذه الأمراض الأربعة.

هذه النظرية التي يرفضها العلم الحديث، هي، على مايبدو، نظرية محدثة لم تعرف قبل براكلسوس ومريديه.

---

(٥) انظر كتاب «القانون في الطب» لابن سينا. طبعة دار صادر بالأوفست عن طبعة بولاق المصرية. بيروت لبنان، الجزء الأول ص ١٨٧، ١٨٨.

٤ ـ أمـــلاح الطرطيـــــــر:

يعطي قروللبوس للطرطير الزاجي أهمية كبيرة في إنضاج الأخلاط الفاسدة التي تحدث بشكل عرضي في الجسم مسببة له الأمراض.

ويصف المؤلف تحضير هذا الملح كما يلي :

يحل ملح الطرطير الأبيض (طرطرات السوديوم والبوطاسيوم) بماء الغافث ويبلّره بالتقطير، ثم يكرر حله وبلورته بماء جديد وذلك لتنقيته من الشوائب، ثم يضيف إلى كل جزء من البلورات الرطبة نصف جزء من روح الزاج (حمض الكبريت) ويقطر المزيج على رماد حار فيتخلف ملح متبلور يرفع إلى وقت الحاجة.

وقد لاحظ قروللبوس حدوث غليان حين إضافة روح الزاج (حمض الكبريت) إلى محلول ملح الطرطير. وهو أمر منتظر، لأن ملح الطرطير لا يثبت أمام حمض قوي كحمض الكبريت الذي يزيح حمض الطرطير من أملاحه ويحل محله مشكلاً كبريتات السوديوم والبوطاسيوم ويرافق هذا التفاعل انتشار حرارة شديدة، قد تخرّب حمض الطرطير وينتشر منه مزيج من غاز أول وثاني أكسيد الفحم (CO, CO^2).

ومن الطريف في الأمر، تشبيه قروللبوس لهذا التفاعل حينما يقول:

«واعلم أنه كما يعرض من تقطير[٦] روح الزاج على ملح الطرطير غليان، كذلك يعرض لروح الإنسان عند تعرضه للمانيا»[٧] !!

وهنا لا بد لنا من التساؤل. لماذا اختار قروللبوس الطرطير الزاجي لإنضاج الأخلاط الفاسدة، وهي أخلاط طرطيرية، كما يقول؟

يبدو لي أن السبب في ذلك هو مالاحظه براكلسوس قبل تلميذه قروللبوس من أن

---

(٦) كلمة التقطير هنا تعني إضافة روح الزاج بشكل قطرات .

(٧) المانيا Manie مرض عصبي يسبب اختلاجات في الجسم .

عملية تخمير العنب في دنان الخمر، تخلف رواسب هي الدردي أو الطرطير وانطلاقاً من أن عملية التخمير هي تفاعلات حيوية تنتج روح الخمر (Esprit de Vin)، وان الأرواح الطيارة حسب رأي براكلسوس ومدرسته، هي أهم المواد في الطبيعة، لأنها تستطيع التحرك بسهولة مابين العالم العلوي والسفلي لغناها بالمادة الأثيرية (أو الجوهر الخامس)، فإن تخلف الطرطير في الدنان بشكل رواسب يعني تشكل نواتج غير سليمة تخلفت عن عملية التخمير هذه. ومن هذا الإعتبار، افترض المؤلف، متأثراً بنظرية براكلسوس في الطرطير[8]، ان الأخلاط الفاسدة[9] المسببة للمرض هي من طبيعة طرطيرية.

ولكن كيف يكون الإنضاج بأملاح الطرطير، ما دام الطرطير هو الأساس في الأخلاط الفاسدة؟

الجواب عن هذا السؤال، فيما أرجح، أن مدرسة براكلسوس تعتقد بالإمكانيات الكبيرة للكيمياء في تغيير طبيعة المواد وخصائصها، حتى ان المادة الواحدة تختلف خصائصها العلاجية باختلاف طريقة تحضيرها، وقد سبق أن تكلمت عن هذه النظرية لبراكلسوس فيما سبق من هذا الكتاب وهنا فإن اخضاع ملح الطرطير إلى عمليات كيميائية معينة، يمكنه أن يغيّر في خصائص الطرطير، وان يجعل فيه خاصة انضاج المواد الطرطيرية الفاسدة.

ولهذا السبب رأينا ڤرولليوس يحول الطرطير الطبيعي، ذلك الراسب الوسخ إلى بلورات نقية شفافة هي بلورات الطرطير الزاجي.

ولكن حُضر هذا المنضج من إضافة روح الزاج إلى ملح الطرطير، فهو لايرى في

---

(٨) انظر الفصل الثالث من المقالة الثانية من الجزء الأول (الطب الجديد الكيميائي).

(٩) وردت هذه التسمية في (ف) بما ترجمته: الشوائب Impuretés إلاّ أني أرى تسمية ابن سلوم لها بالأخلاط الفاسدة بعد شرح مدلولها، أكثر وضوحاً.

إضافة روح الزاج ضرورة حتمية للحصول على منضج مناسب، بدليل أنه أورد منضجاً آخر هو كريم الطرطير Crème de Tartre وذلك بطبخ الطرطير الأبيض بالماء العذب ثم يبّرد لتبلير الملح الطرطيري، وهذه البلورات لاتعدو أن تكون طرطرات البوطاسيوم الحامضية.

٥ـ المقيئات:

يعتبر احداث القيء في المريض من طرق المداواة الأساسية في الطب التقليدي القديم، إلاّ أن قرولليوس اعتمد بشكل خاص على المقيئات المعدنية كالمركبات الأثمدية (الأنتموانية). والمركبات الزئبقية، والزاجات المعدنية (كبريتات المعادن).

ويلجأ المؤلف إلى عملية البلورة (Cristallisation) لتنقية هذه المركبات، وهي طريقة سليمة أكثرت مدرسة براكلسوس من الإعتماد عليها، بهدف التخفيف من سميتها، ومن آثارها الجانبية الضارة، لاسيما وإن أكثر هذه المركبات غير متوفرة في الطبيعة بحالتها النقية.

وقد اعتمد قرولليوس، كأستاذه براكلسوس، اعتماداً كبيراً، في تحضير المقيئات، على التقطير. فهو يخلط واحداً أو أكثر من المركبات المعدنية المقيئة بالماء ويقوم بتقطيرها، ثم يكرر التقطير نفسه مراراً. وأرى من المحتمل أن يكون للتقطير، في بعض الأحيان، فائدة التخلص من بعض نواتج التفاعلات الكيميائية، إلاّ أننا لانستطيع إلاّ أن نقول ان عمليات التقطير هذه، كانت عمليات مبالغاً فيها. وفي كثير من الحالات لانجد لها مبرراً من الناحية الكيميائية. وقد يكون المبرر لها، اعتماد مدرسة براكلسوس على الكيمياء الهرمسية، ففي التقطير فرصة للمواد لإطلاق جوهرها الخامس ليستطيع الإتصال بالكواكب العلوية، لأن أحد الأسس الفلسفية للنظرية الهرمسية الواردة في اللوح الزمردي تنص على أن:

«اللطيف أكثر نبلاً من الكثيف، فهو يصعد إلى السماء ببطء ورفق، فيكتسب النور، ثم يعود ويهبط إلى الأرض. ففيه قوة الأعلى والأسفل» .

٦ـ المسهلات :

أولى المؤلف الإسهال والمسهلات، أهمية كبيرة في شؤون المعالجة. وقد خصص لذلك صفحات عديدة من كتابه. وأبرز ما جاء في هذا المجال الأمور التالية :

آ ـ أسس وقواعد عامة:

يقول المؤلف :

ـ «إن لكل مسهل أفعالاً ثلاثة : استفراغ الزائد، وتعديل المزاج وتقوية الأعضاء» .

ـ إن لبعض المسهلات تأثيرات سامة، فيجب اجتنابها أو استعمالها بحذر وعند الضرورة القصوى.

ـ «ليست جودة المسهل بكثرة فعله أو قلته، فإن من المسهلات ما يخرج أخلاطاً كثيرة من غير أن يضعف القوة، ومن المسهلات ما يكون عمله ضعيفاً مع أنه يضعف القوة والأعضاء».

ـ «يجب اجتناب البدء بالمسهلات القوية. والأفضل أن يكون البدء بالمسهلات الضعيفة. ولايعطى المسهل القوى إلا عند الضرورة في الأمراض عسيرة الشفاء.

وأنا أقول إنه ليس في كل هذه القواعد من شيء جديد، فهي أمور ذكرها الأطباء العرب القدامى، حتى أن قرولليوس لم يستطع إلا أن يستشهد بابن سينا حينما نقل عنه قوله :

« إن الدواء المسهل، وإن لم يكن سمياً إلا أنه ثقيل على الطبيعة ».

ب ـ المسهلات الزئبقية:

اعتمد قروللیوس اعتماداً كبيراً على المركبات الزئبقية في الأدوية المسهلة، وخاصة التربذ المعدني (سلفات الزئبق الأساسي)[١٠] وقد وصفه بأنه علاج عام النفع، خالٍ من الضرر اذا أحسن تدبيره. ونسب إليه فوائد كثيرة، فهو:

« يجدد المزاج الطبيعي وينقي بدن الإنسان عن كل فساد، ويصفي الدم، خصوصاً في الحب الإفرنجي[١١]، ويقطع أصول الأمراض وثمارها...وهو علاج كلّي لأمراض العفونة، يخرج جميع الأخلاط الرديئة، ويمنع النوازل وينقي الدم» .

ويقول إن في هذا الدواء قوةً نارية لطيفة، سريعة النفوذ إلى جميع أعضاء بدن الإنسان مما لايتوفر لأي دواء غيره. إلا أن قروللیوس لاينكر امكانية حدوث أعراض جانبية ضارة لبعض المرضى من هذا المركب الزئبقي فيقول:

« لقد جربنا ذلك مراراً فلم نرَ له ضرراً لأحد، لكن بعض الصفراويين يعرض لهم منه حرقة في الحلق من كثرة القيء، وتذهب بسرعة ببعض الفراغر اللينة، أو يسقى قليلاً من الطين المختوم» .

وقد جاء توضيح لهذا المقطع في النسخة الفرنسية (ف) أترجمه فيما يلي :

« لقد سمعت شخصياً من الطبيب هوزر[١٢] الذي كان يستعمل هذا الدواء بشكل

---

(١٠) ويسمى أيضاً الراسب الأصفر Precipité jaune .

(١١) التسمية الفرنسية المقابلة للحب الإفرنجي في (ف) هي La Verole وهي تفيد تماماً معنى كلمة Syphilis وأما تاريخ اطلاق هذه التسمية العربية للدلالة على هذا المرض، فمن الصعب تحديده، وربما كان السبب في هذه التسمية العربية، مجيء هذا المرض أيام الحروب الصليبية مع الإفرنج.

(١٢) هو جوهانيس هوزر Johannis Huser طبيب معاصر لقروللیوس وكان أول من عمل على جمع مؤلفات براكلسوس العديدة.

مستمر لمرضاه ،ان هذا المركب عديم الضرر ولكن يعرض منه لبعض المرضى حرقة في الحلق بسبب اقيا آت صفراوية. وتذهب تلك الحرقة بسرعة، ببعض الغراغر الملينة، أو يسقى المريض قليلاً من الطين المختوم)[١٣].

د ـ المسهلات الأنتموانيــة:

يرى المؤلف في مركبات الأثمد (الأنتموان)[١٤] خصائص علاجية يصفها بأنها عجيبة. ويسلك لتنقية الأنتموان من فلزاته طريقة التصعيد. وقدذكر المؤلف طرق تحضير ثلاثة أدوية أساسها الأنتموان هي :

زجاج الأنتموان ، معجون الأنتموان ، ومصعّد الأنتموان .

ويخضع تحضير كل من هذه الأدوية إلى عمليات كيميائية معقدة من حل وتسخين، وتقطير، وحرق، وتصعيد .

ويبدو من سير هذه العمليات أن المادة الفعالة:

في الدواء الأول : (زجاج الأنتمون) هي معدن الأنتموان نفسه، أو سولفور الأنتموان ($S^3 Sb^2$) أو أنتمونيات الأمونيوم، وذلك حسب المواد التي يضيفها أثناء التحضير.

وأما في كل من الدوائين الثاني (معجون الأنتمون) والثالث (مصعّد الأنتمون) فالمادة الفعالة هي خلات الأنتموان (Acetate d ' Antimoine) مضافاً إليها نباتات دوائية مساعدة

---

(١٣) انظر (ف) ص/ ٢٠ .

(١٤) كان الأنتموان معروفاً بالأصل باسمه العربي : الأثمد Ithmid في بلاد أوربا اللاتينية. حتى أن موسوعة لاروس الكبرى ذكرت احتمال ان تكون كلمة أنتموان مشتقة من الأثمد. إلاّ أن العالم فرنسوا دورفو F . Dorvault أورد في كتابه L' Officine (منشورات Vigot ، باريس/ فرنسا ١٩٧٨، ص/ ١١٢) ان تسمية هذا المعدن بأنتموان (Anti - moine) هي تسمية فرنسية تعني: ضد الراهب، وهي منسوبة إلى الآثار الصحية المشؤومة التي تعرض لها رهبان احد الأديرة ممن كانوا يدرسون خصائص هذا المعدن بتجربته على أنفسهم. ثم اعتمدت شعوب أوربا على هذه التسمية كأساس في لغاتها للدلالة على المعدن المذكور.

أو مصلحة للطعم أو مانعة لتخريش المركب الأنتمواني لجهاز الهضم، كالقرنفل والدار صيني والزعفران والبسباسة والخولنجان.

ء- المسهلات الزئبقية الأنتموانية :

أورد المؤلف مسهلاً زئبقياً أنتموانياً أعطاه اسمين:

الاسم الأول: زئبق الحياة (Mercure de Vie)

والاسم الثاني: زبدة الأنتموان (beurre antimonial)[15].

ويتم تحضير هذا المسهل بمزج كميات متساوية من الزئبق والأنتموان ويخضع هذا المزيج إلى السحق والتقطير والترسيب، ثم تجفيف الراسب.

ويقول قروللیوس إن هذا الدواء يعطى لأقوياء البنية بعد تلطيفه بشراب السفرجل أو بصفار البيض. ويوصي بأن يتناول بعد ذلك بيضتين نيمبرشت وقليلاً من الخمر، وإن يمتنع عن الحركة طيلة اليوم الذي يتناول فيه هذا الدواء.

هـ - قانون استعمال الزئبق والأنتموان:[16]

تحت هذا العنوان، قدم لنا المؤلف بعض التوصيات، منها مايدخل في نطاق الحذر الدوائي Pharmacovigilence ، ومنها ما يتعلق بإسعاف من يصابون بأعراض انسمامية (أو أعراض عدم تحمل) حين تناولهم أحد هذين الدوائين أو كليهما معاً .

وتنحصر تلك التوصيات بالتالية:

١ - يجب أن لايكون المريض مصاباً بالإمساك أو بمغص معوي[17].

٢ - أن لايكون في أحد أعضاء المريض الرئيسية جروح أو قروح، كالكبد والطحال

(١٥) انظر (ف) ص/ ٢٠ .

(١٦) كلمة الأنتموان وردت في المخطوط بدون ألف، أي انتمون .

(١٧) لم يذكر ابن سلوم هذه التوصية، ووردت في (ف) . ص/ ٣٠ .

والرئة، خوفاً من نزوف دموية خطرة قد تحدثها اقيا آت محتملة من هذا الدواء.

٣ـ تحاشي فصد أحد أوردة المريض عند استعماله أحد هذين الدوائين.

٤ـ ضرورة التأكد من أن المريض لم يفصد منذ زمن طويل.

٥ـ عدم وصف هذين الدوائين للمصابين بأمراض في المرارة.

٦ـ أن لايكون القفص الصدري للمريض ضيقاً، لأن مثل هذا المريض يجد صعوبة كبيرة في التقيؤ، مما يضعف قوته العامة.

٧ـ حين وصف الأنتموان في الطاعون، يجب أن يوضع أيضاً، فوق العقد الطاعونية دواء جاذب ومنضج.

٨ـ في حال تأخر تأثير الدواء، يسقى المريض سوائل حارة، كمرق الفروج، أو مغلي الحمّص، وذلك لتسريع مفعول العلاج.

٩ـ إذا عرض للمريض من شرب أحد هذين الدوائين «اسهال أو قيء، مفرطان، سقى الترياق الجديد برب السفرجل»، ويوضع على بطنه بعض الضمادات، وتغطس رجلاه في الخل الحار. وإن أصيب المريض بصداع شديد، وضع على جبينه كمادات مبللة بالخل ودهن الورد.

ونلاحظ من هذه التوصيات، أن قروlليوس كان طبيباً منظم التفكير، واضح التعبير، ويبدو لنا الأمر نفسه في النسخة الفرنسية (ف) لهذا الكتاب. وهو أمر لم نعهده في استاذه براكلسوس، ولذا فهو يمثل مرحلة متقدمة نحو مفاهيم طبية أكثر موضوعية ووضوحاً.

و ـ المسهلات التقليدية:

لم يهمل قرولليوس هذه المسهلات في كتابه، فأورد عدة تراكيب لأدوية مسهلة تحتوي على المحمودة (السقمونيا)، والخربق الأسود والسنامكي، والحنظل، والراوند،

والرازيانج، والتربذ النباتي، ورب السوس، وغيرها. وكان يضيف إليها عقاقير نباتية (مصلحات) مضادة للتشنج المعوي كدهن الدار صيني ودهن القرنفل، ودهن الجوزبوا أو أدوية وعقاقير عطرية لتطييب طعمها ورائحتها كشراب الورد، والعنبر.

إن اصلاح الأدوية المسهلة، مقتبسة، على ما أرجح من الطب العربي فقد اهتم الأطباء العرب كل الإهتمام بهذه المصلحات، وخاصة يوحنا بن ماسويه والرازي.

ومن الجدير بالذكر، ان المؤلف كان يضيف أحياناً إلى هذه التراكيب الدوائية المسهلة مسحوق أحجار كريمة كالمرجان واللؤلؤ[١٨].

ز- المسهل الجامع :

ينسب قرولليوس تركيب هذا المسهل إلى أستاذه براكلسوس. وهو يقوم على تفاعل دهن الطرطير مع ملح الزاج (كبريتات النحاس) وقد يضيف إليهما روح الزاج (حمض الكبريت)[١٩].

والطريقة التي يوردها في تحضير هذا المسهل، تتضمن عمليات صيدلانية وكيميائية عديدة. ففيها الحل بمحلول كحولي (صاعد الشراب) ثم تقطيره، وفيها الترسيب والتسخين البطيء، والتسخين الشديد، والبلورة، والتقطير في أجهزة مختلفة، الواحد بعد الآخر، مع تكرار لهذه العمليات، مما يصعب تأويله.

ويقدم لنا قرولليوس توصية تتعلق باستعمال هذا المسهل فيقول :

---

(١٨) يتركب كل من اللؤلؤ والمرجان من مواد كلسية مع ملونات عضوية (موسوعة لاروس الكبرى) فإضافة مسحوقهما إلى المسهلات من قبل قرولليوس، تحتمل أحد السببين التاليين أو كليهما معاً :

الأول: لتعديل الحموضة التي تنتج عن تخريش المسهل للجهاز الهضمي، والثاني: لأن مدرسة براكلسوس تولي الأحجار الكريمة خصائص علاجية هامة لأن نسبة احتوائها على الحجر المكرم أو العنصر الخامس عالية.

(١٩) من المرجح أن يكون ناتج التفاعل : طرطرات النحاس وسلفات السوديوم وسلفات البوطاسيوم .

«على من يسقى هذا الدواء، أن يحذر من البرد، ويجلس في مكان دافىء مقدار ساعة ثم ينهض ويتمشى قليلاً» .

كما يقول :

«إن هذا المسهل، إذا لم يؤثر بعد ساعتين من تناوله، يسقى المريض جرعة أخرى منه. ويعطى هذا المسهل يوماً، ويوقف يوماً، ويكرر ذلك لثلاث مرات. وقد يحتاج الأمر لتكراره أربع مرات، وذلك حسب قوة المرض» .

ومما يلفت النظر ما قاله قرولليوس من أن فعل هذا المسهل لا يتجلى دوماً بإحداث الإسهال، بل قد يكون بالقيء أو الإدرار أو التعرق.

ويدعي قروللیوس أن هذا المسهل، إذا وجد في الجسم أخلاطاً فاسدة، أخرجها بالإسهال أو بغيره، وإذا لم يجد شيئاً من ذلك، لا يظهر له أي أثر ضار :

«فهو ليس كباقي المسهلات التي، إذا لم تجد شيئاً من الأخلاط، جذبت رطوبات البدن الصالحة».

وأنا أقول إن براكلسوس لم يكن موفقاً في وصفته لهذا المسهل الجامع، فنواتج هذه الوصفة لا تتعدى، أن تكون ملحاً نحاسياً مع سلفات السوديوم والبوطاسيوم. فالمادتان الأخيرتان، لهما خاصة الإسهال الخفيف، أما الملح النحاسي فهو المسؤول عن الإقياء، والتعرق والإدرار مما اعتبره قروللیوس ميزة لهذا المسهل، وأنا أعتبر ذلك بمثابة أعراض انسمام نحاسي، أو على الأقل أعراض عدم تحمل من المريض تجاه المركب النحاسي.

٧ـ المـــــدرات :

يقول المؤلف إن الإسهال والقيء لا يكفيان لتنقية جميع الأعضاء، لذلك لابد من

إخراج بعض الشوائب عن طريق آخر، وهو طريق البول، وذلك عن طريق الأدوية المدرة.

ويعتمد قروللیوس بشكل خاص على روح الملح وروح البارود في الإدرار

آ - روح الملح المدر للبول :

من المعروف أن روح الملح يعني حمض كلور الماء، وقد أورد المؤلف طريقة لاستخراجه. ومما تجدر ملاحظته هنا ما يلي:

١- قام بمقارنة مابين روح الملح، والملح فيما يتعلق بالتأثير الدوائي وبالطعم، فقال :
«إن الملح معطش، وروح الملح مسكن للعطش، وإن الملح لاذع حاد، وروح الملح مسكن للذع.... وطعم الملح حاد لاذع للسان، وطعم روح الملح عذب لاحدة ولاملوحة فيه» .

تبدو لنا هذه المقارنة غريبة لأول وهلة. فالمعروف عن روح الملح (حمض كلور الماء) انه لاذع شديد، وحمض قوي لاعذوبة في طعمه إلا أن هذه الغرابة سرعان ما تزول عندما نرى قروللیوس يصف من روح الملح ثلاث قطرات مع كمية من ماء حشيشة الزجاج، أو ماء شوكة مريم (الكادرو نماري Chardon Marie). فمثل هذه الكمية الضئيلة من حمض كلور الماء مع كمية كبيرة من أحد السوائل، تعطي محلولاً مستساغ الطعم، فيه حموضة خفيفة محببة.

٢ - ينسب المؤلف لروح الملح صفة المدّر للبول. وأنا أقول أن هذه الصفة وهمية. ثلاث قطرات من حمض كلور الماء لا تسبب الإدرار، والأرجح هو أن يحصل الإدرار من ماء الأبسنت أو مياه النباتات المدرة التي يمزج قروللیوس هذه القطرات الثلاث من الحمض، بها.

ب - روح البارود المدر للبول:

يعني «روح البارود» بالمفهوم الطبي القديم: حمض الأزوت.

ويقول المؤلف أن ما ينطبق على روح الملح ينطبق أيضاً على روح البارود.

- ملح الجمر المدر للبول:

أطلق المؤلف هذه التسمية على مدر للبول، وصف طريقة تحضيره بأن أخضع مزيجاً من ملح البارود (نترات البوطاسيوم Salpêtre) والكبريت المصعد، إلى حرارة مرتفعة.

ومن المعروف أن مادة نترات البوطاسيوم حين تسخينها الشديد تتحول إلى نتريت البوطاسيوم مع انطلاق غاز الأكسجين. وهذا الأخير يؤكسد الكبريت المضاف مشكلاً بلا ماء الكبريتي الذي يتحول إلى كبريتيت البوطاسيوم. أي أن ناتج الوصفة هو مزيج من نتريت البوطاسيوم وكبريتيت البوطاسيوم. وقد حمد قرولليوس لهذه المركبات الناتجة صفاتها المدرة.

وهنا أيضاً يوصي قروللّيوس بأن يعطى هذا الدواء بكميات قليلة بعد مزجها بمنقوعات أو مغليات لنباتات لها خاصة الإدرار.

٨ - المعرّقات : Diaphorétiques

يصف قروللّيوس التعريق بأنه استفراغ كلي، وينقل عن براكلسوس قوله:

«يمكن علاج ثلث الأمراض العارضة للإنسان بالتعريق».

وقد اعتمد المؤلف في هذا المجال على مركبات الزئبق، والأنتيموان، وروح الطرطير.

أولاً: الأنتيموان المعرق الساذج:

هذه التسمية هي من وضع قروللیوس، ويقصد بالساذج: البسيط غير المركب. ويحضر هذا المعرق بسحق الأنتيموان وملح البارود وتسخينه حتى يحترق البارود، «فيخرج الأنتيموان ويسحق ويغسل بالماء ويجفف ثم يغمر بالعرق ثم يطير عنه العرق بالنار ويحفظ، فإنه بادزهر معرق يسقى في الأمراض المحتاجة إلى التعريق».

وهي طريقة سليمة للحصول على الأنتموان من فلزه المنتشر في الطبيعة وهو سلفور الأنتيموان[20]، ومن المحتمل أن يتحول هذا الأنتيموان إلى أنتيمونيات البوطاسيوم الحامضية بتفاعله مع جزء من كمية ملح البارود (نترات البوطاسيوم) الداخل في التفاعل. وأرجح أن يكون هذا الملح هو العنصر الفعال في الإدرار[21].

ثانياً: البادزهر المعدني:

إن هذا المعرق يتضمن مركبات زئبقية وذهبية إضافة إلى المركبات الأنتموانية.

ولا يرى قروللیوس في هذا المركب الدوائي معرّقاً فقط، بل أسند إليه فوائد عديدة جداً. فهو مفيد في الحب الإفرنجي (السيفيليس) والطاعون والنقرس، ووجع المفاصل، والإستسقاء، ووجع الأحشاء، وسددها وتفتيت الحصى من الكلية والمثانة، وغير ذلك من الإستطبابات.

ومثل هذه الفوائد العديدة لدواء واحد، أمر نواجهه كثيراً في وصفات قروللیوس، وفي وصفات استاذه براكلسوس قبله. وإن من يقرأ الإستطبابات العديدة التي ينسبها المؤلف لكل من هذه الأدوية، يعتقد أن ذلك الدواء وحده كافٍ لمعالجة جميع الأمراض،

---

(٢٠) انظر كتاب Officine تأليف فرنسوا دورفو F. Dorvault ص/ ١١٢.

(٢١) المصدر نفسه ص/ ١١٣.

وكأنه الأكسير الأعظم المنشود !!

ثالثاً: روح الطرطير المعــرق:

من تتبع العملية الكيميائية في تحضير هذا الدواء، نستنتج أن الأمر لايعدو أن يكون الناتج: طرطرات البوطاسيوم الحامضية. وقد بقي هذا العقار، والمسمى أيضاً «كريم الطرطير» مستعملاً في المعالجة حتى عهود قريبة منا، إلاَّ أن أكثر استعمالاته كانت في الإدرار والترطيب وأحياناً في الإسهال[٢٢].

٩ ـ المقويــــــات: Confortatifs[٢٣]

يعطي قروللبوس أهمية كبيرة للمقويات، ويقول أن الدواء المقوي يؤثر بالخصائص الخفية الكامنة فيه، ولهذا فهو يوصي باستعمال المقويات في جميع الأمراض، لأن طبيعة المريض متى قويت، أعانت الدواء على حدوث الشفاء وهو يرى أن المقويات قد تكون أحياناً كافية لدفع المرض عن الجسم.

وتسيطر على المؤلف فكرة وصف الأحجار الكريمة في المقويات كاللؤلؤ، والمرجان والياقوت والزمرد، بعد تحويلها إلى ما يسميه قروللبوس أملاحاً لها.

ونحن إذا تأملنا ما يقوم به المؤلف من عمليات كيميائية على هذه الأحجار الكريمة، نراه يعاملها بحمض الخل، أو بروح الملح (حمض كلور الماء) بالنسبة إلى اللؤلؤ

---

(٢٢) انظر كتاب L' Officine تأليف فرنسوا دورفو F. Dorvault مطبوعات فيغو Vigot، باريس، فرنسا / ١٩٧٨ ص:١٥٣٢.

(٢٣) هذه التسمية وردت في (ف) وهي مشتقة من فعل Conforter بمعنى «يقوي»، ولم يعد هذا الإشتقاق مستعملاً بالفرنسية حالياً، وقد استعيض عنه بكلمة Confortant.

والمرجان[٢٤]. وأما بالنسبة للياقوت والزمرد[٢٥] فيسحقهما مع الكبريت وملح البارود، ثم يعرض المزيج لحرارة مرتفعة تحرق كلاً من الكبريت والبارود ومن ثم يضيف الخل إلى الناتج.

ومن هذه العمليات نستنتج أن أملاح هذه الأحجار الكريمة التي يعتبرها المؤلف من المقويات العظيمة، لاتعدو أن تكون أملاحاً كلسية أو ألومينية !!

وقد ضحى بهذه الأحجار الكريمة، واعتبرها عظيمة الفائدة، بتأثير من المفاهيم الكيميائية القديمة (الخيميائية) التي تعتبر هذه الأحجار الكريمة من طبيعة نبيلة قريبة من طبيعة الذهب، ملك المعادن، والمنسوب إلى الشمس.

إلا أن المؤلف لم يهمل ذكر المقويات التقليدية. فقد أورد دواءً أسماه بـ «الأكسير ذي الخواص الكثيرة» مؤلفاً من المر والزعفران والصبر والكبريت والخمر، يقول عنه إنه دواء عجيب لأمراض الصدر والرئة وإنه يزيل ضعف البصر، ويقوي القلب ويسكن الأوجاع. ويفتت حصيات المثانة، ويزيل الماليخوليا، وينفع المسنين منفعة بالغة.

نقل قرولليوس هذا الأكسير عن استاذه براكلسوس، ولئن لم يذكر ابن سلوم ذلك في مخطوطه، فإنه مذكور بشكل صريح في الترجمة الفرنسية (ف) لكتاب «الكيمياء الملكية» موضوع البحث[٢٦].

---

(٢٤) يتألف كل من اللؤلؤ Perle، والمرجان Corail من مواد كلسية مع مواد أوملونات عضوية (انظر موسوعة لاروس الكبرى).

(٢٥) يتألف كل من الياقوت Rubis والزمرد Emeraude من الومين (سيليكات الألمنيوم) وتأتي ألوانهما بشكل رئيسي من ثاني أكسيد الكروم. (انظر موسوعة لاروس الكبرى).

(٢٦) انظر (ف) ص / ٧٤.

١٠ـ مسكنات الوجع والمنومات:

يرى المؤلف أن للأدوية المسكنة للألم، والأدوية المنومة دوراً هاماً في المعالجة، وإن هنالك أمراضاً لاتمكن معالجتها مالم يسكن الوجع فيها، وإن المنومات لابد منها للمرضى المصابين بالأرق مع ضعف في قواهم الجسمية والنفسية. ويستشهد على ذلك بجملة لأبقراط هي:

«الراحة صديقة للطبيعة»

ولم ينسَ قروLليوس أن يهاجم جالينوس وأنصاره، فقال إنهم يستعملون المهدئات والمنومات مع الإبقاء على خصائصها السامة لعدم معرفتهم بطرق تخليصها من خواصها السمية أما هو فيستطيع، كما يدعي، تدبير هذه المسكنات والمنومات بما يخلصها من سميتها، مع الإبقاء على خصائصها المخدرة.

يعتمد المؤلف في المسكنات والمنومات، بشكل رئيسي على الأفيون والبنج (الجوسكيام)، وجذور اليبروح.

وقد أورد قروLليوس، وصفتين في هذا المجال، أسمى الأولى:

« لودنو لتسكين الوجع وجلب النوم من صنعة براكلسوس» ، والثانية: «معجون لودنو»[٢٧].

وفي كل من الوصفتين نجد الأفيون والبنج واليبروح، هذا بالإضافة إلى أدوية عديدة أخرى كملح اللؤلؤ والمرجان، وقرن الكركدن، والعنبر ودهن القرنفل ودهن الأنيسون وغيرها.

(٢٧) جاءت كلمة لودنو في (ف) ص٧٩، ٨١ كما يلي: لاودانوم Laudanum .

ويقدم لنا قروللیوس تفسيراً لمعنى اللودانو (أو اللاودانوم) فيقول أن هذه التسمية تعني باللاتينية: «الممدوح»[28]. وقد أعطى لدوائه هذه التسمية لأنه ممدوح في آثاره المسكنة والمنومة بدون آثار ضارة أو سمية.

وهنا لابد من أن أشير إلى أمر لافت للنظر، ذلك أني وجدت في النسخة الفرنسية (ف) جملة أترجمها حرفياً بما يلي:

«لا مجال للخوف اطلاقاً من أعطاء هذا اللاودانوم إلى صغار الأطفال»[29].

إلا أن ابن سلوم الحلبي لم يذكر هذه الجملة في ترجمته. واعتقادي هو ابن سلوم كان مدركاً لخطورة إعطاء المركبات الأفيونية لصغار الأطفال فأهمل ترجمة هذه الجملة خوفاً من اساءة استعمال مضمونها.

قد يوجد من يبرر لقروللیوس هذا الخطأ بداعي أن فكرة عدم وصف الأفيون لصغار الأطفال، تبلورت في المرحلة التي تلت وفاة قروللیوس بسبب التطور العلمي في مجالات المعالجة. ولكني شخصياً لا أرى مثل هذا التبرير مقبولاً، لأن قروللیوس أنجز كتابه عام ١٦٠٩م في حين أن ابن سلوم أنجز ترجمته لذلك الكتاب عام ١٦٦٩م أي بعد ستين سنة. فهذا الفارق الزمني ليس كبيراً. والأهم من ذلك أن الأطباء العرب القدامى حذّروا من استعماله لصغار الأطفال، فكانوا أكثر وعياً من قروللیوس. فالطبيب القيرواني ابن الجزار[30] الذي عاش في القرن العاشر للميلاد ذكر في كتابه المعروف:

« سياسة الصبيان وتدبيرهم »

---

(٢٨) الكلمة مشتقة من Laudanatio اللاتينية وهي تعني الممدوح.

(٢٩) انظر (ف) ص /٨٦.

(٣٠) هو أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد الملقب بابن الجزار، ولد في القيروان عام ٢٨٥هـ / ٨٩٨م وتوفي فيها عام ٣٦٩هـ / ٩٧٩م.

إن الخشخاش يوصف للأطفال بعد تجاوزهم السنة من العمر ، وقد وصف الخشخاش بكميات قليلة جداً للأطفال الذين تجاوزوا السنة من العمر ، مخلوطاً بأدوية أخرى[٣١] . وقد ذكر ابن الجزار انه تعلم ذلك من الطبيب اسحق بن عمران[٣٢] .فإذا أخذنا بعين الإعتبار أن معجون اللاودانوم ، الذي أجاز فروللبوس اعطاءه لصغار الأطفال بدون تحديد لعمرهم ، يحتوي على أكثر من عشرة بالمائة من مادة الأفيون (التي تؤخذ من نبات الخشخاش) أدركنا وجود نقطة ضعف في معلومات قروللبوس العلاجية التجريبية ، وربما كان السبب يكمن في أن تفكير قروللبوس قد تركز حول ما أخذه عن استاذه براكلسوس من امكانية إبعاد السمية عن العقاقير إذا أحسن الطبيب تدبيرها .

١١- المشمومـــات :

يقول قروللبوس ، بدون أن يأتينا بشيء جديد ، أن الروائح الطيبة التي يستنشقها المريض تقوي الروح وتنعش قوى الجسم ، فتعين الطبيعة على مكافحة المرض . بدلالة تأثيرها في حالات الإغماء . وقد أورد عن الطبيب فيلاغريوس من علماء القرن الخامس الميلادي قوله :

« الرائحة الطيبة غذاء للروح والقلب لذلك كانت علاجاً كلياً » .

ولم يورد ابن سلوم سوى وصفة شموم واحد مركب من البسباسة والقرنفل والدارصيني والعنبر والمسك والزباد[٣٣] ، معجونة بماء الورد والصمغ العربي.

---

(٣١) انظر كتاب « سياسة الصبيان وتدبيرهم » تأليف ابن الجزار القيرواني تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة، مطبعة المنار، تونس ١٩٦٨ الباب السادس عشر ص / ١١٢ .

(٣٢) هو اسحق بن عمران ، طبيب بغدادي المنشأ ، وفد إلى القيروان عام ٢٦٤هـ / ٨٧٧م كان في تونس زعيم مدرسة طبية . انظر كتاب «ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية» تأليف حسن حسني عبدالوهاب ، مطبعة المنار، تونس ١٩٧٢ الجزء الأول ص / ٢٣٥ .

(٣٣) الزباد مادة عطرية من مفرزات الحيوان المسمى: الزباد Civette .

مخطوط الطب الجديد الكيميائي

من نسخة مكتبة كامبردج (انكلتـــــــر) (ك)

من مخطوط «الكيمياء الملكية»

المقالـة الثانيـة
في العلاجـات الجزئيـة

دراسـة تحليليـة

سبق أن أورد المؤلف في مقدمة المقالة الأولى تعريفاً للعلاج الجزئي فقال :

- إنه العلاج الذي لا يقطع أصل المرض، بل يسكن أعراضه، ويزيل نوبته ويمنع زيادته.
- وإنه العلاج الذي يختص بأحد أعضاء الجسم.

وقد أدخل المؤلف مداواة الجروح في فئة المعالجات الجزئية، لأنها تصيب أعضاء محددة من جسم الإنسان.

وقد حرص قرولليوس على أن يبدأ بوصفة تقوي الأعضاء الرئيسية للإنسان واعتبر تقوية هذه الأعضاء أمراً ضرورياً دوماً لمساعدة الطبيب في تحقيق الشفاء. وقد وضع في هذه الوصفة حوالي عشرين مادة مقوية أهمها اللؤلؤ والمرجان، وروح الزاج، وعظام قحف الإنسان، والكبريت، والترياق، بالإضافة إلى مصلحات للطعم والرائحة.

وبعد أن ذكر المؤلف هذا المقوي العام، بد أ بعلاج أعضاء الجسم مبتدئاً بالرأس حتى أسفل البدن، دون أن يهمل ذكر علاج بعض الأعراض المَرَضية الهامة كالحميات والإنسمامات.

١ ـ أدويـة الصـرع:

اعتبر ڤروللّيوس الصرع من أمراض الرأس المزمنة. وقد وصف لهذا المرض علاجاً مؤلفاً من خمس عشرة مادة دوائية منها ماهومن **منشأ حيواني** كعظم قحف الرأس، ومنها ماهو من **منشأ معدني** كالزاج، وروح الزاج، وملح اللؤلؤ وملح المرجان، ومنها ماهومن **منشأ نباتي** كدهن الكهرباء وسفوف المسك ودهن الأنيسون والفاوانيا. تخمر جميع هذه المواد في محلول كحولي (صاعد الشراب) لمدة شهر كامل فيكون جاهزاً لوصفه للمرضى المصابين بالصرع.

ومن تفحص عناصر هذه الوصفة، يتبين لنا ما يلي:

آ ـ تأثر ڤروللّيوس بنظرية براكلسوس فيما يتعلق بالجوهر الخامس. فاللؤلؤ والمرجان والكهرباء يعتبرها براكلسوس من الأحجار القريبة في طبيعتها من الذهب، أكمل المعادن، وينطوي فيها، بالقوة، الحجر المكرم القادر على شفاء الأمراض.

ب ـ تأثر ڤروللّيوس بالنظرية الهرمسية فالمواد العطرية تعتبر من الأرواح الطيارة التي تستطيع سرعة التحرك مابين الأعلى والأسفل، لتأمين حسن التناغم مابين العالم الأكبر (الكون) والعالم الأصغر (الإنسان).

د ـ تأثر ڤروللّيوس بنظرية السمات[1]. ذلك إن اعتماد المؤلف على عظم قحف الرأس، لمعالجة مرض مقره الرأس، ظاهر العلاقة بتلك النظرية.

---

(١) وتسمى أيضاً « نظرية الإشارات» Théorie des Signatures ولڤروللّيوس كتاب ألفه عن هذه النظرية بعنوان: Traité des Signatures ألفه باللاتينية ثم ترجم إلى الفرنسية بعد أقل من عشرين سنة من تاريخ صدوره. وقد أعيدت طباعته عام ١٩٧٦ من قبل دار Arché للنشر في مدينة ميلانو، بايطاليا.

٢ - أدوية الفالج والسكتة:

أورد المؤلف وصفة لمعالجة السكتة والفالج، تحتوي على دهن الكهرباء، بالإضافة إلى نباتات عطرية وقراصيا وخردل. وأخضع هذه المواد للتخمير والتقطير.

ويركز قرولليوس بشكل خاص على الميزات العلاجية لدهن الكهرباء، ويسميه بالدهن الشريف: « لكونه يقوي الأعضاء الشريفة وخصوصاً الدماغ».

ويقول عنه أنه دواء: « لا نظير له للفالج والسكتة والصرع إذا سقي بماء الأخلامور » .

٣ - أدوية أمراض العين:

يصف المؤلف، لأمراض العين دواءً، يَدْخل فيه عدد كبير من المواد أهمها:

مقطر بياض البيض المشوى، مقطر دم الإنسان، التوتيا المسقاة، الشبّ الزاج الأبيض (أي سلفات التوتياء)، ملح الرصاص[٢]، ماء الورد، ماء القرنفل، الكافور الخ.... تخلط هذه المواد بالشراب (الخمر) في إناء من النحاس الأحمر، وتوضع في الشمس الحادة أربعين يوماً، مع تحريك المزيج مراراً كل يوم.

ويقول المؤلف أن هذا الدواء ينفع جميع أمراض العين كالبياض والغشاوة والقروح، والسيلان الصديدي، وحتى ضعف البصر!

ولانستطيع أن ننكر أن أكثر هذه المواد وخاصة أملاح التوتياء،تتمتع بخصائص نافعة لأمراض العين، ومازال بعضها مستعملاً حتى اليوم.

---

(٢) ويسمى أيضاً « سكر الرصاص»، وهو خلات الرصاص المعتدلة Acetate neutre de Plomb .

٤ ـ أدوية أمراض الأسنان :

يستعمل المؤلف في معالجة الأسنان مزيجاً من دهن القرنفل والكافور وروح الترمنتين. يوضع على الأسنان الموجعة لتهدئة ألمها.

ويورد صبغاً كحولياً لنباتات عطرية كالنمام والسعتر والفوتنج النهري، والطرفاء، ويضيف إليها الأفيون. ويصف هذا الدواء تطبيقاً موضعياً أو تعمل منه مضمضة لتسكين آلام الأسنان.

ومن الواضح أن أكثر هذه المواد مازال مستعملاً لتهدئة ألم الأسنان، إلاّ أن المؤلف لم يذكر لنا، لمعالجة التهابات اللثة، وأمراض الأسنان دواءً ما.

٥ـ أدوية أمراض الصدر :

يستند قرولليوس على بعض المركبات الكبريتية في معالجة الأمراض الصدرية كالربو والسل والسعال الحاد والمزمن.

وقد وصف لهذه الأمراض دواءً أسماه « لبن الكبريت »، وهو يقوم على أساس معالجة ملح الطرطير بالكبريت المصعد (أو زهر الكبريت)، وذلك بالتسخين والحل والتبخير، بوجود الخمر.

٦ ـ أدوية أمراض القلب :

يرى المؤلف أن من أولى مهمات الطبيب، في كل معالجة يباشرها أن يبذل جهده في المحافظة على سلامة قلب مريضه. لأن القلب، كما يقول :

هو منبع الروح الإنساني، ومركز الحرارة الغريزية، ومنه تستمد جميع أعضاء الجسم قوتها.

ويقول إن القلب أشرف مافي الإنسان من أعضاء، وإن نسبته إلى بدن الإنسان

كنسبة الشمس إلى العالم، وكنسبة الذهب إلى المعادن.

ويرى المؤلف أن الذهب، إذا أمكن اخراج خصائصه من القوة إلى الفعل أمكن أن نحفظ للقلب سلامته، وان نُرجع الشيوخ إلى شبابهم وأن نجد العلاج الشافي لكل مرض.

ثم يقول: «ولكن الوصول إلى هذه المرتبة أمر عسير، دونه خرط القتاد. وما لايدرك جله، لايترك كله».

ويسمي المؤلف هذا الهدف المنشود بالتدبير الكبير، ويقول (والقول دوماً عن الذهب):

«وقد ذكرنا له هنا تدبيراً حسناً هو أشرف تدابيره بعد التدبير الكبير». أما هذا التدبير الحسن، الذي يعنيه المؤلف، فهو تحضير مادة أعطاها أسماء مختلفة تعبّر عن أهميتها بالنسبة له وهي:

«الذهب القادر[٣]»، «الذهب الرعد[٤]»، «الذهب النباتي[٥]»، «كلس الذهب[٦]»، وطريقة تحضير هذا المستحضر الذهبي، المتعدد التسميات أوضحها لنا قرولليوس كما يلي:

١ـ يستحصل على الماء الملكي[٧] بنتيجة التفاعلات الكيميائية التالية:

آ ـ يحصل على **حمض الآزوت** (الماء القوي) من تفاعل روح الزاج (حمض الكبريت) مع ملح البارود (نترات البوطاسيوم). وهي طريقة سليمة من الناحية الكيميائية.

(٣) «الذهب القادر» تسمية يقابلها في (ف) L' or Potable .

(٤) «الذهب الرعد» تسمية يقابلها في (ف) Aurum Fulminens .

(٥) «الذهب النباتي» تسمية يقابلها في (ف) L' or Volatil .
والأحرى أن تكون التسمية: «الذهب الطيار أو الذهب القابل للتبخر».

(٦) «كلس الذهب» تسمية يقابلها في (ف) Calx Solis, Chaux de Soleil .

(٧) الماء الملكي Eau Régale مزيج من حمضي الآزوت وكلور الماء هذا المزيج يحل الذهب، وقد ورد في (ف): Aqua - Rex (معناه الحرفي: ماء الملك).

ب ـ يحصل على حمض كلور الماء، من تفاعل العقاب (كلورور الأمونيوم) مع روح الزاج (حمض الكبريت). وهي طريقة سليمة أيضاً، وإن كان من الأسهل عليه أن يستعمل الملح العادي بدلاً من العقاب، إلاّ أن لهذا الملح النشادري مهمة أخرى كما سنرى.

٢ ـ وبعد أن تشكل مزيج من حمض الآزوت وحمض كلور الماء، أي الماء الملكي نحلّ فيه كمية من الذهب.

٣ ـ يصب دهن الطرطير[٨]، أو محلول ملح الطرطير قطرة قطرة على المحلول الذهبي المذكور أعلاه. فيحدث من ذلك، كما يذكر قروللّيوس، فوران شديد فيرسب الذهب في أسفل الإناء تربةً صفراء. يغسل هذا الراسب مراراً بالماء ثم يجفف بعيداً عن النار. ويقول المؤلف عن هذا الراسب إنه ينفجر لأقل سبب، وتظهر عنه أصوات كأصوات الرعد.

ومن معطيات هذه العمليات الكيميائية، يبدو واضحاً أن الراسب القابل للإنفجار، هو ذهبات النشادر[٩]. وهذه المادة، هي فعلاً شديدة الإنفجار إذا صدمت، أو تعرضت لحرارة تزيد عن مائة درجة مئوية، ويرافق الإنفجار، دوي كصوت الرعد، وهذا ما دعا قروللّيوس لتسمية هذه المادة بذهب الرعد.

ويصف قروللّيوس هذه المادة، من الناحية العلاجية، بأنها الذهب المبارك الذي ينفع البدن الإنساني، ويخلصه من أكثر أمراضه، وقد أورد له منافع طبية كثيرة لا أرى فائدة من

---

(٨) دهن الطرطير هو محلول مائي مكثف لملح الطرطير (طرطرات البوطاسيوم) بعد تحويله إلى بنية غير بلورية. والمرجح أنه «ثاني طرطرات البوطاسيوم» الذي كانوا يطلقون عليه اسم «كريم الطرطير Crème de Tartare».

(٩) «ذهبات النشادر» مادة لها عدة تسميات بالأجنبية Aurate d' Ammoniaque , Ammoniure d' Or , Or Fulminant , Azoture d' or (انظر كتاب L' Officine) تأليف دورفو، منشورات Vigot. باريس / فرنسا ١٩٧٨ ص: ٩٧٢.

تعدادها، فهي موجودة في المتن المحقق في هذا الكتاب.

وهنا أود أن أورد الملاحظتين التاليتين :

الأولى: ماهو السبب الذي دعا قرولليوس لتسمية هذا العقار بكلس الذهب، مادامت مادة الكلس غير موجودة في المواد التي دخلت التفاعلات الكيميائية؟

أرى أن السبب في هذه التسمية إما أن يكون بسبب الشبه الظاهري بين الفوران الذي يحدث من اطفاء الكلس الحي وبين ذلك الذي حصل حين إضافة ملح الطرطير إلى الماء الملكي المحتوي على الذهب محلولاً فيه، أو أن تكون التسمية مشتقة من العكليس وهو تحويل المادة إلى مسحوق غير متبلور.

الثانية: علق قروللیوس أهمية كبرى على كل من الفوران والحرارة الحادثين أثناء إضافة دهن الطرطير، وعلى قابلية الإنفجار للراسب الذهبي. ذلك إن مثل هذه المظاهر العنيفة في التفاعلات الكيميائية يعتبرها الفكر الكيميائي البراكلسوسي، عمليات ذات مغزى كبير لارتباطها باعتبارات فلسفية وفلكية وبالجوهر الخامس. وكان قروللیوس معجباً وفخوراً بهذه التجربة الكيميائية وما رافقها من مظاهر، حتى انه ذكر في كتابه انه أجرى هذه التجربة أمام مليكه الإمبراطور رودلف الثاني، وبوجود نخبة من أعظم أطباء بلاده[١٠]!

٧ - أدوية أمراض المعدة :

يصف المؤلف لأمراض المعدة روح زاج النحاس، وروح زاج الحديد وكلا الروحين هما حمض الكبريت، ولكن من منشأ مختلف. ويصف هذا الحمض بكميات قليلة مع منقوع حشيشة الزجاج، أو بماء الورد، أو بماء القنطريون.

---

(١٠) انظر (ف) صفحة ١٢٦ .

ومن المعلوم أن للحموض صفة تنشيط الهضم إذا كانت بمحاليل ممددة وبكميات محدودة.

وينسب المؤلف لهذه المحاليل الحمضية خاصة تفتيت الحصى الكليوية والمثانة أيضاً، واخمادها لهيب الحميات إضافة إلى فائدتها في أمراض المعدة حارها وباردها. كما يعطي لهذا الحمض استطبابات أخرى، فهو ينفع في أمراض الرأس، ممدداً بماء الخزامى أو الفاوانيا. وينفع في اليرقان ممدداً بماء الخلدونيا، كما ينفع في التعريق إذا أشرك بالترياق. ويراه المؤلف مفيداً أيضاً لأمراض الجلد كالحكة والجرب والحمرة إذا استعمل خارجياً.

ويوصي بالحذر من وصفه لمن في معدته أو كبده أورام، باعتباره دواء شديد الحموضة.

٨ - **أدوية أمراض الرحم :**

يورد المؤلف لمعالجة أمراض الرحم عدة وصفات :

الوصفة الأولى : يعمل رب من الجندبيدستر والزعفران، يضاف إليه رب البرنجاسف وملح الصدف، ودهن كل من الأنجليقا واليانسون والكهرباء ويعقد المزيج على نار خفيفة ويوصف لفتح سدد الرحم واختناقه ولتنظيم الحيض. ويكون استعماله داخلاً والجرعة منه من ثلث إلى ثلثي درهم.

الوصفة الثانية: يحرق القصدير بالنار حتى يصير كالرماد، ثم يغمر بالخل المقطر حتى ينحل، ثم يصفى، ويوضع في مكان بارد ليتبلّر. تكرر عملية الحل والبلورة مراراً. ويبدو من سير هذه العمليات، إن البلورات هي بلورات خلات القصدير والأرجح أن تكون خلات القصدير الأساسية[١١]وذلك بانضمام أكسيد القصدير إلى خلاته. ويعتبر المؤلف هذا الدواء عجيباً في مفعوله، فإنه إذا سقي للمريض بماء البرنجاسف

---

(١١) هو Acetate basique d' Etain وقد سماه قروللبوس (وكذلك ابن سلوم) بملح المشتري. والمشتري Jupiter هي التسمية الكيميائية القديمة لمعدن القصدير .

أبرأ اختناق الرحم. ويمكن استعماله من خارج أيضاً (طلاءً أو رحضةً مهبلية) فينفع نفعاً بيناً.

الوصفة الثالثة: وتقوم هذه الوصفة على تقطير عقاقير نباتية واستعمال القاطر منها. وهذه العقاقير هي المشكطرامشيع والدوقو والدار صيني والسليخه وبادرنجبويه وزعفران بالإضافة إلى الجندبيدستر. تسحق معاً وينقع المسحوق في عصير السذاب ويقطر على حمام مائي وتستعمل القطارة داخلاً. وعلى المريضة أن تمتنع عن تناول أي طعام مدة ثلاث ساعات بعد تناول الدواء.

الوصفة الرابعة: تكون بتقطير منقوع لطحال البقر في محلول كحولي ويستعمل القاطر بعد إضافة المر والأنجليقا إليه وتكثيفه إلى قوام الربوب. يستعمل داخلاً ويعطيه المؤلف صفة المدر لدم الحيض، ويراه دواء لا نظير له وسراً من الأسرار العلاجية.

٩ - أمراض الكلى والمثانة:

يقتصر المؤلف، في بحثه عن أمراض الكلية والمثانة، على معالجات الحصيات التي تتشكل فيهما، ويرى أن تكونها ينتج عن فضلات غذائية طرطيرية، مستعدة للإنعقاد (أي التصلب)، عندما تكون القوة الدافعة للجسم ضعيفة، ويقول:

« والعاقد لها هو الروح الحار المخصوص بذلك العضو، مع ضعف هضم العضو وكثرة المادة الطرطيرية»، كما يقول:

« إن الحصى المتولدة في هذين العضوين أنواع كثيرة» .

وقد أورد المؤلف، لتفتيت هذه الحصيات، وصفة نسبها إلى براكلسوس قائمة على « نظريات السمات»، هي مزيج من عقاقير لها قوام الحجر:

حجر مثانة الإنسان، حجر اليهود، كهرباء، حجر الإسفنج، بلور معدني، أحجار بيضاء مستديرة مما يوجد قرب الأنهار. تحرق هذه المواد معاً بالكبريت والبارود، ثم يحل الناتج بالخل المقطر (حمض الخل) ثم يصفى ويستخرج منه راسب بلوري أسماه الملح.

ويصف هذا الدواء للمرضى مع مدرات للبول كماء حشيشة الزجاج، وماء حب العرعر، وماء البادرنجبويه.

ويقول المؤلف عن هذا الدواء إنه يفتت الحصى ويخرجها سواء كانت في الكلى أو في المثانة.

١٠- أدوية الإستسقاء :

يشرح لنا قروللبوس أسباب حدوث الإستسقاء فيقول :

« اعلم أن الفضلات الحاصلة مما يؤكل ويشرب ثلاث : الأولى المائية، الثانية الكبريت، والثالثة الملح. والفضلة الثالثة التي هي الملح، إذا عرض لها عارض أوجب انحلالها، تولد الإستسقاء».

فمعالجة الإستسقاء، إذن تقوم على تخليص الجسم من السوائل المسببة لذلك الإستسقاء.

اعتمد قروللبوس، لهذا الغرض، على المسهلات، ومدرات البول، والمعرقات وكلها تخفف من كمية السوائل المسببة للإستسقاء. وقد أورد وصفة تحتوي على التربد المعدني (سلفات الزئبق الأساسية)، والخربق الأسود، وشراب الأفسنتين، وماء الترياق، وزعفران الحديد المصنوع بماء الكبريت(١٢) ويعمل بشكل حبوب للإستعمال الداخلي.

(١٢) أرجح أن يكون هذا الملح الحديدي: كبريتات الحديدي (Sulfate Ferreux $So^4 Fe , 7 OH^2$).

ويوصي المؤلف أن يترافق العلاج، بالإقلال من تناول السوائل، وان يكون طعام المريض من الأغذية المجففة، لئلا تزيد كمية السوائل في الجسم فيستفحل الإستسقاء.

١١- مضادات الإسهال :

يذكر لنا قروللبوس ثلاثة أنواع من الإسهال هي الزحار[١٣]، الهيضة[١٤]، والإسهال العادي[١٥]. ويقول :

« إذا كان الهضم قوياً وكانت القوة المميزة ضعيفة، حدثت زنطارية، وإن كانت القوة المميزة قوية والهاضمة ضعيفة، تولدت الهيضة، وإن كانت القوتان ضعيفتين، حدث الإسهال العادي».

ويبدو أن حدوث اسهالات مدماة عند بعض المرضى، دعا قروللبوس لأن يعتمد وصفات تتضمن عقاقير تجمع إلى فائدتها في وقف الإسهال، الفائدة في إيقاف النزوف الدموية والتعويض عن الدماء النازفة. والوصفة التي ذكرها لنا المؤلف بشكل سفوف، تتألف من مزيج من عقاقير مختلفة. منها ما هو للإسهال بأنواعه كالطين المختوم والطلق والصدف المحرق. والجوزبوا أو الدارصيني وعظم الإنسان المحرق. ومنها ماهو لمعالجة النزوف الدموية ويعتمد هنا على عقاقير حمراء اللون أو مائلة إلى الحمرة بما يقرب من لون الدم:

كالجلنار، ودم الأخوين، والشاذنج، والمرجان، والكهرباء. وقد أدخل في مكونات هذه الوصفة زعفران المريخ (خلات الحديد) أيضاً.

يوصي المؤلف بسحق كل ما تقدم من عقاقير سحقاً ناعماً، ويستعمل المسحوق

---

(١٣) الاسم المقابل للزحار في (ف) هو Dysenterie وقد استعمل له سلوم تعبير الزنطارية.

(١٤) الاسم المقابل للهيضة في (ف) هو Lienterie ومعناه الإسهال الذي تخرج معه الأطعمة منهضمة جزئياً انظر (ف) ص /١٧ وموسوعة لاروس الكبرى .

(١٥) الاسم المقابل للإسهال في (ف) هو Diarrhée ص /١٧ .

بشكل سفوف. ويحمد المؤلف هذه السفوف للإسهلات والنزوف، إلا أنه يوسع مجالات النزوف الدموية لتشمل النزوف المختلفة سواء كانت من الجهاز الهضمي أو من الأنف (الرعاف) أو من الرحم.

ومن الملاحظ أن المؤلف ينصح في الحالات الزحارية الشديدة (الدوسنطاريا) بمزج ذلك المسحوق الدوائي بالترياق. وهو أمر يبدو معقولاً لأن الترياق يحتوي في تركيبه على مادة الأفيون التي تخفف من الآلام التشنجية المعوية التي ترافق الإسهالات الزحارية الشديدة.

١٢- الأدوية المقوية للباه :[١٦]

يعتمد المؤلف في تقوية الجماع عند الرجل على نبات خصى الثعلب الكبير[١٧] ويقول إن هذا النبات يفقد فائدته إذا جف، ولذا يجب استعماله وهورطب. وقد أورد لذلك وصفة تقوم على هرس جذور هذا النبات بلب الخبز في هاون من حجر، ويضاف إليها مقطر الخمر ويترك المزيج للتعفين مدة شهرين، وبعدها يصفى السائل عن الثفل. وبعد أن يترك هذا السائل لمدة شهرين آخرين في جهاز التعفين الذي يسميه بطن الفرس[١٨]، يكون جاهزاً للإستعمال بعد مزجه برماد الثفل المحروق.

ويوصي المؤلف بتناول هذا الدواء مع الخمر الريحاني ويقول عنه :

« يقوي البدن ويعينه على الجماع، لانظير له، ويزيد في المني، ويرجع الشيخ إلى صباه!! ».

ومن الوارد أن نتساءل عما إذا كان مفعول هذا الدواء من نبات خصى الثعلب، أم

---

(١٦) التعبير المقابل لهذا العنوان في (ف) هو: Les Vénériens أي الأمراض الزهرية.

والتسمية واردة من اعتبار القدماء أن كوكب الزهرة هو المسيطر على القوى الجنسية عند البشر.

(١٧) نبات خصي الثعلب: هو الساطريون، ويقال له أيضاً نبات خصى الكلب.

(١٨) التعبير المقابل ل « بطن الفرس» في (ف) هو Fumier de cheval وقد سبق إن جاء في المتن وصف لذلك.

من الخمر الذي يتناوله المريض مع الدواء، هذا إذا كان لكامل وصفة قرولليوس من تأثير في هذه المجالات أو في بعضها.

ومهما يكن الجواب، فهيهات أن يعود الشيخ إلى صباه، يا قرولليوس !!

١٣ ـ أدوية المفاصل والنقرس:

يقول المؤلف أن وجع المفاصل، في بداية حدوثه، سهل المعالجة، فهو يزول ببعض الأدهان البلسانية، وأما إذا أزمن الوجع واستحكم فيصبح علاجه عسيراً، وعندئذ يحتاج، بالإضافة إلى الأدهان، إلى المسهلات والمدرات والمعرقات.

وقد أورد المؤلف وصفة نسبها إلى براكلسوس، تُعطى داخلاً عن طريق الفم وهي وصفة مزدوجة أي تتضمن وصفتين:

الأولى: تتألف من عقاقير مسهلة أهمها المحمودة (السقمونيا) والتربد النباتي، والسنامكي، تسحق مع السكر وتوصف للمريض بماء الكمافيطوس. ويقول المؤلف :« إن هذا المسهل كافٍ في تنقية المفاصل والنقرس» .

والثانية: وتتضمن روح الزاج (حمض الكبريت) وملح اللؤلؤ، وخمراً مطبوخاً في الغياقو، والوج والفرنجمشك. ويقول المؤلف أن الهدف من هذه الوصفة هو تقوية المفاصل ومنع أنصاب السوائل فيها.

ويبدو من سياق المتن في المخطوط أن المصاب بوجع المفاصل توصف له الوصفتان بالتتابع.

كما أن المؤلف أورد وصفات لثلاثة مراهم لوجع المفاصل، اعتمد فيها بشكل رئيسي على

صمغ البطم والأفيون، والبنج (الجوسكيام)، والعسل بشمعه، وشحم الخنزير.

١٤ ـ أدوية الحميات:

متأثراً بنظرية استاذه براكلسوس في الأقانيم الثلاثة الزئبق والكبريت والملح أساساً للموجودات والأمراض، مما مّر تفصيله في الجزء الأول من هذا الكتاب، يقول ابن سلوم على لسان قروлليوس :

« اعلم أن الحمى إما أن تكون زئبقية أو كبريتية أو ملحية أو مركبة من ذلك» .

ويقول أن جميعها بحاجة قبل كل شيء إلى الإستفراغ. ويقصد بالإستفراغ الإسهال والقيء، معتمداً بشكل خاص على التربذ المعدني.

وبعد الإستفراغ، تعطى الأدوية التي تعالج الحميات. وقد أورد المؤلف من هذه الأدوية وصفتين:

الوصفة الأولى : يغطس الحلزون بالخل لمدة ليلة واحدة، ثم يخرج الحيوان من قوقعته ويرمى. وبعد ذلك تحرق القوقعة وتسحق. ويعطى المريض من هذا المسحوق الكلسي وقت النوبة الحموية مع شيء من الخمر الدافىء أو السمن . ويدثر بالثياب حتى يعرق، ويصف المؤلف هذا الدواء بأنه من العجائب.

الوصفة الثانية : تتألف من مزيج من روح الزاج (حمض الكبريت) وملح الأفسنتين، وماء الهندباء، ويعطى في جميع الحميات المطبقة والمتناوبة. أما الحميات الوبائية الوافدة والطاعون، فيوليها المؤلف أهمية خاصة بسبب خطورتها، ويقدم لها وصفات عديدة يعتمد

فيها بشكل خاص على الكبريت والترياق، وأرواح الراسن والأنجليقا وحب العرعر[١٩].

١٥ ـ أدوية الإنسمامات :

إن الأدوية المضادة للإنسمامات، كان يطلق عليها بالمصطلح العربي القديم: «البادزهرات»[٢٠] إلاّ أن ابن سلوم لم يستخدم هذه التسمية وهنا نجد وصفتين: أحدهما لقروللييوس، والثانية لبراكلسوس.

فالوصفة الأولى: تتألف من الموميا الإنساني[٢١] مخلوطة بمقطر الخمر وبالترياق، والزيت، وملح اللؤلؤ، وملح المرجان، والطين المختوم، والمسك. ويصفه المؤلف بأنه ترياق عظيم النفع، جليل المقدار، له صفة الواقي من ضرر السموم ومن حدوث الطاعون، كما انه ينفع في جميع الإنسمامات المعدنية والحيوانية والنباتية، وفي الأورام السمية والطاعونية، يسقى بماء الشوكة المباركة[٢٢] أو بالخمر لمعالجة الأعراض الإنسمامية وللوقاية من الإنسمامات.

وعندما تكون المادة السامة حديثة الدخول إلى الجسم، فإن هذا الدواء يعطى مع دهن اللوز الحلو، فيخرج بالقيء أو بالإسهال.

والوصفة الثانية: وقد نسبها المؤلف إلى براكلسوس وتعتمد على مقطر دم البط، ورماد

(١٩) جاء في (ف) ص /١٤٨ أن قروللييوس (المؤلف) استند في بحثه عن الطاعون والحميات إلى ثلاثة كتب من تأليف براكلسوس وهي كتاب المقاطع Livre de Paragraphe وكتاب الطبيعة Livre de Nature وكتاب الكباريت Livre de Sulfure.

(٢٠) هذه الكلمة من أصل فارسي وتعني مضاد السم وقد استعملها العرب، وأما الغرب اللاتيني فلم يستعمل البادزهر بهذا المعنى وإنما استعمل كلمة Antidote .

(٢١) جاءت تسمية هذه الموميا في (ف) بالموميا البحرية. وقد وصف قروللييوس طريقة تحضير هذه الموميا كما يلي: تؤخذ من جثث نوع من الأسماك البحرية شرائح تشبع بالمر والصبر ويؤخذ صبغها الكحولي الأحمر ف ص /٧٧ .

(٢٢) الشوكة المباركة هي الـ Chardon benit .

قوانص البط بعد حرقها، والمرجان، والكهرباء ومسحوق الزبيب الأسود المجفف، والموميا، ونبات الجدوار، والبادزهر[٢٣] والترياق. تسحق هذه المواد معاً وتعجن بدهن حب الصنوبر.

ويقول المؤلف عن هذا الدواء :

« ويسقى منه نصف أوقية بالشراب أو بالحليب لمن سقي السم، فإنه لايمضي سدس ساعة الا وقد خلص المسموم من السم » .

١٦ - أدوية الجروح والقـــروح :

خصص المؤلف لمعالجة الجروح والقروح حيزاً كبيراً من كتابه. فقد أورد سبع وصفات دوائية لهذا الغرض، اثنتان منها من وضع براكلسوس.

الوصفة الأولـــى: تتضمن في تركيبها سبعة عشر نوعاً من العقاقير النباتية، يسحق ما يمكن سحقه منها، وتغمر بمقطر الخمر وتصفى وتبخر، ويكون الناتج النهائي سائلاً أحمر بقوام العسل هو العلاج المطلوب.

ويوصي المؤلف بوجوب غسل الجروح والقروح بالخمر قبل وضع الدواء عليها.

وأقول إن استعمال الخمر في الجروح والقروح ليس جديداً جاء به قروлليوس، بل قال به، قبله بأكثر من ستة قرون، ابن الجزار القيرواني[٢٤] الذي كان يصف الخمر العتيق قطرة أذنية في سيلانات الأذن الإلتهابية[٢٥]. وفي معالجة التهابات السرّة عند الأطفال،

---

(٢٣) البادزهر هو Pierre Bezovar وهو عبارة عن تجمدات حجرية تحصل في معدة بعض الحيوانات. وكان القدماء يظنون أنها تطرد السموم أو تزيل تأثيرها. (انظر معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية طبع مكتبة لبنان، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٢) .

(٢٤) ابن الجزار القيرواني هو أحمد بن ابراهيم، طبيب عاش في القيروان (تونس) ومات فيها. ولد عام ٢٨٥ هـ / ٨٩٨م، وتوفي عام ٣٦٩هـ / ٩٧٩م .

(٢٥) انظر كتاب « سياسة الصبيان وتدبيرهم » لابن الجزار القيرواني، تحقيق محمد الهيلة، مطبعة المنار، تونس / ١٩٦٨، الباب الثاني عشر.

فقد أوصى ابن الجزار بأن تبل خرقة بالخمر ثم يوضع عليها مرهم وتوضع ضماداً فوق السرّة.

الوصفة الثانية: منقولة عن براكلسوس ويسميها « ضماد استركتوم »[٢٧] وتحتوي على مزيج من واحد وثلاثين عقاراً معدنياً وحيوانياً ونباتياً.

فالعقاقير المعدنية هي السليقون (أكسيد ثلاثي الرصاص)، المرقشيتا (كبريت الحديد)، المرادسنج (أكسيد الرصاص)، أكسيد الحديد الطبيعي، الأنتيموان المصعّد، وزعفران الحديد (خلات الحديد).

والعقاقير الحيوانية هي الموميا البحرية، والشمع (شمع عسل النحل).

أما العقاقير النباتية فعددها كبير يبلغ ثلاثة وعشرين نوعاً، منها الزيت ودهن بزر الكتان، ودهن حب الغار، وكندر ومرّ وصبر الخ...

وبعد اخضاع كل هذه العقاقير لعمليات حل وتصفية وتسخين وتبخير وتحريك، يكون الناتج مرهماً، يسميه ضماداً، ويقول أنه ينفع الجروح والقروح ويشفيها، ويفعل في أسبوع ما يفعله أي دواء آخر في شهر. وقد توسع المؤلف في استطبابات هذا المرهم. فادعى انه يجذب الرصاص والنصال من الجروح، كما يرى إنه لمعالجة الفتق من العجائب، وكذلك لوجع الظهر والبواسير، « وتمتد قوته إلى خمسين سنة لا تنقص أبداً » .

الوصفة الثالثة: هي لتحضير ما أسماه « حجر الجرائحية »[٢٨] وأكثر عناصر هذه الوصفة عقاقير معدنية: الزاج الأخضر (سلفات الحديدي)، والزاج الأبيض (سلفات التوتياء)، والإسفيداج (كربونات الرصاص الأساسية)، وملح الطرطير، والشب، والطين الأرمني، والنطرون، والملح العادي.

---

(٢٧) استركتوم من الكلمة الأجنبية Strictique ومعناها القابض.

(٢٨) التعبير المقابل له في (ف) Pierre Medicinale أي الحجر الطبي ص / ١٩٣.

وأما العقاقير النباتية المستعملة هنا، فهي الأفسنتين والهندباء والبرنجاسف وخل الورد. وبسحق هذه العقاقير ومزجها وطبخها، يكون الناتج دواءً له قوام الحجر، يستعمل مسحوقاً أو محلولاً في الماء. ويستعمل المحلول ببل خرقة به توضع على الجروح والقروح، أو بشكل مضمضة لمعالجة قروح الفم واللثة وتآكلها.

أعطى قرولليوس لهذا الحجر فوائد كبيرة تجاوزت معالجة الجروح والقروح، فهو ينصح به لمعالجة الحمرة والحكة والجرب وداء الأسكربوط. كما يراه مفيداً في بياض العين طلاءً للجفن أو ذراً لمسحوقه في العين.

الوصفة الرابعة: هي لتحضير ما أسماه «سكر زحل». وزحل كما سبق القول، هو التسمية القديمة لمعدن الرصاص. ويتم تحضير هذا الدواء بتفاعل السيلقون (أكسيد الرصاص) أو الإسفيداج (كربونات الرصاص). بحمض الخل، ثم يطيّر حمض الخل الزائد عن التفاعل بالتبخير، فيتم الحصول على الملح الرصاصي الذي هو «سكر الرصاص» ويبدو من العملية الكيميائية ان هذا السكر الرصاصي هو (أسيتات الرصاص). ويوصي قرولليوس المشتغلين بتحضير هذا الدواء الرصاصي فيقول :

«الحذر من المكث في ذلك المكان، فإن بخاره رديء مضر بالإنسان». ويعطي لهذا الدواء استطبابات كثيرة جداً. فهو ينفع خارجياً في القروح المتعفنة والرديئة، والسرطان الجلدي، والغنغرينا، وسرطان الشدي، والحمرة والجمرة والنملة وأمراض العين. وينفع داخلياً لسيلان المني وللحميات وأمراض الطحال ولأورام الأحشاء، كما يدفع ضرر الزئبق عن البدن.

الوصفة الخامسة: هي لتحضير ما أسماه: «ماء بذر الضفدع» وهو أن تؤخذ بذورالضفادع في آخر شهر آذار، وتكون على وجه الماء كالطحلب، بلون أبيض، وبقوام لزج مخاطي، ورائحته كريهة. تقطَر على حمام مائي (حمام ماري)، ويوضع ماؤه المقطر ليضاف إلى المرّ

والكندر والزعفران والكافور ويجفف.

ويقول المؤلف إنه مرقىء للجروح في أي عضو كانت، وانه ينفع أوجاع المفاصل طلاءً، إذا مزج بالخل، أو بإضافة قليل من الشبّ إليه.

الوصفة السادسة: هي ماأسماها المؤلف بوصفة «الزئبق المدبر» ويقول عنه قرولليوس انه يزيل الآثار الجلدية المرضية، كما يصفه لمعالجة الجرب ويحذر من وصول هذا الدواء إلى العين والفم.

ويتم تحضير هذا «الزئبق المدبر» بسحق كميات متساوية من الزئبق والسليماني ويغمر بالخل المقطر ويترك أربعة أيام للتحريك المتكرر يومياً، ثم يؤخذ القاطر ويترك حتى يتوضع في أسفل القاطر راسب متبلر.

وإني لأعجب كيف كان قرولليوس يصف مثل هذا المركب الزئبقي للمصابين بالجرب، بطلائه على مساحات كبيرة من الجسم ولايموت المريض من انسمام زئبقي!

الوصفة السابعة: هي لتحضير ما أسماه المؤلف «المرهم الكواكبي»[٢٩] نسبة إلى الكواكب، ويقول قرولليوس إنه أخذ هذه الوصفة من براكلسوس.

إن هذه الوصفة، بنوعية عقاقيرها، وبأسلوب تأثيرها المزعوم، تبرز جوانب من نظريات براكلسوس ومدرسته، لاسيما وإن العنوان المعطى لهذه الوصفة وربطها بالكواكب تقدم بعض الدليل على ذلك.

فهذا المرهم حضّر بالأصل لمعالجة الجروح، ولذا فلابد من استعمال عقاقير دوائية

---

(٢٩) التعبير المقابل للمرهم الكواكبي في (ف) هو Onguent Constellé وكلمة Constellé تفيد من الناحية اللغوية المرصع بالنجوم (معجم لاروس).

لونها أحمر أو زهري قريب من لون الدم (نظرية الإشارات) :كحجر الدم والصندل الأحمر.

ولما كانت الجروح عندما تتعفن يمكن أن تنمو فيها بعض الديدان، فقد وضع في وصفته مسحوق خراطين مشوية، والخراطين هي ديدان من رتبة الحلقيات.

أما توقيت التحضير فيجب أن يكون منسجماً مع طوالع الكواكب وقد حدده بأن يكون القمر زائد النور في بيت الزهرة، وإن كانت الشمس في الميزان، فذلك أفضل.

ويقول المؤلف عن هذا المرهم إنه عجيب المفعول في شفاء جميع الجروح الحديثة والمتقرحة، وسواء كانت بأدوات حادة أو بأسلحة نارية.

والغريب في الأمر أن قروللیوس یؤمن بأن مفعول هذا المرهم يمكن أن يتم بدون أن يمس المجروح. فإن كانت الأداة الجارحة موجودة، يكفي أن يوضع المرهم على تلك الأداة فيبرأ الجرح. وأما إذا كانت الأداة المسببة للجرح غير موجودة. فيوضع المرهم على خرقة أو على قطعة من الخشب ملوثة بمفرزات الجرح فيبرأ الجرح، من دون أن يمس المرهم المكان المجروح. ويكمل قروللیوس شرح ذلك فيقول:

«وإن كانت القرحة يابسة، أُذْ مِيَتْ بعود أو خشبة أو خرقة، ثم يوضع المرهم على أيها كانت. وإن كان الجرح عميقاً، كرر العمل، وغيِّر المرهم على تلك الخرقة أو الخشبة، كما يغيِّر على الجرح في العادة. ولايوضع على الجرح شيء غير خرقة نظيفة، أو تبل الخرقة ببول المجروح وتوضع على الجرح» .

ويورد قروللیوس رأي الأطباء الذين لايشاطرونه الرأي في تفسير آلية التأثير لهذا المرهم في معالجة الجروح، فيقول ما معناه:

«إن هؤلاء المعترضين يرون إن ما يحدث من شفاء لبعض الجروح بوضع الدواء بعيداً

عنها، إنما يتم بتدبير من الطبيعة، لاسيما إذا أضيف إلى ذلك العامل النفسي عندما يؤمن المريض بطبيبه وبأسلوبه في العلاج».

ويرد قروللیوس على هؤلاء فيرى أنهم مخطئون، وإن الأمر ليس كما يقولون، لأن في هذا المرهم شيئاً من روح العالم، وبواسطة هذا الروح يتم الشفاء. ويشبه قروللیوس هذا التأثير الخفي للمرهم بتأثير الحديد في المغناطيس، فالمسبب غير منظور، إلاّ أن النتيجة هي حقيقة ملموسة.

****

والآن وقد انتهيت من تقديم شرح وتحليل موجزين لمخطوط ابن سلوم المتضمن «الكيمياء الملكية» للطبيب الالماني قروللیوس يثار السؤال التالي :

إلى أي مدى كان ابن سلوم اميناً في الترجمة . وهل كان مترجماً أم ملخّصاً ، وهل ادخل في هذه الترجمة شيئاً من آرائه الخاصة وخبراته الشخصية وهو الطبيب العالم المخضرم الذي تتنازعه تيارات الطب التقليدي والتيارات الثائرة على ذلك الطب؟

كل هذه التساؤلات جالت بخاطري، بالرغم من أن ابن سلوم ذكر في مقدمة مخطوطه انه نقل هذا الكتاب إلى العربية من نصه اللاتيني الذي وضعه قروللیوس. وبسبب عدم معرفتي باللغة اللاتينية، كان عليّ أن أبحث عن ترجمة فرنسية أو انكليزية لكتاب قروللیوس هذا، وهما اللغتان اللتان لاأعرف غيرهما من اللغات الأجنبية.

وبعداتصالات عديدة، وبحث جاد، علمت بوجود ترجمة فرنسية قام بها الفرنسي (ج .مارسيل دوبولان) وطبعت في مدينة ليون بفرنسا عام ١٦٢٤م.

كما علمت أن بعض النسخ من هذه الترجمة موجودة في المكتبة الوطنية بمدينة باريس (فرنسا) .

ذهبت إلى باريس وانتقيت أوضح نسخة من تلك النسخ وهي برقم 47 . 131 Te وأخذت نسخة مصورة عنها.

لقد قدمت لي هذه النسخة الفرنسية عوناً هاماً في توضيح الكثير من الكلمات والتعابير التي تناولها نساخ مخطوط ابن سلوم بالتصحيف، وفي البحث عن أجوبة لتساؤلاتي التي ذكرتها أعلاه.

الأانه سرعان ما ساورني شك جديد، وما أكثر الشكوك في البحوث التاريخية، ذلك أني تساءلت: هل أستطيع أن أعتبر الترجمة الفرنسية ترجمة أمينة لكتاب قرولليوس المؤلف باللغة اللاتينية؟

أدركت فوراً أن الحصول على جواب قاطع عن هذا التساؤل صعب التحقيق، لأني كما أوضحت قبل قليل، لاأعرف اللغة اللاتينية ولأني لم أجد شخصاً يتقن اللغتين اللاتينية والفرنسية. وهو إذا وُجد، فلن تكون مهمته سهلة في قراءة الكتاب الأصلي ومعارضته مع الترجمة الفرنسية، وسيأخذ منه ذلك وقتاً طويلاً، وأن عليه، إضافة إلى ذلك، أن يكون ملماً بالعلوم الطبية والكيميائية والصيدلانية.

لكل هذه الاعتبارات، كان لابد لي من الاعتماد على أمانة الترجمة الفرنسية برغم ما يحتمل من ورود أخطاء فيها، وذلك للأسباب التالية:

١- كانت اللغة اللاتينية في تلك العصور هي اللغة العلمية السائدة في أوربا تأليفاً وتدريساً.

٢- لايمكن أن يتصدى لترجمة كتاب علمي طبي إلا من كان على مستوى علمي يؤهله لذلك، وهذا يعني أن المترجم كان يتقن اللغة اللاتينية، وهو بطبيعة الحال يتقن لغته الأم (الفرنسية).

٣- تم طبع الترجمة الفرنسية عام ١٦٢٤م أي بعد ظهور الطبعة الأولى لكتاب قروللبوس باللاتينية بخمسة عشر عاماً فقط، لأن قروللبوس أنجز طبع كتابه عام ١٦٠٩ وهو عام وفاته. وأرجح أن المترجم كان من المتحمسين لمدرسة براكلسوس، وهذا ما دعاه للقيام

بهذه الترجمة لأحد أبرز مريدي تلك المدرسة وهو قرولليوس، بقصد اطلاع أكبر عدد من مواطنيه الفرنسيين على ماجاء في هذا الكتاب .

لهذه الأسباب اتجهت إلى ترجيح اعتماد هذه الترجمة الفرنسية مصدراً يقوم إلى حد ما، مقام الكتاب الأصلي.

إن المقابلة ما بين تلك النسخة الفرنسية، والتي اتخذت لها حرف (ف) رمزاً (كما ذكرت في منهاج التحقيق الوارد في مقدمةهذا الكتاب)، وبين ترجمة ابن سلوم العربية، بينتْ لي ما يلي:

١- قام ابن سلوم بالترجمة بشكل أمين وواع.فكل ماجاء في مخطوطه موجود في النسخة الفرنسية، كما انه سار في الترجمة حسب تسلسل مواضيع الكتاب الأصلي بدون تقديم أو تأخير.

٢- كان ابن سلوم واضح العبارة، مما يدل على أنه كان متفهماً لما كان يترجمه.

٣- اختصر شروحاً فلسفية مطولة لم ير فائدة تذكر من ترجمتها بكاملها.

٤- حرص على ترجمة كل ما يتعلق بالتراكيب الدوائية وعناصرها ومكوناتها والعمليات الكيميائية والصيدلانية التي خضعت لها، وفوائدها الطبية ومقادير جرعاتها الدوائية، وطرق استعمالها وكل ما يتعلق بذلك.

ولذا فلا بد من أن أبين أنه بالرغم من أن قرولليوس كان أكثر منهجية ووضوحاً من أستاذه براكلسوس، إلاّ أن الأمور التي ضمنها كتابه كان فيها الدقة المصاحبة للتعقيد، وفيها الأفكار الثمينة المغلفة بحجب كثيفة من مفاهيم وهمية غيبية ليس من السهل هضم مضمونها.

فقيام ابن سلوم بالتصدي لنقل هذا الكتاب إلى العربية، أمر نسجله له، بكل تقدير وإعجاب.

خلاصة وخاتمة للكتاب

في القرن السادس عشر للميلاد، كانت التفاعلات على أشدها في أوربا اللاتينية بين ما تعارفت عليه وتبنته وبين مادخلها من تيارات التجديد. ولم تقتصر هذه التفاعلات على النواحي العلمية بل تعدتها إلى النواحي الدينية والأجتماعية.

ففي ذلك العصر، ظهرت الحركة البروتستانتية التي قادها القس مارتن لوثر[1] ضد الكنيسة الكاثوليكية في روما. وقد أوقد هذا القس ناراً وأحرق فيها بشكل علني كتاباً وجهه البابا ليون العاشر إلى هذا القس الذي هاله أن تباع للناس بالنقود، صكوك غفران لذنوبهم.

وفي ذلك القرن امتد الصراع الفكري ليشمل العلوم الطبية. وقد تبنى هذا الصراع طبيب سويسري من منطقة كانت آنذاك جزءاً من الأراضي الألمانية يدعى براكلسوس، هاجم الطب التقليدي وأحل محله مفاهيم جديدة في التشخيص والعلاج. وسرعان ماجمّع براكلسوس المريدين حوله، وكان من أبرز هؤلاء الطبيب الألماني قرولليوس.

إن هذين الاسمين: براكلسوس وقروللليوس يمثلان مدرسة طبية واحدة، وإن مخطوطي ابن سلوم، موضوع هذا الكتاب يتعلقان بشكل رئيسي بهذين الطبيبين.

كان براكلسوس عنيفاً في هجومه على أطباء عصره وصيادلته، وهم من أنصار

(١) ولد القس مارتن لوثر عام ١٤٨٣ وتوفي عام ١٥٤٦م. وهو مؤسس المذهب البروتستانتي. وكان لنشوء هذا المذهب ومارافقه من صراعات دينية آثار إجتماعية وسياسية كبرى في أوربا. وكان لوثر قد التقى برسول البابا ليون العاشر، في بلدة ويتنبرغ بالمانيا يبيع للناس صكوك غفران عن ذنوبهم. الأمر الذي لم يقبل به لوثر، وبدأت الخصومة بينه وبين البابا. وقد انتشرت تعاليم لوثر في ألمانيا وامتدت منها إلى أقطار كثيرة أخرى.

المدرسة الطبية التقليدية التي تقوم على المدرسة الطبية العربية المتأثرة بالطب الإغريقي القديم. ولئن أحرق القس مارتن لوثر، وفي ساحة عامة، كتاباً له صفة التقديس صادراً عن بابا روما، فإن براكلسوس، وهو استاذ الطب والكيمياء في جامعة بال، انتهز فرصة حلول عيد القديس يوحنا، فأوقد أمام الجامعة ناراً وأمر طلبته أن يأتوه بمؤلفات كل الأعلام القدامى في الطب والكيمياء، فلما جاءوا بها، ضمها إلى كتاب « القانون لابن سينا» والذي كان يحمله تحت إبطه، ورمى بها جميعها في النار قائلاً: أنت ياابن سينا، ويارازي وجالينوس، وأنتم أيها العرب والأغارقة، ليس علماً ما كتبتموه، وليس معقولاً ما ابدعتموه. وصاح بطلبته قائلاً:لاينتهي شقاء الدنيا إلاّ باحراق هذه الكتب[٢]

كان ابن سلوم يتابع هذا التيار الطبي الجديد الذي تزعمه براكلسوس،وتبنته مدرسته التي أصبح لها العديد من المؤيدين والأنصار منهم أساتذة في كليات الطب، كالطبيب سيفيرينوس[٣]، والطبيب قرولليوس، والطبيب الألماني يوهان هارتمان أستاذ الكيمياء الطبية في جامعة ماربورغ بألمانيا[٤].

ورأى ابن سلوم ان هذه التيارات فيها الغث والسمين، ولكنها على أي حال، بداية لتطورات مستقبلية ذات شأن في النطاق الطبي. فقام بنقلها إلى اللغة العربية ليطّلع عليها المتطببون في البلاد العربية التي كانت آنذاك خاضعة للحكم العثماني، وذلك في مخطوطين هما موضوع هذه الدراسة.

إلاّ أن ماقام به ابن سلوم الحلبي لم يلق من أطباء عصره الإهتمام اللائق، فكان ما

---

(٢) انظر كتاب «بوائق وأنابيق» تأليف برنارد جافي، ترجمة الدكتور أحمد زكي. مطبوعات مكتبة النهضة المصرية بالإشتراك؛ مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٠م صفحة ٢٢ .

(٣) هو P. Severinus معاصر لبراكلسوس، وسبق التعريف به في إحدى حواشي المخطوط الأول .

(٤) هو يوهان هارتمان Johans Hartman، وقد سبق التعريف به في مقدمة الكتاب.

قدمه في مخطوطيه: «الطب الجديد الكيميائي» «والكيمياء الملكية» صرخة في واد، ذلك لأن الجو العلمي العربي كان في مرحلة همود شديد.

وعلى هذا فإن ابن سلوم الحلبي، في عمله هذا، يعتبر أول من نقل بدايات النهضة الأوروبية إلى اللغة العربية، مما يعطي لعمله قيمة تاريخية هامة. وفيما يلي سأتكلم باختصار شديد على أبرز النقاط التي وردت في هذين المخطوطين والتي تمثل آراء براكلسوس ومدرسته.

١ ـ طبيعة الموجودات الأرضية:

آمن براكلسوس بما كان يعتقد به أسلافه من أن العناصر المكونة للموجودات في عالمنا الأرضي أربعة هي: النار والهواء والتراب والماء.

ويقول في الوقت نفسه إن لهذه العناصر مكونات هي: الزئبق والكبريت والملح.

إن هذه الأوليات الثلاث، أو ما سماها بعض المؤلفين بالأقانيم الثلاثة، لاتدل تسمياتها على مدلولاتها المادية المعروفة، وإنما هي تسميات افتراضية غيبية.

فالزئبق بنظر براكلسوس هو الروح، والكبريت هو النفس والملح هو الجسد(*).

ويرى براكلسوس أن كبريت الخشب ليس ككبريت الرصاص، وكل من هذين الكبريتين لايشابه الكبريت العادي. وينطبق الأمر نفسه على كل من الملح والزئبق. فلكل جسم في الكون ملحه وزئبقه وكبريته وقد جاء تفصيل ذلك في الفصل الرابع من المقالة الأولى من متن المخطوط الأول: الطب الجديد الكيميائي.

(*) انظر كتاب «الخيمياء» لهولميارد ص ١٨٤ بالفرنسية أما ترجمة كلمة Esprit بالروح، وكلمة Ame بالنفس وCorps بالجسد فهي من المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا، مطبوعات دار الكتاب اللبناني/ ١٩٨٢ .

ويعطي براكلسوس لهذه الأوليات الثلاث خصائص عديدة:

فيذكر أحياناً إن الملح يمثل مقاومة الإحتراق والتبخر، والزئبق يمثل مبدأ الإنصهار والتصّعد، والكبريت يمثل اعطاء المواد قابلية الإحتراق[٦].

كما يقول أيضاً:

«المراد بالزئبق الرطوبة السيالة، وبالكبريت الدهنية، وبالملح ما هو ثابت أرضي»،

ويعزو براكلسوس لهذه الأقانيم الثلاثة صحة الإنسان ومرضه. فهي إن كانت متوازنة في الجسم كانت صحته، وإن لم تكن كذلك، كان في ذلك المرض.

وهنا أقول إن نظرية الزئبق والكبريت والملح ليست من ابتكار براكلسوس، والمرجح انه أخذها من جابر بن حيان الذي عاش في القرن الثامن للميلاد، ومن أبي بكر الرازي من أبناء القرن التاسع للميلاد، ومن ابن سينا الذي عاش في القرن العاشر للميلاد. وأقول انه أخذ هذه الفكرة من هؤلاء بشكل خاص لأن مؤلفاتهم نقلت إلى اللاتينية وعرفها الأوربيون[٧].

إلاّ أن براكلسوس اختلف عمن سبقوه، فهم ربطوا هذه النظرية بالمعادن فقط، ولم يعطوها أي دور في شؤون التشخيص والإمراض. أما هو فقد عممها على جميع الموجودات الأرضية: المعدنية والنباتية والحيوانية والإنسانية، كما ربطها بأسباب حدوث الأمراض.

٢ـ نظرية الأخلاط:

كان الأطباء القدامى يعتقدون أن في جسم الإنسان أربعة أخلاط تسيطر على صحته

---

(٦) انظر كتاب «الخيمياء» لهوليماردس ١٨٤ (بالفرنسية).

(٧) وردت هذه النظرية في كتاب «سر الخليقة وصنعة الطبيعة» المنسوب إلى أبولونيوس التياني ومن المرجح أن الغرب اللاتيني، حتى العصور الحديثة لم يطلع على هذا الكتاب المؤلف باللغة العربية، فأول من قام بترجمة أقسام منه هو يوليوس روسكا عام ١٩٢٦.

ومرضه، وهي:

المرة السوداء، المرة الصفراء، الدم، والبلغم.

وكانوا يقولون أن المرة السوداء يفرزها الطحال، والمرة الصفراء تفرزها المرارة، وأما الدم والبلغم فمشاهدان حسيا.

بقيت هذه النظرية التي تبناها العرب، من المسلمات الطبية زمناً طويلاً في مختلف أنحاء العالم، وأول من وقف في وجهها، معترضاً على صحتها، وعلى جدواها في شؤون التشخيص والعلاج، هو براكلسوس وأنصاره.

فقد أنكربراكلسوس صحة هذه النظرية واستبدل بها نظرية الزئبق والكبريت والملح. واعتقد ان هذه المكونات الثلاثة إذا لم تكن متوازنة وثابتة في جسم الإنسان، كان المرض. فازدياد الكبريت عن حدوده الطبيعية يسبب الحمى والطاعون، ونقصه يسبب مرض النقرس. كما ان ازدياد الزئبق يسبب الشلل والأمراض العصبية. وزيادة الملح تسبب الإسهال والإستسقاء. وحتى ان هذه المكونات الثلاثة إذا كان توازنها العام في البدن طبيعياً، فإن ازدياد أو نقص كمية أحدها، في أحد الأعضاء، يسبب المتاعب الصحية. فزحزحة الكبريت من عضو لآخر، داخل الجسم، يعرض الإنسان للهذيان(٨).

يبدو أن إحلال نظرية الزئبق والكبريت والملح محل نظرية الأخلاط هذه، في شؤون التشخيص والعلاج، كان من صنع براكلسوس نفسه، لم يسبقه إليها أحد. ولكن هل استطاعت هذه النظرية أن تطغى على نظرية الأخلاط؟

من المؤكد أن نظرية براكلسوس هذه استطاعت أن تستقطب حولها بعض العلماء والباحثين، ولكنها لم تستطع أن تطغى على نظرية الأخلاط. فقد بقيت مؤلفات الأطباء

(٨) انظر كتاب «الخيمياء» L' Alchimie لهوليارد ص١٨٥ .

العرب في هذا المجال، وخاصة مؤلفات الرازي وابن سينا والزهراوي تُدرس في جامعات أوربا حتى أواخر القرن السابع عشر، كما بقيت هذه المؤلفات مراجع طبية ينهل منها العلماء الأوربيون حتى القرن التاسع عشر(٩) ولم تتقلص هذه النظرية ويَخْبُ بريقها إلاّ بعد اكتشاف عالَم الجراثيم والطفيليات، و بعد أن تقدمت وتطورت أساليب التشخيص المرضي بدءاً من القرن التاسع عشر.

٣ ـ النظرية الهرمسية ـ العالم الأكبر والعالم الأصغر

تقوم النظرية الهرمسية على ارتباط جميع الموجودات الأرضية بما فيها الإنسان، بالكواكب والأفلاك.

إن هذه الفكرة نشأت منذ عصور موغلة في القدم، وتمتد جذورها استناداً إلى المعلومات التاريخية المتوفرة، إلى الألف الرابعة قبل الميلاد، وقال بها، بشكل أو بآخر المصريون والبابليون وشعوب الهند والصين والتيبت والإغريق والعرب.

وأقدم مجموعة متكاملة من هذه الأفكار والمفاهيم في هذا المجال جاءتنا على لسان الشخصية الأسطورية «هرمس المثلث الحكمة» وفي هذه المجموعة، التي يُظَنّ أن تاريخ تدوينها يعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد جاء مايفيد أن كل ما يعمل ويقال على الأرض يأتي منبعه من الأعلى، وإن كل شيء لابد أن يعود إلى الأعلى بعد أن يأتي منه. كما ورد في هذه المجموعة آراء ومعتقدات فلسفية وفلكية وإلهية وأخلاقية، ونظريات في خلق الموجودات من جماد ونبات وحيوان وإنسان.

إلاّ أن هذه المجموعة الهرمسية لم يرد فيها أي ذكر للنظرية القائلة بأن الإنسان هو صورة مصغرة مماثلة للعالم الكوني الفسيح، وهي النظرية التي تنعت الإنسان بالعالم

---

(٩) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى كتاب «الطب العربي وتأثيره في القرون الوسطى» Arabian Medicine and its Influences On the Middle Ages، تأليف العالم دونالد كامبل Donald campbell، طبع لندن / ١٩٢٦.

الأصغر المماثل في بنيته للعالم الأكبر.

إن نظرية تطابق العالم الأصغر (الإنسان) مع العالم الأكبر (الكون)، ورد ذكرها لأول مرة، في اللوح الزمردي، المنسوب لهرمس، والوارد في كتاب «سر الخليقة وصنعة الطبيعة» المنسوب لأبولونيوس التياني[10].

وكان العرب أول من اهتم بهذه النظرية، فوضعوا لها التفسيرات المختلفة[11] وكان براكلسوس من المؤمنين بها والمتحمسين لها، وكثيراً ما كان يعبر عن العالم الأكبر بالأب، وعن العالم الأصغر بالإبن. ولابد أن يكون براكلسوس بدافع من إيمانه العميق بالتعاليم الدينية المسيحية، رأى في الروح الخامسة نوعاً من التعبير عن «الروح القدس» فاكتملت لديه الصورة العامة للإله والكون والإنسان في الأقانيم الثلاثة:

الأب، والابـــــن، والـــروح القـــــــدس.

واستناداً إلى هذه النظرية، فقد تخيل براكلسوس ان في الإنسان سماءً داخلية تشابه السماء الخارجية بكواكبها وأفلاكها وبما يجري فيها من أحداث. فقد شبه حركة الأفلاك الدائمة بحركة الدم في شرايين الإنسان وأوردته، وشبه الزلازل بالقشعريرة والرعدة التي تحدث أحياناً للإنسان، والخسوف والكسوف بما يعرض للإنسان من الفالج والسكتة، وأمثلة كثيرة أخرى.

---

(١٠) سبق أن بينت في الدراسة المتعلقة بالمخطوط الأول في هذا الكتاب ان من المرجح أن يكون ذلك الكتاب من تأليف شخص عربي، أغفل اسمه، ونسب كتابه إلى شخصية إغريقية ليعطي لكتابه أهمية تاريخية بقصد ترويجه.

(١١) وعلى سبيل المثال نجد «إخوان الصفا» يقولون:

«ولما كان الإنسان عالماً صغيراً، وجب أن تكون في بنيته وموجود في خلقته وعجيب فطرته مثالات لما في العالم الكبير الذي هو إنسان كبير...»

انظر كتاب «الرسالة الجامعة: تاج رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، تأليف الإمام أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق تحقيق مصطفى غالب، طبع دار صادر، بيروت، ١٩٧٤ ص /١٥٧.

وادعى براكلسوس ،ان السماء الخارجية تدل على السماء الداخلية في الإنسان وتؤثر فيها بدون سيطرة حتمية عليها. فمعرفة الطبيب بالعالم الأكبر أي بالفلك وأحكام الكواكب والنجوم، هي معرفة ضرورية جداً للطبيب ليستدل بها على مايجري داخل جسم الإنسان باعتباره صورة مصغرة لذلك العالم الأكبر. ويرى براكلسوس أن السيطرة الفعلية على الإنسان في صحته ومرضه وسعادته وشقائه، إنما هي للأفلاك الكائنة في سمائه الداخلية[١٢].

٤ ـ نظرية السمات[١٣]

تقوم هذه النظرية على أساس ارتباط علاجي وظيفي مابين أحد أوصاف العقار، وشكل العضو المريض في الإنسان أو شكل أحد أخلاط جسمه. وقد آمنت مدرسة براكلسوس بهذه النظرية بحماسة شديدة. فالنباتات المستديرة الأصول كالبصل والثوم، تفيد في الأورام والبثور باعتبار أنّ هذه الأخيرة هي أيضاً مستديرة. والنباتات التي تشابه في مظهرها أحد الحيوانات، تنفع من نهش ذلك الحيوان، فنبات لوف الحية ينفع في نهش الأفاعي، وحشيشة العقرب تنفع في لدغته ونبات كاسر الحجر (القُلْب) الذي تشابه أوراقه وساقه في شكلها، شكل الكليتين والحالب ينفع في تفتيت الحصيات الكلوية. وهكذا فالأمثلة كثيرة جداً، ولامجال للتوسع في ذكرها في هذه الخلاصة السريعة للكتاب.

إن فكرة اعطاء العقاقير فوائد علاجية مستمدة من تشابه شكلها أو لونها مع شكل العضو المصاب أو مع شكل العامل المسبب للمرض، هي فكرة معروفة منذ عصور قديمة، إلاّ أن براكلسوس وتلميذه قرولليوس، أبرزاها إلى التطبيق العملي كنظرية مكملة لمفاهيمها الطبية[١٤].

---

(١٢) انظر كتاب «الخيمياء» L' Alchimie لهولميارد ص / ٣٥١ (بالفرنسية).

(١٣) تسميتها بالفرنسية Théorie des Signatures ويقال لها أيضاً نظرية الإشارات.

(١٤) انظر كتاب « L' Alchimie » لهولميارد ص / ٣٥٣ (بالفرنسية).

ويذكر العالم هولميارد أن هذه النظرية لم تعدم أنصاراً لها حتى اليوم، فهي ليست من النظريات التي دخلت متحف العلوم الميتة، ويذكُر القارىء بالدواء الذي استُخرج في عصرنا الحديث من خلاصة عقد قصب البامبو لمعالجة فتوق الأقراص مابين الفقرات في العمود الفقري للإنسان، وذلك انطلاقاً من التشابه في المظهر البنيوي مابين العمود الفقري وساق قصب البامبو[١٥].

٥ـ دلالات الكواكب في التشخيص والعلاج

كان براكلسوس يعتقد أن الطبيب يجب أن يكون على علم بدلالات الكواكب وطوالعها وحركاتها ليستطيع منها تحديد التشخيص والمعالجة.

فالكواكب بنظره سبعة هي:

القمر، عطارد ، الزهرة ، الشمس ، المريخ ، المشتري ، وزحل .

وأجهزة الجسم الرئيسية سبعة هي:

الدماغ ، الرئة ، الجهاز التناسلي ، القلب ، المرارة ، الكبد والطحال .

والمعادن (وهي المعروفة آنذاك) سبعة هي:

الفضة ، الزئبق ، النحاس ، الذهب ، الحديد ، القصدير ، الرصاص .

وقد نسب براكلسوس، وبالترتيب الوارد أعلاه لكل من الكواكب مايقابله من أعضاء الجسم ومن المعادن.

ولما كان براكلسوس يرى أن المعالجة بالمركبات المعدنية هي الأساس في المعالجة، فهو يستطيع من معرفة العضو المريض، الكوكب المعلق به، ومن ثم معرفة المعدن الذي يناسب

---

(١٥) انظر كتاب الخيمياء لهولميارد ص / ٣٥٢ ولكن هولميارد لم يذكر اسم ذلك العقار، ولم استطع أن أحصل على اسم العقار الذي يقصده.وربما كان يقصد مادة الساليسيلين Saliciline التي اشتقوا منها في الماضي لأول مرة حمض الاستيل ساليسيليك .

شفاءه.

وأما العقاقير النباتية، فلم يهملها براكلسوس، ولكنه كان يعتبرها أدوية مساعدة للمركبات المعدنية في إحداث الشفاء. ولذا فقد آمن بنسبة النباتات إلى الكواكب أيضاً. فالأدوية المنسوبة إلى القمر يكون ورقها ليناً غليظاً كثير المائية كاللفاح والخشخاش والفاونيا والأخلامور. والأدوية المنسوبة إلى **الشمس** هي كل مايكون طعمه لذيذاً ولونه مائلاً إلى الصفرة ورائحته طيبة كالزعفران والأترج، والنارنج الخ .....

ومن هذه الفرضيات والاعتبارات يمكن تحديد العقاقير المعدنية والنباتية لمعالجة الأمراض .

إلاّ أن الأمر بالنسبة لبراكلسوس، لم ينتهِ عند هذا الحد. فهنالك اعتبارات عنده، تدخل في نطاق الفلسفة. ذلك أن العقار لايؤثر بجسمه الظاهر، وإنما بجوهره الخفي، وهو **الهيولى**. ويرى أن هذه الهيولى هي الصلة مابين المرض والكوكب المسبب لذلك المرض.

ويرى براكلسوس ان هذه الهيولى لاتستطيع دوماً التأثير في الكوكب المسبب للمرض، ففي هذه الحالة يجب على الطبيب استخذام الروح الخامسة (أو العنصر الخامس) لذلك العقار ليقوم بالعمل المطلوب.

٦ـ **العنصر الخامس** Quintessence

قال الأقدمون، ومنهم أرسطو، بالعنصر الخامس. وهذه التسمية أتت من أن موجودات العالم الأرضي تتألف من أربعة عناصر (النار والهواء والتراب والماء)، واما طبيعة النجوم والكواكب فهي من عنصر آخر، ليس له ضد، ولذا فهو غير قابل للتغيّر والفساد، فسموه «العنصر الخامس» تمييزاً له عن العناصر الأربعة الأخرى.

آمن براكلسوس بوجود هذا العنصر الخامس في الكواكب، إلاّ أن مخيلته الخصبة

دعته إلى أن يفترض في كل مادة من مواد عالمنا الأرضي جوهراً خامساً سجيناً في مادته، هو القادر على شفاء الأمراض إذا أحسن الطبيب استخدامه.

وقد جاء في المخطوط مترادفات عديدة لهذا العنصر الخامس، فهو الجوهر الخامس، والطبيعة الخامسة، وانه من طبيعة روحية طيارة تمكنه من الصعود إلى الكواكب والعودة منها إلى الأرض. وفي بعض كتابات براكلسوس نجده يعطي هذا الجوهر مفهوم الروح، فالروح الخامسة، كما يقول:

« ليست سوى الروح الباقية من تجريد الجسم من طبائعه الأربع».

وقد أورد العالم هولميارد، من كلام براكلسوس، عن مفهوم الروح الخامسة، مقطعاً أترجمه بما يلي:

«يجب أن نعطي للجسم ما يحتاجه إذا رفضت السماء (الكواكب) أن تعطيه، فالتجربة تبرهن لنا ان المعادن السبعة لها القدرة على أن تقف بوجه الكواكب السبعة. وهنا علينا أن نستعمل الروح الخامسة للمعدن المناسب ضد الكوكب الذي يهاجم جسم الإنسان. فنستخدم مثلاً الروح الخامسة للذهب ضد الشمس، والروح الخامسة للفضة ضد القمر، وهكذا .... ويجب أن نفهم أن الروح الخامسة للذهب يمكنها أن تقف بوجه جميع الكواكب، بفضل خاصتها النوعية...»[١٦].

ويذكر براكلسوس ان هذه الروح الخامسة، أو العنصر الخامس لايمكن استخدامه إلاّ بواسطة الأساليب الكيميائية، أي باخضاع العقار لعمليات كيميائية من تركيب وتحليل، وجمع وتفريق، وتقطير وتصعيد وترشيح وتسخين وتبريد، معتبراً المواد الطيارة هي الأكثر قدرة على التأثير في الكواكب لأنها حرة في الحركة الصاعدة إلى الأعالي والعودة إلى الأرض. ولذا نجد براكلسوس في وصفاته الطبية، يكثر بشكل خاص من عمليات التقطير

---

(١٦) انظر كتاب «الخيمياء» L' Alchimie تأليف : Holmyard (بالفرنسية) ص / ٣٥٤ .

والتصعيد والحرق والتبخير.

ويذهب براكلسوس إلى أبعد من ذلك في هذا المجال، فيذكر انه لايمكن إجبار الكواكب السماوية على تحقيق الشفاء للإنسان، إلاّ أن الطبيب، بواسطة علم الكيمياء يستطيع أن يغيّر من وظيفة الأفلاك الموجودة داخل جسم المريض (باعتباره عالماً أصغر شبيهاً بالعالم الأكبر). ذلك أن هنالك عقاقير، إذا أحسن الطبيب تدبيرها بأساليب كيميائية مناسبة، تصبح قادرة على تحرير العضو المريض من سيطرة كوكب ووضعه تحت سيطرة كوكب آخر. فمثلاً معدن الأنتموان، إذا أحسن الطبيب تدبيره كيميائياً أمكنه أن يغيّر علاقة العضو المريض من كوكَب زحل إلى كوكب الزهرة[١٧] ويرى العالم هولميارد أن فكرة قهر الإنتساب الفلكي للعضو المريض بواسطة الأدوية الكيميائية، لم يقل بها أحد قبل براكلسوس[١٨].

والآن أتساءل، هل في هذه المفاهيم الفلكية الطبية البراكلسوسية أصالة؟

وهل يشكل هذا البناء الفلسفي الطبي الفلكي خطوة متطورة إلى الأمام بالنسبة للطب السائد آنذاك، أم هو رجعة إلى الوراء؟

أولاً- إن تأثير الكواكب والنجوم على موجودات العالم الأرضي، بما فيها الإنسان أمر قال به الفلاسفة والعلماء منذ عصور قديمة، قبل العهود الإسلامية وبعدها. فقد أفاض إخوان الصفا، مثلاً، في الحديث عن ذلك. ومن أقوالهم:

«الأثر الأكبر بتقدير طبائع الإنسان هو للنجوم والكواكب، وهي الأصل، وما سوى ذلك فروع منها. فالنجوم والكواكب تؤثر في تكون الأخلاط وتناسقها أو تغلب أحدها

---

(١٧) انظر كتاب «الخيمياء L' Alchimie» لهولميارد (بالفرنسية) ص / ٣٥٥ .

(١٨) انظر كتاب «الخيمياء» لهولميارد ص / ٣٥٥ (بالفرنسية) .

على الآخر...[19].

حتى انهم، أي إخوان الصفا، اعتقدوا باختصاص كل كوكب بفئة من الناس وبنوع محدد من المطالب والأماني الإنسانية. وهي معتقدات تعود بتاريخها إلى الصابئة والحرانية.[20]

ثانياً - إن ربط المعادن بالكواكب، ليس جديداً أتى به براكلسوس، فقد جاء ذلك بالتفصيل في «كتاب سر الخليقة وصنعة الطبيعة» المنسوب لأبولونيوس التياني، وهو كتاب سبق ظهوره عصر براكلسوس بما لايقل عن سبعمائة عام، وقد جاء في هذا الكتاب:

« فألطف المعادن جوهراً هي الأجساد المذابة[21]، وهي سبعة أجساد على عدد الأفلاك السبعة، فالأبّار[22] من زحل ...والآنك[23] من المشتري، كذلك أقول على الحديد انه من المريخ.... والذهب من الشمس ...والنحاس من الزهرة.... والزئبق من عطارد... والفضة من القمر»[24].

وقد درج العلماء العرب الأقدمون المهتمون بشؤون الكيمياء على استعمال أسماء هذه الكواكب للدلالة على المعادن المقابلة لها. وقد سار على منوالهم الأوربيون بعد أن اطلعوا ... ماتُرجم من كتب كيميائية عربية إلى لغتهم اللاتينية بدءاً من القرن الثاني عشر للميلاد. ونحن إذا دققنا في نسبة كل معدن إلى كوكبه، نجدها مطابقة لما أورده

(١٩) انظر كتاب «رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا» دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٥٤ ص /٢٣٧ - ٢٣٩ من الجزء الأول.

(٢٠) انظر كتاب «إخوان الصفا» تأليف د. جبور عبدالنور، طبع دار المعارف بمصر. القاهرة ١٩٥٤، ص /٢٨ .

(٢١) الأجساد المذابة تعني المعادن السبعة الواردة أعلاه .

(٢٢) الأبّار هو معدن الرصاص .

(٢٣) الآنك هو معدن القصدير .

(٢٤) انظر كتاب« سر الخليقة وصنعة الطبيعة» الصفحات من ٢٢٧ حتى ٢٤٢ (سبق التعريف بهذا الكتاب) .

براكلسوس في مؤلفاته وبدون أي تغيير.

ثالثاً - إن ماأورده براكلسوس من ربط أعضاء جسم الإنسان الرئيسية بالكواكب، ليس من ابتكاربراكلسوس أيضاً. فقد قال به كثير من العرب القدامى، فاخوان الصفا مثلاً ناسبوا القلب مع الشمس، والطحال مع زحل والكبد مع المشتري، والمرارة مع المريخ. إلى هنا تتطابق هذه الفرضيات مع ما ذكره براكلسوس، وامّا فيما يتعلق بالأعضاء الباقية فذكروا ان المعدة تناسب الزهرة والدماغ يناسب عطارد والرئة تناسب القمر، مختلفين عن براكلسوس الذي رأى أن أجهزة التناسل تقابل الزهرة، والرئة تناسب عطارد والدماغ يقابل القمر(٢٥).

رابعاً- أما ربط النباتات بالكواكب والأفلاك، ففي كتاب « الفلاحة النبطية» لابن وحشية الكثير من التفصيل.

إذن فجميع عناصر النظرية الفلكية الفلسفية التي تبناها براكلسوس استمد فكرتها من أسلافه، ولابد أنها وصلت إليه من الترجمات اللاتينية لأمهات المؤلفات العربية في هذه المجالات. ولكن براكلسوس ربطها بمفاهيم كيميائية وطبية، ووظفها في خدمة التشخيص والمداواة. إلاّ أن هذا الربط وهذا التوظيف، بنيا على فرضيات وهمية بعيدة جداً عن المعطيات العلمية الصحيحة.

وإني أميل إلى الإعتقاد ان في هذه المفاهيم الطبية البراكلسوسية رجعةً إلى الوراء بالنسبة للمفاهيم الطبية التي ثار عليها براكلسوس فقد كان الرازي وابن سينا وغيرهم من الأطباء العرب الذين كانوا أساتذة العالم في الشؤون الطبية آنذاك. موضوعيين في وصفهم لأسباب الأمراض وتشخيصها. أما فيما يتعلق بشؤون المداواة، فلي عليها تعليق

(٢٥) انظر كتاب « رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا» منشورات دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت /١٩٥٧. ص/ ٤٧٦، ٤٧٧ من المجلد الثاني.

بعد قليل. فأبوبكر الرازي كان يعتمد في التشخيص على أعراض مَرَضية مبنية على تجربته وتجارب من سبقوه، وكانت الأولوية دوماً لتجربته هو. ففي كتابه «الجدري والحصبة» أورد، ولأول مرة في التاريخ، تشخيصاً تفريقياً بين هذين المرضين، مبنياً على ملاحظاته المتكررة على مرضاه. فحدد تشخيص كل منهما، وكان الأطباء قبله لايستطيعون التفريق بينهما[٢٦].

وكان كتاب الرازي الموسوعي «الحاوي» حافلاً بما قام به من ملاحظات وتجارب واقعية على أكثر الأمراض المعروفة في عصره وكان يدون ملاحظاته عن سيرالمرض وتطوره ليعود إليها حين الحاجة، وليستفيد منها غيره. فالرازي كان طبيباً سريرياً يعطي للتجربة أعظم الأهمية، فلم يعتمد أبداً في تشخيصه للأمراض على أسس نظرية واهية ومفاهيم غيبية.

واما الشيخ الرئيس ابن سينا، فلا يخرج في هذا المجال عن إطار الأساليب العلمية. فهو حين يتكلم على المرض وأعراضه وتشخيصه يقول:

«المرض هيئة غير طبيعية في بدن الإنسان، يجب عنها بالذات آفة في الفعل وجوباً أولياً. وذلك اما مزاج غير طبيعي، وإما تركيب غير طبيعي. والعرض هو الذي يتبع هذه الهيئة، فالحمى أعراضها العطش والصداع وفي القولنج العرض هو الوجع».[٢٧]

٧ ـ دور الكيمياء في المعالجة

يردد براكلسوس دوماً وخاصة في كتابه باراغرانوم Paragranum ان الكيمياء ضرورة لاغنى عنها لمن يريد التصدي لمعالجة الأمراض. ويذكر ان الطبيب يجب أن يكون مزوداً بمعرفة عميقة وتجربة واسعة في علم الكيمياء وبدون ذلك، فإن كل معلوماته الطبية

(٢٦) انظر مخطوط «الجدري والحصبة» لأبي بكر الرازي، مكتبة جامعة ليدن (هولاندا) برقم ٦٥٦، الفصل الثالث، (نسخة مصورة من هذا المخطوط موجودة في مكتبة معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب).

(٢٧) انظر كتاب «القانون في الطب» نسخة بالأوفست من طبعة بولاق بمصر دار صادر، بيروت، الجزء الأول ص/ ٧٣.

لاقيمة لها. فالطبيعة، كما يقول، لاتعطى أسرارها إلاّ لمن تعمق في هذا الفن العظيم(٢٨).

والكيمياء علم قديم، وكان هدفه الأساسي تحويل المعادن المختلفة إلى أكرمها وأكثرها كمالاً وهو الذهب، وبشكل عام تحويل ماكان يسمى بالمعادن الخسيسة إلى معادن نبيلة.

وقد أبدع العلماء العرب في شؤون الكيمياء، وفي مقدمتهم جابر بن حيان الكوفي، وأبو بكر الرازي، فقد كانا يقومان بتجارب كيميائية تتضمن الحلّ والإذابة، والبلورة، والصهر، والملغمة والتقطير، والتعفين والتخمير والتصعيد والتسخين والتشميع والترشيح، كما كان في مختبر كل منهما الكثير من المواد والمركبات المعدنية وغير المعدنية مما كانا يستعملانه في تلك التجارب الكيميائية.(٢٩)

وقد قدم لنا العالم هولميارد الكثير من التفاصيل عن المواد التي كان يستخدمها الرازي في مختبره، والأجهزة العديدة التي كان يستخدمها في تجاربه(٣٠).

وقد توصلت الكيمياء العربية، بفضل أساليبها العلمية إلى اكتشاف الكثير من المواد الهامة، والحصول على مركبات هامة كحمض الكبريت (روح الزاج)، وحمض الآزوت (روح البارود)، والماء الملكي وكربونات الرصاص، وفصل الزرنيخ والأنتموان من مركباتهما الكبريتية، وحمض الخل تقطيراً من الخل العادي، ومواد صباغية للمنسوجات والجلود، والكحول تقطيراً من الخمر، وغير ذلك مما لايتسع المجال لذكره.(٣١)

إن العرب لم يكونوا يهدفون بالأصل، في تجاربهم الكيميائية إلى ايجاد عقاقير

(٢٨) انظر كتاب «مؤلفات براكلسوس الطبية» من سلسلة غاليان، المطابع الجامعية الفرنسية / ١٩٦٨ صفحة ٧١ .

(٢٩) انظر كتاب «الأسرار وسر الأسرار» للرازي، طبع إيران عام ١٣٤٣هـ تحقيق محمد تقي دانش لزوة وكتاب غاية الإتقان لجابر بن حيان .

(٣٠) كتاب الخيمياء L' Alchimie تأليف HOLMYARD ص / ٩٥ .

(٣١) انظر موسوعة لاروس الكبرى، إصدار ١٩٨٣ (الجزء الخامس)، وكتاب « الكيمياء عند العرب» تأليف مصطفى لبيب عبد الغني، دار الكاتب للطباعة والنشر، القاهرة / ١٩٦٧، ص٤٩ .

دوائية لمعالجة الأمراض، بل كان هدفهم تحويل المعادن إلى معدني الذهب والفضة، إلاّ أن ماحصلوا عليه من مواد أثناء تجاربهم استخدموا العديد منه في شؤون المعالجة.

وإما براكلسوس. فهو لاينكر على الكيمياء دورها في امكانية تحويل المعادن، ولكنه يجدفي ذلك دوراً ثانوياً. فالمهمة الأساسية للكيمياء بنظره، هي الحصول على عقاقير طبية لشفاء البشر من الأمراض. وبذلك نراه يتحرك في منحى إيجابي جديد، ويرسي الدعائم الأساسية لعلم «الكيمياء الطبية» أو «المعالجة الكيميائية».

كان براكلسوس يعطي أكبر الأهمية، في المعالجة، للعقاقير المعدنية، حتى بلغ اعتماده على المعدنيات ان ذكر في كتابه «باراغرانوم» أن لاتَقُلْ هذه حالة اكتئابية أو حالة هيضية، بل قل هذه حالة زرنيخية أو حالة ألومينية.[٣٢]

والواقع ان براكلسوس لم يهمل استخدام العقاقير ذات المنشأ النباتي والحيواني، وهو أمر واضح من وصفاته الطبية، ومن وصفات تلميذه قروللبوس مما ورد في المخطوطين المحققين في هذا الكتاب، إلاّ أنه كان يعتبر العقاقير النباتية و الحيوانية، أدوية مساعدة للأدوية المعدنية في شؤون المعالجة.

وهنا لابد لنا من أن نسجل لبراكلسوس ومدرسته تطوراً رائداً، فقد كان الطب التقليدي يعتمد بشكل أساسي على العقاقير النباتية والحيوانية فجاء هو ليعكس الآية، فاعتمد بشكل أساسي على العقاقير المعدنية، فقاده هذا الإتجاه إلى المساهمة في تقدم الكيمياء المعدنية، وعلم المعادن بشكل عام.

اعتقد براكلسوس أيضاً، ان المادة المعدنية، تكون قليلة السمية وكبيرة الفعالية العلاجية بقدر ماتكون نقية من الشوائب. وقد ساهم هذا الإعتقاد، مع الزمن، في مجالات

---

(٣٢) انظر كتاب «مؤلفات براكلسوس الطبية «سلسلة مطبوعات Galien المطبوعات الجامعية الفرنسية / ١٩٦٨ ص / ٤٥.

تنقية الفلزات المعدنية الطبيعية وفصل معادنها خالصة من الشوائب.[٣٣] وفي مجال الفعالية الدوائية للعقاقير، فقد كانت مدرسة براكلسوس تولي أكبر اهتمام لطريقة تحضير العقار. فقد كانت تعتبر أن مادة معينة واحدة تكتسب صفات علاجية مختلفة تبعاً لطريقة تحضيرها، وعلى الطبيب أو الصيدلي أن يعرف كيف يتصرف في أسلوب تحضير تلك المادة ليحصل منها على الخاصة العلاجية المطلوبة.

وأبرز ما يواجهنا به براكلسوس، في هذا المجال، هو إيمانه بمبدأ الغائية بالنسبة لكل ماهو موجود في العالم. ذلك أن الله خلق كل شيء لغاية معينة، وان الخصائص الكامنة في هذا الشيء، هي التي تحقق تلك الغاية. فإن كانت تلك الخصائص موجودة بالفعل أمكن استخدامها، كما هي، في خدمة الإنسان، وأما إذا كانت موجودة بالقوة، فإن اخراجها من القوة إلى الفعل لايتم إلا بواسطة الكيمياء. ويقصد براكلسوس بالكيمياء، كل عملية يمكن بواسطتها لمادة ما أن تتحول إلى مستحضر أو جسم محدد الفائدة والمردود.

ويرى أن الطبيعة تقوم بمثل هذا التحويل في شؤون لاحصر لها.

فانقلاب البرعم إلى زهرة ثم إلى ثمرة. إنما هو عمل يدخل في مفهوم الكيمياء وتقوم به الطبيعة. إلا أن الله أعطى الإنسان أيضاً القدرة على تحويل الأشياء إلى ما يلبي حاجاته العديدة والمختلفة. فالطبيعة مثلاً تقدم لنا الفلز الحديدي بشكله الخام فللإستفادة منه لابد من صهره وتنقيته من الشوائب ومن ثم تصنيعه. فهذه العمليات لاتخرج عن كونها عمليات كيميائية أيضاً. وكذلك فإن مايقوم به صاحب المطحنة والخباز ليقدما الخبز للناس، هو تجسيد لأعمال كيميائية. وكذلك فإن التطورات التي تطرأ على الخبز في

---

(٣٣) انظر كتاب الكيمياء L' Alchimie تأليف E. . J. HOLMYARD ص/١٨٦.

الجهاز الهضمي تعدّ أعمالاً كيميائية، مع أنها تحدث داخل جسم الإنسان وبدون إرادته.[٣٤]

وعلى هذا الأساس، فإن براكلسوس أعطى للكيمياء مفهوماً أو مفاهيم مختلفة عما درج عليه أسلافه ومعاصروه، حتى انه اختلف عنهم في المعاني المألوفة لبعض التعابير، فهو أول من أطلق على روح الخمر، اسم «كحول» مع أن هذه الكلمة كانت في أيامه تطلق بلفظها العربي على «الكحل» وتكتب بحروف لاتينية : Alcohol وبقيت كلمة كحول Alcool بالتعبير البراكلسوسي مستعملة حتى أيامنا الحاضرة، كما أنه أول من اخترع كلمة زنك Zinc للتعبير عن التوتياء، وهو الذي كما رأينا، نحت كلمة سباغريا Spagyrie للدلالة على الكيمياء الطبية[٣٥].

٨ ـ دور الأخلاق في الممارسة الطبية

اعتبر براكلسوس تحلي الطبيب بالفضيلة أمراً بالغ الأهمية، منطلقاً من قاعدته الدينية المتينة. وهو يرى الفضيلة أحد الأعمدة الرئيسية التي تقوم عليها آراؤه ونظرياته الطبية إلى جانب أعمدة ثلاثة أخرى يرددها دوماً وهي:

الفلسفة والفلك والكيمياء.

ويؤكد براكلسوس أن يكون الهدف الأساسي للطبيب، صالح المريض وليس صالحه الشخصي. ويجب أن يكون كالحَمَل الذي لايكتسي بالصوف على جلده لفائدته الذاتية، وإنما ليقدمه للناسجين ليحيكوا منه ألبسة تقي الناس قساوة الطقس. ويبدو المغزى الديني واضحاً في هذا المثال. فالقديس يوحنا المعمدان شبه السيد المسيح أيضاً بالحَمَل. وهذا يعني ضرورة تشبه الطبيب بالسيد المسيح ليكون عمله قائماً على الحب، حب الإنسان للإنسان، وبدون هذا الحب لايمكن للطبيب ان يكون نافعاً.

---

(٣٤) انظر كتاب الخيمياء L' Alchimie تأليف HOLMYARD ص/ ١٨٦ .

(٣٥) المصدر نفسه ص / ١٨٣ .

ويوصي براكلسوس الأطباء أن يسخروا فكرهم وروحهم وجهدهم للآخرين بدون تمييز بين إنسان و آخر، وبين فئة وأخرى، وان ينكر الطبيب ذاته ويبتعد عن الملذات والترف. لأن فن الشفاء، إنما هو فن عظيم لايفتح أبوابه إلاّ للجادين المنصرفين باستمرار إلى العمل النافع الصادق[٣٦].

وفي هذا المجال، يطل علينا دوماً براكلسوس المتدين إلى أبعد حدود التدين، فيوصي الأطباء بالإنسجام مع تعليمات الإله الخالق، ويقول لهم أن ذلك كفيل أن ينير للطبيب مصباح الحقيقة فيكون قادراً أن يرى أسرارالأرض والسماء منبسطة أمامه، فيكون عظيم النفع في شفاء مرضاه.[٣٧]

وفي الختام أقول:

إن براكلسوس قاد في القرن السادس عشر للميلاد، حركة ثورية طبية سانده فيها عدد من المريدين والأنصار، كان من أبرزهم الطبيب قزولليوس. وهذه الحركة الشورية استندت إلى الطب العربي في أكثر معطياتها وتخلفت عنه في أكثر نتائجها. وبعد أن كان جابر بن حيان من أبناء القرن التاسع الميلادي يسيرفي الكيمياء، كما قال المستشرق بول كراوس في اتجاه منظم بعيد عن السرية والرموز، وبعد أن قال هولميارد أن الإنسانية جادت بالرازي بعد أرسطو بألف ومائتي عام فكان عبقرياً في رفضه الحاسم لموضوعات السحر والتنجيم، وعدم قبوله بشيء لايمكن البرهنة عليه بالتجربة والإختبار، بعد ذلك الواقع العربي، نجد براكلسوس يشيد بنياناً طبياً على أسس تسيطر فيه الفرضيات الوهمية والغيبيات الفلسفية حتى وصل به الأمر إلى أن يوصي بفحص البول في قارورة مجوفة تصنع على شكل إنسان، ليُستَدلُ من موقع الراسب أو التخثر بعد التسخين على العضو

---

(٣٦) انظر كتاب «مؤلفات براكلسوس الطبية» سلسلة مطبوعات Galien المطابع الجامعية الفرنسية / ص٨٦ .

(٣٧) المصدر نفسه ص / ٨٩ .

المريض فإن كان الراسب على مستوى الكليتين، كان المرض كامناً في الكليتين، وإن كان القسم المتخثر من البول على مستوى الرأس كان المرض في الرأس وهكذاً !!! كما نجد تلميذه فروللبوس يصف مرهماً للجروح، ولكنه لاينصح بوضع هذا المرهم فوق الجرح لشفائه، وإنما يرى وضعه فوق الأداة الجارحة، واما الجرح فيربط بخرقة نظيفة فقط !!

وعلى أي حال فأكثر الثورات الفكرية التي تظهر بعنف مفاجىء في أحد المجتمعات، لابد أن تسيطر عليها في بداياتها الفوضى والإضطراب وغموض الرؤية. ومهما يكن من مصير لهذه الثورات، فلا بد أن تخلِّف وراءها بعض البذور الصالحة للنمو والمساهمة الإيجابية في الحضارة العالمية.

وبالنسبة للحركة الفكرية الطبية التي قادها براكلسوس واستقطب حولها العديد من العلماء والأطباء، فإنها لم تشذ عن تلك القاعدة. فبالرغم من أنها بنيت على مفاهيم غيبية وهمية، فقد شقت الطريق لإرساء قواعد علم الكيمياء الطبية. وهو علم دخل برامج كليات الطب الأوربية بعد وقت قصير من وفاة براكلسوس. وبعد أن كانت العلاجات التي يصفها الأطباء وينفذها الصيادلة لاتخرج عن كونها، في الغالب، مزيجاً من عقاقير نباتية تُحضّر بأشكال صيدلانية مختلفة، أصبحت تلك الأدوية أكثر غنى بالمواد المؤثرة بإضافة المركبات المعدنية إليها، كما أصبح تحضير الوصفات الطبية يخضع لبعض التقنيات الصيدلانية التي تطورت مع الزمن.

لقد كان صالح بن سلوم الحلبي بعيد النظر، فقد أدرك بوعيه العميق ان مثل هذه التيارات الطبية الوافدة ستدخل في صراع وتفاعل مع العلوم الطبية السائدة، وان لابد أن تكون لها نتائج مستقبلية. فدرسها أعمق دراسة وكان أول من نقلها إلى أطباء قومه بلغتهم العربية، ليشاركوا في هذه التفاعلات والصراعات العلمية بشكل فاعل غير منفعل، لاسيما وانهم مزودون بتراث طبي حافل بمعطياته وأسسه العلمية. وقد أنجز ابن

سلوم عمله عام وفاته. ولعله مات وهو يحلم بما ستحدثه مؤلفاته من آثار كبيرة. إلاّ أن جهده ضاع في ضباب الجهل الكثيف الذي كان يسيطر على دنيا العروبة والإسلام آنذاك.

رحم الله صالح بن سلوم الحلبي رحمة واسعة، فليس هو العالم الوحيد الذي سبق زمانه فلم يقدره بنو قومه إلاّ بعد وفاته بزمن طويل. ولعلّ فيما قمت به في هذه الدراسة من تحقيق لمخطوطيه : «الطب الجديد الكيميائي» و «الكيمياء الملكية»، ومن كشف عن شخصيته العلمية الرائدة والتعريف بها، بعض الوفاء لهذا الطبيب العربي الكبير .

وهو وفاء، وإنْ أتى متأخراً جداً عن موعده، فهو على الأقل خير وأفضل من أن لايأتي أبداً.

المراجـــع العربيـــة

- **ابن أبي أصيبعة** موفق الدين الخزرجي، ١٩٨١ - **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، الطبعة الثالثة، بالأوفست عن نسخة مطبعة الوهبية بالقاهرة بتاريخ ١٣٠٠ هـ، مجلد عدد ٢ متضمنين ثلاثة أجزاء، مجموع عدد صفحاتها ٩٧٥ .
- **ابن البيطار** ضياء الدين بن أحمد الأندلسي المالقي، بدون تاريخ **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، مكتبة المثنى، بغداد، نسخة بالأوفست عن بولاق بمصر - أربعة أجزاء في مجلد واحد، مجموع عدد صفحاتها ٧٤٢ .
- **ابن الجزار** أحمد بن ابراهيم القيرواني، ١٩٦٨ - **سياسة الصبيان وتدبيرهم**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مطبعة النار، تونس. عدد الصفحات ١٩٤ .
- **ابن سينا** الحسين بن عبد الله، بدون تاريخ - **القانون في الطب**، نسخة بالأوفست من مطبعة بولاق بمصر، دار صادر، بيروت. ثلاثة مجلدات مجموع عدد صفحاتها ١٥٤٠ ص.
- **ابن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق**، أحمد، ١٩٧٤ - **الرسالة الجامعة**، تاج رسائل أخوان الصفا وخلان الوفا. تحقيق مصطفى غالب. دار صادر للنشر بيروت / لبنان، ٥٥١ص .
- **أخوان الصفا وخلان الوفا**، ١٩٥٧ - **الرسائل**، دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر، لبنان، أربعة أجزاء، مجموع صفحاتها: ١٩٦٢ .
- **أرسطوطاليس** ، ١٩٧٧ - **طباع الحيوان**، ترجمة يوحنا البطريق، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ٥٦٣ص .
- **أرسطوطاليس**، ١٩٦٤ - **الطبيعة**، ترجمة اسحق بن حنين، تحقيق عبد الرحمن بدوي،

الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، جزء عدد ٢ مجموع صفحاتها: ٩٦٠ .

- **الأنطاكي** داود بن عمر، ١٩٥٢ - **تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجائب**، في جزئين، ٥٠٨ صفحات، يتلوهما ذيل التذكرة، ٢٠٧ صفحات، والجميع في مجلد واحد. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة.

- **البابا** محمد زهير، ١٩٧٩ - **تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة**، الطبعة الثانية، مطبعة طربين، دمشق - سورية، ٢٦٤ صفحة.

- **بدوي** عبد الرحمن، ١٩٧٩ - **ربيع الفكر اليوناني**، الطبعة الخامسة منشورات دار القلم، بيروت، لبنان، ٢٠٠ صفحة.

- **البغدادي** اسماعيل، ١٩٥١ - **هدية العارفين**، مطبعة وكالة المعارف باسطمبول، مجلد عدد ٢ ، مكتبة المثنى، بيروت، لبنان، مجموع صفحات المجلدين ٧٩٢ صفحة.

- **بليناس** (أبولونيوس)، ١٩٧٩ - **سر الخليقة وصنعة الطبيعة**، تحقيق المستشرقة الألمانية أرسولا وايسر، طبع جامعة حلب (معهد التراث)، سورية ٧٠٣ صفحات.

- **البيروني** أبو الريحان، بدون تاريخ - **الجماهر في معرفة الجواهر** منشورات مكتبة المتنبي بالقاهرة ومكتبة سعد الدين بدمشق، بالأوفست عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن عام ١١١٢هـ ٢٧٣ صفحة.

- **جالي** برنار، ١٩٦٠ - **بواتق وأنابيق**، ترجمة د . أحمد زكي الطبعة الثانية، مطبعة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. ٥٣٦ صفحة.

- **حمارنة** سامي خلف، ١٩٦٩ - **فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (طب وصيدلة)**، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

- **خيمي** صلاح محمد، ١٩٨١ - **فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (طب وصيدلة)** مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ٤٩٠ صفحة.

- **دوكروك** ألبير، ١٩٨١ - **قصة العناصر**، ترجمة وجيه السمان منشورات وزارة الثقافة

السورية، دمشق، سورية، ٤٢٨ صفحة.

- **دي كرويف** بول، ١٩٣٨ - **قصة الميكروب**، ترجمة د. أحمد زكي، منشورات مجلة الرسالة، القاهرة، مصر، ٣٧١ صفحة.

- **الـرازي** أبو بكر محمد، ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤م - **الأسرار وسر الأسرار**، تحقيق محمد تقي دانش ثروة، طبع إيران، ١١٦ صفحة.

- **الـرازي** أبو بكر محمد، (مخطوط) - **الجدري والحصبة**، مخطوط بمكتبة جامعة ليدن (هولاندا) برقم ٦٥٦ (ميكروفيلم عنه موجود بمعهد التراث بجامعة حلب).

- **الشهابـي** مصطفى، ١٩٨٢ - **معجم مصطلحات العلوم الزراعية**، الطبعة الثانية مكتبة لبنان، بيروت، ٩٠٧ صفحات.

- **صليبا** جميل، ١٩٨٢ - **المعجم الفلسفي**، مطبوعات دار الكتاب اللبناني بيروت، لبنان. مجلد عدد ٢ مجموع صفحاتهما مع الفهارس: ١٤٧١ صفحة.

- **صليبا جميل**، ١٩٨٢ - **من أفلاطون إلى ابن سينا**، الطبعة الثانية، منشورات دار الأندلس، بيروت، لبنان، ١٥٧ صفحة.

- **الطبـاخ** محمد راغب، ١٩٢٦ - **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، سبعة مجلدات المطبعة العلمية بحلب.

- **عبد الغني** مصطفى لبيب، ١٩٦٧ - **الكيمياء عند العرب**، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٢٦ صفحة.

- **عبد الوهاب** حسن حسني، ١٩٧٢ - **ورقات عن الحضارة العربية بأفريقيا التونسية** مطبعة المنار، تونس، ٣ أجزاء، مجموع صفحاتها: ١٦٠٣ صفحة.

- **العطار** الهاروني، داود بن أبي النصر، ١٩٧١ - **منهاج الدكان ودستور الأعيان**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ٢٤٥ صفحة.

- **عيسى** أحمد، ١٩٨١ - **معجم أسماء النبات**، الطبعة الثانية، دار الرائد العربي، بيروت،

لبنان. ٢٩١ صفحة.

- **عيسى** أحمد، ١٩٨٢ ـ **معجم الأطباء : ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة**، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ٥٢٧ صفحة.

- **قنواتي** الأب شحاته، ١٩٥٩ـ **تاريخ الصيدلة والعقاقير**، طبع دار المعارف بمصر، القاهرة، ٢١٠ صفحات.

- **كحالة** عمر رضا، ١٩٥٧ ـ **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. خمسة عشر جزءاً في ٨ مجلدات.

- **كرم** يوسف، بدون تاريخ ـ **تاريخ الفلسفة اليونانية**، الطبعة الثالثة منشورات دار القلم، بيروت، لبنان، ٣١٦ صفحة.

- **المحبي** محمد، بدون تاريخ ـ **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، دار صادر، بيروت، لبنان. نسخة بالأوفست من طبعة المطبعة الوهبية في مصر عام ١٢٨٤ هـ / ١٨٣٢م. أربعة مجلدات.

- **نقشبندي** أسامة ناصر، ١٩٨١ ـ **فهرس مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة لمكتبة المتحف العراقي**. طبع دار الرشيد، بغداد، العراق. ٥٠٤ صفحات.

المراجع الأجنبية

References:

-- Bompiani V. 1958 - **Dictionnaire Biographique des Auteurs,** lafont - Bampiani, Paris - France 2 tomes

-- Clauston Ch . 1974 /1975 - **Dictionary of Scientific Biography** - Princeton Univercity press, U. S. A 15 Vol.

-- Crollius O. 1624 - **La Chimie Royale,** traduit par J. Marcel de Boulene. Editeur: Pierre Drobet, Lyon, France 210 P .

-- Crollius O . 1976 - **Traité Des Signatures,** Sebastiani, Milan, Italie. 129 P.

-- De Sarcilly C. 1950 - **L'art d'Alchimie et autres écrits de Théophraste Paraceles Bombast.** Presses Litteraires de France . 50 P.

-- Dorvault P. 1896 - **L'Antidotaire Nicolas,** H. Wetter, Paris, France . 43 P.

-- Dorvault F. 1978 - **L'Officine ,** EditionsVigotParis,France 1827 P.

-- Dozy R. 1981 - **Supplément aux dictionnaires arabes,** Librairie du Liban, Beyrouth. 2 Volumes .

-- Fe stugière A. J. 1980 - **Hermès Trimégiste, Stobée ,** 3e Triage, Les Belles lettres, Paris, France. 321 P.

-- Garcia-FontJ. 1980 - **Histoire de L'Alchimie en Espagne,** Dervy - Livres, Paris, France. 370 P.

-- Gorceix B. 1980 - **L'Alchimie,** Arthème Fayard, Paris, France. 238 P.

--Hervé- Masson 1982 - **Les Prophéties de Paracelse,** 6 e ed. Godefroy. Paris,

France. 121 P.

--HolmyardE. J. 1979-**L'Alchimie**,Arthaud,Poitier,France. 400 P.

-- Jacobi J. 1973 - **Paracelsus,** Third edition.Princeton University Press. 290 P.

-- Kolta K. S. 1981 - **Hekimbasi Salih Bin Nasrullah bin** Sallum, Arslan Terzioglu, Faculté de Medecine d'Istambul - Turquie.

-- Larousse 1982 - 1985 - **Grand Dictionnaire Encyclopédique,** Librairie Larousse, Paris, France. 10 Volumes .

-- Menard L. 1979 - **Hermès Trimégiste,** Editions de La Maisnie Paris, France. 302 P.

-- Monod - Herzen G. E. 1963 - **L'Alchimie Mediterranéenne,** Adyard, Paris France. 214 P.

-- Nock A. D. 1973 - **Hermès Trimégiste, Asclépius.** 3 e tirage, Les Belles Lettres, Paris, France. 208 P.

-- Nock A. D. 1980 - **Hermès Trimégiste, Poimandrès.** 5 e tirgae, Les Belles Lettres, Paris, France. 1970 P.

-- Wade O. L and Beely L. 1976 - **Adverse Reactions To Drugs.** 2 nd edition William Heinemann, London. 230 P.

المحتوى

القسم الثاني

P. Kraus, conduisait l'alchimie à être un art précis, débarrassée des termes secrets et des symboles incompréhensibles, on voit que Paracelse chauffait les urines dans une bouteille en forme d'un homme, et de l'endroit des précipitations ou des coagulations, il déterminait la partie affectée du malade.

Et tandis que le médecin arabe Al Razès du IX e siècle, croyait, dans la médecine, à l'expérience, et a pu établir nettement une distinction entre la variole et la rougeole, en se basant sur les symptômes differentiels, nous voyons Crollius, dans son oeuvre " La chimie royale" traiter les blessures en mettant l'onguent ou la pommade sur l'outil tranchant et non pas sur la blessure.

Bien que l'école paracelsienne se soit orientée vers l'occultisme, ce qui représenta un recul, par rapport à nos mesures scientifiques, cela ne veut pas dire qu'il n'a pas engendré des points positifs. Ces points positifs, dont j'ai parlé dans ce sommaire, servirent de point de depart à une contribution importante dans la renaissance des sciences médicales et chimiques.

En outre, il faut dire que Paracelse conduisit une révolution médicale contre une medecine pratiquée depuis plus que mille ans. Et dans chaque révolution, ce sont les réactions vigoureuses qui dominent au début, et ces réactions sont toujours un obstacle au bon raisonnement, et cachent la vision claire des choses. Mais quel que soit la marche de cette révolution, elle ne manque pas de semences capables de grandir, d'évoluer et d'apporter à la civilisation une riche contribution.

Revenons maintenant à notre Ibn - Sallum al-Halabi, le rédacteur des deux manuscrits en question dans cette oeuvre.

Prévoyant que l'école paracelsienne aurait des conséquences importantes dans l'avenir, Ibn- Sallum voulut être le premier à transmettre les théories et doctrines de cette école à ses collègues du monde arabe, dans le but de les inciter à commenter et discuter les données de ce nouveau courant médical.

Malheureusement, on n'a pas donné à Ibn- Sallum l'importance qu'il mérite. J'espère que mon travail, consacré à mettre en évidence sa grande personnalité, et d'établir une partie de ses oeuvres, contribuera à remplir cette lacune. Une telle contribution vient assurément trop tard, mais, comme dit le proverbe, mieux vaut tard que jamais.

Les trois premiers piliers étaient des conceptions et des doctrines mêlées au point qu'on ne peut pas les séparer par des limites précises. J'en ai parlé des lignes principales, et maintenant, je vais présenter quelques mots sur le quatrième pilier de l'édifice médical paracelsien, c'est à dire de la vertu.

Paracelse, se basant sur un solide fondement religieux, nous apparait, à ce propos, comme un curé qui fait son sermon dans une église. Il recommandait aux médecins:

" d'avoir une foi vive, car celui qui a une foi vive " ignore le mensonge et accomplit les oeuvres divines."[16]

Et, s'adressant au médecin, il poursuit:

" La foi que tu dois avoir en Dieu doit être sincère, confiante, forte, véritable. Tu dois y mettre toute ton âme, ton coeur, ton entendement et tes pensées, en tout amour et discrétion, alors si tu repose sur une foi et sur un amour semblable, Dieu ne te dérobera point sa vérité, et il te révélera ses oeuvres visibles et consolatrices."[17]

Paracelse est entré dans trop de détails en ce qui concerne la conduite des médecins vis - à - vis de leurs malades et de leur art, et il me parait que ce passage suffira pour donner une idée de cette question.

Commentaires:

Ce que je viens de présenter dans ce résumé, donne une idée des conceptions principales qu'on pourrait tirer des deux manuscrits que j'ai établis dans cet ouvrage. Je cite toujours Paracelse, tout en voulant dire, l'école paracelsienne dont Crollius était un des membres.

Je me demande maintenant, si le mouvement médical révolutionnaire de l'école de Paracelse a pu assurer un progrès dans le domaine médical.

Analysant ce que Paracelse, lui- même, et ses disciples au XVI^{e} siècle ont écrit, on trouve qu'ils ont remplacé les fondements de la medecine orthodoxe par des fondements qui ne sont pas plus justes. J'ose même dire que la médecine orthodoxe était plus proche des conceptions scientifiques que celle apportées par Paracelse.

Tandis que le médecin alchimiste arabe Geber du VIII^{e} siècle, comme dit

16 - Voir: " oeuvres médicales, Paracelse", Serie Galien, Presses Universitaires de France, Paris/ 1968 page 89.

17 - Voir " Paragranum" de paracelse, Serie Galien, p. 89.

transparent, et translucide,soumis aux pouvoirs des astres"[13]

Paracelse considérait que les remèdes d'origine minérale sont les plus efficaces, mais on pourrait affirmer qu'il n'a pas négligé les médicaments d'origine organique. Toutefois, il considérait ces derniers, comme des remèdes auxiliaires. Cela est très clair dans les recettes de Paracelse et de son disciple Crollius, données dans les deux manuscrits en question.

Concernant les remèdes d'origine minérale, Paracelse croyait que la toxicité des métaux vient de ce qu'ils ne sont pas minutieusement purifiés ; d'un métal exempt de ses impuretés, on pourrait préparer des produits minéraux très efficaces et sans danger.

On doit s'arrêter un petit peu sur ce point. Malgres que la théorie de Paracelse, à ce propos, ait été fausse, car le mercure, par exemple, reste toxique, qu'il soit pur ou non. mais on doit dire que cette théorie a poussé ses disciples à inventer des méthodes de purification et des tests de contrôle de pureté. Ces tests furent d'abord qualitatifs, mais de multiples incidents malheureux, dus à l'introduction dans les potions de poisons comme l'arsénic, l'antimoine, le mercure et leurs composés, aboutirent à l'idée que la pureté d'un corps devait faire l'objet des mesures quantitatives en cas d'utilisation clinique.

Pracelse, comme ses prédécesseurs, employait, dans ses procédès alchimique, plusieurs manipulations telles que calcination, solution, coagulation, distillation, fermentation, fusion, sublimation, refroidissement, etc..., mais ce qui est étrange et nouveau en même temps, c'est qu'il était persuadé que deux produits finis, si différents fussent-ils, possédaient une vertu identique s'ils avaient été préparés de la même manière.

Avant de conclure mes propos sur l'alchimie Paracelsienne, je dois dire que Paracelse a accordé tant d'importance à ses doctrines alchimiques, que je trouve utile de citer la parole suivante de Paracelse:

" Le médecin doit avoir de l'alchimie une connaissance et une expérience si profonde et si grande que tout le reste de son art est vain, s'il ne la possède pas ".[14]

7- La Vertu

Paracelse considéra que la médecine doit être fondée sur les quatre piliers suivants:

" La philosophie, l'astronomie, l'alchimie et les vertus" [15]

---

13 - Voir : le "Paragranum" de Paracelse. Serie Galien, P. 74.

14 - Voir " Paragranum " de paracelse, Serie Galien, p. 71.

15 - même reference p. 41.

On pourrait dire que l'aspect le plus essentiel de l'alchimie est la transmutation des éléments, et spécialement, la transformation des métaux ordinaires en des métaux nobles, surtout, l'or.

Bien qu'il ne nie point la possiblité de la transmutation, Paracelse considère cet aspect de l'alchimie d'une importance secondaire.

Le rôle le plus important de l'alchimie, chez Paracelse, était de préparer des médicaments, autrement dit, d'utiliser les procédés de l'alchimie pour préparer des substances thérapeutiques, spécialement d'origine non organique.

Ici, on doit noter une orientation lumineuse de Paracelse, qui, par cette nouvelle théorie qu'il a adoptée pour l'alchimie, a inauguré l'art ou la science de la Chimiothérapie.

Paracelse répète toujours, et surtout dans son livre intitulé " Paragranum", que l'alchimie est un art indispensable à la médecine, sans lequel on ne peut préparer des médicaments pour le traitement des maladies. Il croit que la nature nous offre trop de matériaux dont la plupart ne peuvent être utiles si on ne les prépare pas convenablement, et c'est à l'alchimie qu'on doit avoir recours pour atteindre ce but.

D'une facon générale, Paracelse entend par, " alchimie" tout procédé grâce auquel un matériau brut est transformé en un produit utile.

En outre, Paracelse croyait au principe de la finalité, c'est à dire que Dieu a créé toute chose pour une fin utile assignée qui se réalise par le pouvoir de la nature qui agit sur elle. Mais Dieu a aussi conféré à l'homme le pouvoir de la transformer et de la faire passer de l'état de nature ou materiau brut, à une condition nouvelle qui réponde aux besoins humains, ou en expréssion philosophique (mettre en acte ce qui était en puissance).

Donnant dans l'occultisme, Paracelse croyait que les remèdes exercent leurs effets thérapeutiques, non pas par leurs formes matérielles apparentes, mais par leurs " arcanes" qui sont invisibles. On est à croire que l'arcane de Paracelse est similaire, plus ou moins, à ce que les philosophes appelaient le " Hylé ". Quelquefois, Paracelse donne le vocable "Quintessence " à l'arcane. Citons ce que Paracelse écrivit à ce propos:

"... Aussi la quintessence que bien des alchimistes ont recherchée,n'est-elle rien d'autre que l'arcane. Et l'arcane est ce qui reste, une fois que l'on a séparé l'arcane des quatre autres corps[12].Cet arcane, d'autre part, est un chaos... les arcanes ont force et pouvoir. Aussi sont-ils volatils, incorporels, un chaos

12 - Il entend par les quatre corps, les quatre éléments: Feu, air, terre et eau .

même, un ciel particulier à lui qui est comme celui de dehors et possède la même constellation.

Paracelse, croyant à l'influence des astres sur l'être humain, dit quelquefois que ce n'est pas toujours que le ciel extérieur qui cause les maladies. Le ciel extérieur, souvent, ne fait que démontrer et indiquer ce qui se passe dans le ciel intérieur de l'homme, autrement dit, c'est le ciel extérieur qui montre le chemin du ciel intérieur. Et Paracelse se demande, comment faire si le ciel intérieur refuse de donner au corps ce qui lui est nécessaire pour sa guérison. Le glorieux Paracelse nous donne la réponse suivante:

" On ne peut pas forcer le ciel, mais il est possible à l'Art ,de faire un autre ciel à l'homme dans sa maladie..."[10] L'Art que Paracelse tient comme arme, c'est l'Alchimie.

Il est probable que vaincre le déterminisme astrologique á l'aide des remèdes alchimiques, est une idée révolutionnaire de Paracelse, jamais énoncée par un autre médecin avant lui.

5 - Théorie des signatures

Cette dénomination est donnée de Paracelse même, mais il faut dire qu'elle remonte á la plus haute antiquité .

Cette théorie est née d'une synthèse de l'Astrologie et de l'Alchimie.

" Elle est fondée sur les correspondances entre les astres, les plantes et le corps humain, et plus particulièrement, elle consiste à induire de la forme, de la couleur, du goût d'une plante, ses effets curatifs dans les maladies." [11]

Cette théorie considère que la forme et la morphologie sont l'expression effective de la fonction. Les exemples cités dans les manuscrits en question, sont très nombreux.

Citons par exemple les racines de l'oignon et de l'ail, étant en forme sphérique, elles sont utiles dans les maladies de la tête, qui est aussi de forme sphérique.

6- L'Alchimie

Il est difficile de trouver une définition précise et déterminée de l'alchimie. Elle comporte des éléments qui la rapprochent de la science, de l'art, de la technologie, et en même temps des conceptions mystiques et occultes. L'alchimie représente, en effet, l'ambition de dominer la nature.

---

10 - Voir: " L'Alchimie" par J. E. Holmyard, edit. Artaud / 1979, p. 355.

11 - Voir: " L'Alchimie" de E. J. Holmyard, p. 352

traitement des malades.

a) Les planètes sont sept: Le Soleil, la Lune, Venus, Mars, Mercure, Saturne, et Jupiter.[6]

b) Les organes principaux de l'homme sont sept: le coeur, le cerveau, le système urogénital, la bile, les poumons, la rate et le foie.

c) Paracelse établit une correspondance entre chacun de ces organes et une des sept planètes:

" La médecine est soumise à la volonté astrale qui la guide et qui la dirige. La lune conduit au cerveau ce qui appartient au cerveau, Saturne à la rate ce qui appartient à la rate, ainsi le soleil pour le coeur, Venus pour les reins, Jupiter pour le foie, Mars pour la bile, Mercure pour les poumons. Et il ne faudrait non seulement parler de ces astres, mais de tous les astres dont l'action est indéscriptible".[7]

d) Vu que Paracelse considère les médicaments d'origine minérale comme les plus éfficaces dans le traitement, et considérant que les métaux sont sept: (l'or, l'argent le cuivre, le fer, le mercure, le plomb et l'étain),[8] il adopta la correspondance déjà connue entre ces sept métaux et les planètes, dans un but médical.

e) Paracelse adopta encore la correspondance entre les plantes médicinales et les planètes. La plupart de ce qu'il a cité à ce propos était dejà connu par les savants arabes, et spécialement " Ibn wahchieh " dans son livre " Al- Filaha Al- Nabatia ".

Donc, l'édifice médical Paracelsien, repose, principalement sur l'astrologie. Certainement, pour être un bon astrologue, on doit être un bon astronome. Citons à ce propos les paroles suivantes de Paracelse:

" Sachez de plus que le ciel agit en nous. Comment peut- on identifier cette action, si l'on ne connait pas les propriétés célestes ? Toute connaissance est astrale. L'astral est l'art né de la sagesse celeste. Le medecin doit être astral Alors il devient un bon étudiant et il sait juger du ciel dans l'homme. Et dès qu'il juge au ciel interieur, il est médecin, point autrement".[9]

Donc, Paracelse parle d'un ciel intérieur. C'est que chacun possède en soi-

---

6 - Dans le passé, et même à l'époque de Paracelse, on considérait le Soleil et la Lune comme planètes, les tous tournant autour de la Terre.

7 - Voir: Paragranum de Paracelse - (oeuvres medicales deParacelse" Serie Galien, 1968. p. 73.

8 - Les anciencs ne considéraient comme métaux que ces sept. Peut être parce au'ils étaient les seuls fusibles.

9 - Vois: " Paragranum de Paracelse" - serie Galien p. 60.

originaux remontent au deuxième siècle avant J. C.

Ces manuscrits ont été établis par A. D. NOCK et A. J. festugière et édités par la Société des Belles Lettres en trois tomes en édition bilingue (grecque/Francaise).

Dans ce corpus hérmétique, on trouve trop d'aspects Philosophiques cencernant l'âme, l'esprit, le corps, la matière du monde, la ressemblance entre les hommes et les Dieux, la forme et l'Hylé, le destin, la création des quatre élements: feu, air, eau et terre. la création de l'hmme, etc... .

Dans ce corpus qu'on a groupé en trois livres intitulés: poimandrès, Asclépius et stobée, on trouve, dans plusieurs passages, que tout ce qui se passe dans notre monde est ordonné par le ciel. Mais la théorie de correspondance qui dit que l'homme est une copie conforme en miniature de l'univers, autrement dit, qu'il est un microcosme similaire au macrocosme, ne fut pas mentionnée dans ce corpus.

Cette théorie parut pour la première fois dans la Table d'Emeraude, attribuée au même hermès Trimégiste, dans laquelle on se rappelle la phrase suivante:

"Tout ce qui est en bas est comme ce qui est en haut, et ce qui est en haut est comme ce qui est en bas".

Les données historiques prouvent que"C'est en arabe que sont rédigées les premières versions connue de cette expression" [4]

La Table d'Emeraude fut citée, pour la première fois dans le livre arabe "Sirr Al-Khaliqa" (le secret de la création) attribué faussement à Apolonius de Tiane.[5]

En fait, l'unité du cosmos et l'indépendance de toutes les parties de ce vaste ensemble, la correspondance et l'analogie (mais non l'identité) entre le macrocosme (le grand monde) et le microcosme (le petit monde : l'homme), constituent le fil conducteur de toutes les manifestations théoriques et pratiques de l'Hermétisme, et de toutes ses adaptations.

4- L'astrologie et la médecine

Se basant sur la doctrine hermétique de la corsespondance et l'analogie entre l'homme et l'univers, Paracelse a étendu cette correspondance pour englober tout ce qu'il ya dans notre monde terrestre, donnant à toutes ses conceptions, dans ce domaine, un rôle primordial dans la pathologie et le

4 - Voir : "L'Alchimie" par E. J. Holmyard, éditions Arthaud/ France, 1979 , P. 103.

5 - Etabli par l'orientaliste allemande Ursula Weisser, et imprimé à l'Université d'Alep (Syrie) - Institut Al - Turath,1979. pour l'autentiticité de l'auteur de cette oeuvre, se référer à la page 12 .

reprenait-il à son compte l'ancienne théorie qui supposait que les métaux se composent de mercure, de soufre et de sel, mais sous une forme modifiée, en l'étendant à tous les corps: métalliques, animaux et vegétaux.

ces "tria prima", qu'on nomme fréquement les "principes hypostatiques" sont des vocables de sens absrait et sont loin d'être pris au sens où la chimie moderne les concoit.

Paracelse croyait que chaque matériau dans la nature, a son propre mercure qui diffère de celui de n'importe quel autre matière. La même chose s'applique au soufre et au sel.

Au point de vue médical, Paracelse, attribue à ces "tria prima" la santé et les maladies de l'humanité. S'ils sont dûment équilibrés dans le corps humain, on est en bonne santé; autrement, le corps est malade.

2- La doctrine des humeurs

La médecine orthodoxe à l'époque de Paracelse, donnait un rôle fondamental aux humeurs, à savoir: le sang, le lymphe, la bile et l'artabile (ou pituite), quant au diagnostic, au pronostic et au traitement. Si ces quatre humeurs sont dans les normes ordinaires, cela signifie la bonne santé. Autrement, elles causent les maladies.

cette théorie, considérée comme verité infaillible, depuis deux mille ans avant Paracelse, a été refusé catégoriquement par Paracelse. Lisons ce passage de son livre Paragranum, s'adressant aux médecins de son époque:

"Vous cachez vos mensonges sous le couvert des
"humeurs, au point que l'on ne peut vous donner
"ni indulgence, ni absolution... Il faut
"donc éliminer les humeurs, mettre en
"Valeur les propriétés élémentaires, rechercher
"dans ce domaine les maladies, qui n'ont rien
"à voir avec les humeurs"[3]

Il va sans dire que Paracelse substituait la doctrine des humeurs par celle de "tria prima": (mercure, soufre, sel) ci-dessus mentionnée.

3- Hérmétisme-Macrocosme et microcosme

L'hérmétisme est un ensemble de doctrines que la tradition fait remonter à l'ancienne Egypte, dans la personne légendaire d'Hermès Trimégiste.

Le plus ancien corpus hermétique disponible, est celui des manuscrits grecs datés des 14 e , 15e , 16 e ,et 17 e , siècles et dont on croit que les

---

3- Voir "oeuvres médicales de Paracelse " Serie galien, presses universitaires de France, 1968. P . 60 .

Ces copies sont les suivantes:

-- Manuscrit de l'Institut d'Histoire des Sciences Arabes de l'Université d' Alep / Syrie. 9 / 615.

-- Man. de la bibliothèque de Congress, Washington (E. U. A.) Or. 63.

-- Man. de la bibliothèque de l'Université de Cambridge, Angleterre. 732 / P.

-- Man. de la bibliothèque de "Welcome Institute", Angleterre. W Ms. Or. 6 A.

-- Man. de la bibliothèque "Al-Waqf / Ahmadieh, Alep, Syrie. 1282 / Ahmadieh.

-- Trois manuscrits de la bibliothèque du Dr. Farid Sami Haddad, Beirouth, Liban. 94-95-96.

En outre, je dois noter que la "Chimie Royale" de Crollius a été traduite du latin en francais, quinze ans après la mort de l'auteur, c'est à dire en 1624 par J. Marcel de Boulenc, et imprimée par Pierre Drobet à Lyon (France). La Bibliothèque Nationale de Paris en possède plusieurs copies. J'ai eu la photocopie d'une de ces copies que j'ai trouvée la meilleure, et dont la cote est: Te 131. 47. cette traduction :française m'a été d'un grand secours pour préciser le sens des mots arabes mal copiés dans les manuscrits, me permettant ainsi d'ètablir ces termes dans le texte.

Il est à noter que j'ai concentré mon travail, pour établir le texte des deux manuscrits, sur les quatre premières copies qui m'ont paru les meilleures. Quant aux autres copies, je les ai prises comme référence en cas de besoin.

Mon travail dans cet ouvrage n'a pas pour but d'établir le texte de ces deux manuscrits seulement, mais s'etend à des explications et à des commentaires comparatifs entre les doctrines de l'Ecole deParacelse, et celles de la médecine orthodoxe qui était alors dominante presque partout dans le monde.

Je ne pourrai pas entrer dans les détails dans ce très court sommaire. je vais donc, me contenter de citer les principales conceptions médicales mentionnées dans les deux manuscrits.

1- La composition des matières

Paracelse était d'accord avec ses prédécesseurs que tous les matériaux du monde se composent des quatre éléments:

le feu, l'air, l'eau et la terre. En même temps, il croyait que ces quatre éléments sont composés de trois corps primaires, ou ce qu'On a appelé " les tria prima " qui sont: le mercure, le soufre et le sel. Paracelse croyait que le mercure représente l'esprit, le soufre représente l'âme, et le sel représente le corps. Ainsi

arabe qui mit à la disposition du monde arabe les conceptions de cette nouvelle opposition à la médecine orthodox et qui represéntait le debut de la renaissance médicale moderne, ce qui confère à Ibn sallūm un rôle historique important.

Paracelse:

son vrai nom est Théophraste Bombast von Hoheinheim. le vocable "Paracelse" est un pseudonyme que Théophraste s'est adjugé de sa propre initiative pour prouver qu'il est superieur à Celse, célèbre médecin romain du premier siècle ap. J. C.

Il naquit le 17 Decembre, 1493 dans une petite ville près de Zurich (Suisse), alors territoire allemand. son décès eut lieu le 24 September 1541 à Salzbourg (Autriche).

Paracelse était d'une activité extra - ordinaire, et d'une grandiloquence caractéristique de personnage. Il a attaqué la médecine orthodoxe, tout en considérant que c'est une qui ne sert à rien, et qu'Avicenne, Galien, Rhazès et leurs disciples, partout dans le monde, ne sont que des ignorants. L'agressivité de Paracelse contre la médecine classique de son époque était sans limites, et même sans politesse. Voilà ce qu'il dit dans son livre Paragranum:

"Je vous le dis, le poil follet que j'ai dans la nuque est plus savant que vous et tous vos auteurs, et mes lacets de souliers en savent plus que votre Galien et que votre Avicenne, et ma barbe a plus d'expérience que toutes vos grandes écoles "[1]

Oswald crollius:

Il naquit en 1560 à Wetter près de la ville de Marburg (Allemagne). Il eut son doctorat en médecine en 1582. Il aimait les voyages et connaissait le francais et l'italien.

Il a exercé sa profession en Allemagne, son pays natal, et en plusieurs villes de l'Est de l'Europe. En 1602, Crollius a choisi la ville de Prague pour y séjourner en permanence jusqu' à sa mort, en 1609.

Crollius, étant un des disciples de Paracelse, suivit et adopta les doctrines médicales de son maître, mais il était plus précis dans ses oeuvres, plus calme et social. L'empereur Rodolphe II demandait souvent ses conseils.[2]

- -

Après ces brèves données, je dois préciser que j'ai établi le texte des deux manuscrits, ci-dessus mentionnés, en me basant sur huit copies dont j'ai pu avoir des photocopies ou des microfilms.

1- Voir "Paracelse: oeuvres médicales", serie Galien, Presses universitaires de France, 1968 . P . 39 .

2 - Voir Dictionary of Scientific Biography by ch.Caulston, Princeton University Presses, tome 3, 1974. P 471 .

Sommaire

Cet ouvrage tient à établir, expliquer et commenter deux manuscrits rédigés par un brillant médecin arabe du XVII e siècle, nommé Salih b. Nasrullah b. Sallum (Ibn Sallum Al-Halabi).

Ces deux manuscrits occupent le dernier chapitre d'une grande oeuvre d'Ibn Sallum, intitulée: "Gayat Al - Itqan Fi Tadbir Badan Al 'insan" (Le sommet de la perfection dans le traitement (du corps) de l'homme). Le dit chapitre porte comme titre général "Al - Tib Al Jadid Al - Kimya'i " (La nouvelle médecine chimique).

Le premier manuscrit intitulé "La Nouvelle Chimie Médicale" résume les principales conceptions médicales de Paracelse, tirées de ses innombrables oeuvres. Le deuxième manuscrit "Al Kimya Al Malakiya" (La chimie royale) est une traduction arabe d'un livre, de même titre, rédigé en latin par le médecin allemand Oswald Crollius, un des plus fidèles disciples de Paracelse.

Voici quelques informations biographiques sur ces trois auteurs: Ibn sallum, Paracelse et Crollius.

Ibn sallūm Al-halabi

il est né et a achevé ses études en medecine à Alep(Syrie). il a vite obtenu une grande renommée médicale et un haut rang social, ce qui a poussé le gouverneur turc (Wali) d'Alep, Ibchir pacha à l'emmener avec lui à Istambul pour le présenter au Sultan Mohamed Ibrahim Khan IV.

Ibn sallum a pu avoir la sympathie du sultan, et est devenu d'abord médecin de la cour, puis, en 1656, est devenu le medecin en chef de l'empire Ottoman.

La date de sa naissance est inconnue, mais il est certain que sa mort eut lieu en 1670 (1081 de l'Hégire) ou peut - être une année plus tard.

Ibn Sallūm était, en principe, un médecin de l'école classique, mais influencé, plus ou moins, par le mouvement de Paracelse.

Ibn Sallūm, étant familier de la langue latine ,a pu étudier profondément les doctrines paracelsiennes, et a voulu informer les médecins arabes et turcs de son époque des courants médicaux révolutionnaires, conduits par Paracelse et son école.

On pourrait dire que, Ibn Sallūm Al- Halabi, fut le premier médecin

LA NOUVELLE MEDECINE CHIMIQUE

DEUX MANUSCRITS DE :

Ṣalih Naṣrullah ben sallum al - Halabi

(XVII Siécle)

Textes établis, expliqués et commentés

par

KAMAL SHEHADEH

Docteur en Histoire des Sciences Médicales

1997

Publié par les soins de l'université d'Alep
Institut de l'histoire des sciences arabes



La Nouvelle Medecine Chimique

DEUX MANUSCRITS DE :

Ṣalih Naṣrullah ben sallum al-Halabi

(XVII Siécle)

Textes établis, expliqués et commentés

par

KAMAL CHEHADEH

Docteur en Histoire des Sciences Médicales

1997

مطبعة جامعة حلب